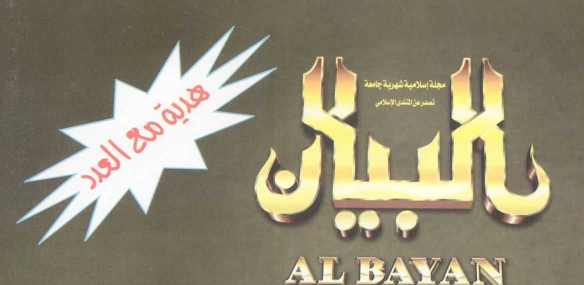
▫ ثورات النخب ▫ لبنان... وقفات مع آخر الأزمات ▫ إخوان بلعام



السنة الثالثة والعشرون - العدد ٢٥٠ - جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ - يونيو ٢٠٠٨ م

▫ الآثار الاجتماعية لاحتلال العراق

▫ النكاية في الإسلام.. تحديات جديدة

▫ ضبط متلبساً بحجر

المشروع الإسلامي...
رؤيـة سلفـيـة

شكراً معلمتي

طالبتك هـ - خ - ع

وقف المعلمة
Teacher's endowment

ساهمي بـ 1500 ريال ليبقى لكِ أثراً بعد الرحيل

باستقطاع شهري قدرة ١٠٠ ريال لمدة ١٥ شهراً

عن طريق مصرف الراجحي حساب رقم :

(21260801022226)

بريدة - طريق الملك سعود

055 3841111

06 3841111

الإدارة النسائية : 06 3846111









إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

المراسلات والإعلانات:
الدول العربية:
□ السعودية:
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٢٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:
التحرير:
editors@albayan.co.uk
الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com
التسويق:
sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:
■ الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
■ الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
■ سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
■ البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٢١٢٨١.
■ السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ .
■ السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٢ - فاكس ٧٩٣٢٨٤ - ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
■ قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩ .
■ الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩ .
■ المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
■ اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
■ طبعت بمطابع الاهرام التجارية – ٦ أكتوبر

■ افتتاحية العدد
لبنان... وقفات مع آخر الأزمات التحرير ٤

■ دراسات في العقيدة والشريعة
المنهج العلمي لإمام دار الهجرة ٨
أحمد ذو النورين

■ السياسة الشرعية
المشروع الإسلامي... رؤية سلفية ١٤
د. عبد العزيز كامل

■ قضايا دعوية
- إخوان (بلعام) ٢٠
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
- هل العولمة تهدد مؤسساتنا الخيرية؟! ٢٢
د. محمد الكثيري

■ مع الدعاة
كان رجل عامة! ٢٤
فيصل بن علي البعداني

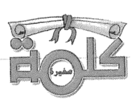
■ دراسات تربوية
«النظرة الأولى» ما لها وما عليها ٣٠
د. أحمد إبراهيم خضر

■ أفق أخضر
رعاية التوازن (٢ - ٣) ٣٤
د. عبد الكريم بكار

■ نص شعري
يا أيها الأقصى الجريح! ٣٦
مروان كُجك

■ حوار
أسامة حمدان (٢ - ٢) ٣٨
حاوره: أحمد فهمي

الحسابات:
■ السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ـ ١٠٩
ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
■ الإمارات: بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
■ قطر: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



لا غنى عن السنة

هل السنة النبوية تستقل بالتشريع؟!

زعم بعض المعاصرين من الزنادقة وأهل الأهواء، ممَّن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وجوب الاقتصار على القرآن الكريم، وهذا انحراف نبَّه العلماء على خطورته وضلاله منذ زمن طويل(1)، لكن الغريب أن بعض المنتسبين إلى الفكر الإسلامي زعم مؤخراً أنَّ السنة لا تستقل بالتشريع، وأنَّه يجب عرضها على القرآن الكريم، فما وافق القرآن أخذنا به!

وهذا - بلا شك - ضلال بيِّن؛ فالسنَّة النبوية كما أنها موضحة لمعاني القرآن الكريم، فإنها متممة لأحكامه، وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجلٌ شبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه»(2).

قال الخطيب البغدادي في شرح هذا الحديث: «يحذر بذلك رسول الله ﷺ من مخالفة السنن التي سنها مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضُمِّنت بيان الكتاب؛ فتحيروا وضلوا»(3).

وذكر ابن عبد البر القرطبي أحكاماً فقهية استقلت بها السنَّة النبوية، ثم قال: «وقد أمر الله - عز وجل - بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً، لم يُقيد بشيء، ولم يقل: ما وافق كتاب الله، كما قال بعض أهل الزيغ»(4).

وقد ظهرت بوادر هذا الانحراف في عصر الصحابة - رضي الله عنهم - فكان موقفهم حازماً زاجراً؛ فقد جاء رجل إلى عمران بن حصين فسأله عن شيء، فحدثه، فقال الرجل: حدِّثوا عن كتاب الله ولا تحدثوا عن غيره! فقال عمران: «إنك امرؤ أحمق! أتجد في كتاب الله - تعالى - صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها؟ ثم عدَّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسَّراً؟! إن كتاب الله قد أبهم هذا، وإن السنة تفسر ذلك»(5).

إنَّ ظاهر هذا الرأي ربما يُفهَم منه تعظيم كتاب الله - تعالى - والحقيقة: أنه إعراض عن كتاب الله تعالى، واستهانة بسنة النبي ﷺ، وازدراء لجهود الأئمة في حفظ السنة وتحريرها وتنقيحها. قال الله - تعالى -: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) انظر: كتاب (القرآنيون وشبهاتهم حول السنة)، تأليف: د. خادم حسين إلهي بخش.
(٢) أخرجه: أبو داود (٤/ ٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧٠).
(٣) معالم السنن (٧/ ٨).
(٤) جامع بيان العلم وفضله، (٢/ ١١٩٠).
(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٩٢)، والفقيه والمتفقه (١/ ٧٦).

■ المسلمون والعالم
- من بغداد إلى بيروت.. هل اكتمل الهلال الشيعي؟ أحمد فهمي ٤٤
- يا أهل السنة في لبنان خذوا حذركم! عبد العزيز بن ناصر الجليّل ٥٠
- الوثنية السياسية.. خبرة العَلْمانية التركية د. كمال حبيب ٥٤
- مسلمو روسيا بين التغلغل الشيعي والغياب السني محمد عادل ٥٨
- الآثار الاجتماعية لخمس سنوات من احتلال العراق عبد المجيد خضير ٦٤
- ثورات النخب يوسف بن صالح الصغير ٦٩

■ مرصد الأحداث ٧٠

■ في دائرة الضوء
أنيس منصور والإسلام من خلال مقالات له محمد خير رمضان يوسف ٧٦

■ قصة قصيرة
ضُبط متلبساً بحجر محمد تليمة ٨٢

■ دراسات إعلامية
الإعلان الإسلامي المفهوم - الأنواع حسن الأشرف ٨٤

■ منتدى القراء عدة كُتاب ٨٨

■ الباب المفتوح
أهل الاجتهاد والنصوص يسري عبد الغني عبد الله ٩٠

■ الورقة الأخيرة
النكاية في الإسلام.. تحديات جديدة جمال سلطان ٩٤

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات	قطر ١٠ ريالات	الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس	اليمن ١٠٠ ريالاً	الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٥ جنيهات	السودان ٢٠٠ دينار	البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً	سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة	فلسطين نصف دولار أمريكي

أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو



لبنان... وقفات مع آخر الأزمات

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فإن الأزمات كانت ولا زالت تتوالى على لبنان على مدى عقود طويلة ماضية، وقد كانت أكثر أزمات ذلك البلد من جراء المكر الصليبي الغربي الذي يجني ثماره الـمُرةَ اليوم أهلُ الإسلام في ذلك الجزء العزيز من أرض الشام، فأرض الشام التي وصفها الله في القرآن بأنها مباركة في العديد من الآيات؛ أراد لها الصليبيون الجدد منذ أيام الاستعمار، أن تكون مرتعاً لعَبَدَة إبليس من كل نوع، فقام تقسيمهم لها منذ أيام اتفاقية (سايكس - بيكو) وما قبلها، على أن يكون جزء منها وهو فلسطين دولة لليهود، وجزء آخر وهو لبنان دولة للنصارى، ثم غض هؤلاء الطرف عن قيام دولة في أرض الشام لفرقة من أخبث الفرق التي تدّعي الإسلام، وهي الفرقة النصيرية المدعاة بـ (العلوية)، ولم يبقَ من الأرض المباركة، ما هو خالص للإسلام إلا أقل القليل.

لكن الجديد في الأمر أن هناك من أصبح ينافس الغربيين في الرهان على ما تبقى لأهل الإسلام الصحيح في الشام، وأولئك هم أنداد الروم القدامى: الفرس المعاصرون!

وما حدث مؤخراً في لبنان؛ ليس من الأمور المقطوعة عما قبلها من ترتيبات، وليس معزولاً عمَّا بعدها من مخططات؛ فالإيرانيون قد حسموا أمرهم منذ عقود بأن تكون لهم قطعة من القصعة الشامية، وقد كان بُغض الشيعة التاريخي المزمن لدولة الأمويين في الشام سبباً في جعلهم - حتى قبل أن تكون لهم دولة - عامل هدم واضطراب وفتنة في تلك الأراضي طوال التاريخ الإسلامي، وتشهد على ذلك مواقفهم الخسيسة والخبيثة إبان الحروب الصليبية وما تلاها من حروب التتار.

لسنا معنيين هنا بتتبع مسلسل التغلغل الشيعي في لبنان؛ فذلك أمر له مظانُّه الأخرى؛ غير أننا سنبدأ من حيث انتهى المشهد الأخير بعد الانقلاب المثير الذي نفذه حزب الشيعة اللبناني المسمى بـ (حزب الله)، لا لِنَدُقّ ناقوس الخطر المحدق، أو نطلق النفير بالخطر المبير؛ فكِلا الأمرين قد



وقع؛ ولكن لنشير إلى أن الانقلاب الأخير قد فصل التاريخ اللبناني إلى قسمين: ما قبل الانقلاب وما بعده، وهذا الأمر يحتاج إلى إيضاح معانٍ وإبراز معالم، وذلك من خلال الوقفات التالية:

أولاً: القول إن شيعة لبنان هم (دولة داخل الدولة) تحوّل بانتظام من فرضية تحليلية نظرية إلى حقيقة واقعية فعلية؛ فالحاصل المعلوم أن لهذه الطائفة اليوم استقلالها السياسي والعسكري والاقتصادي والإعلامي والتعليمي عن الدولة، كل ذلك من خلال حزب سياسي له قيادته وعناصره، وله قواته وسلاحه، وله ميزانياته ومُدخلاته الخارجية والداخلية، كما أن لتلك الطائفة مساجدها وحسينياتها ومحاكمها ومستشفياتها وفضائياتها وأخيراً اتصالاتها؛ إلى غير ذلك من مقومات الدول، إلا أنهم لم يعلنوا بعدُ عن دولة. والانقلاب الأخير - في رأينا - هو الخطوة الأولى على طريق إعلان هذه الدولة؛ إلا إذا حدث ما يخلط الأوراق ويعرقل الخطط، ويؤجلها إلى حين.

ثانياً: الظن بأن الاستقرار سيعود إلى لبنان عن طريق الجيش، هو وهْمٌ عظيم؛ فطريق حزب الشيعة للاستيلاء «الرسمي» على لبنان سيكون من خلال هذا الجيش؛ حيث إن ذلك الكيان العسكري، على الرغم من هشاشته الحاضرة (الظاهرة)، مسكون بالتشيع ومخترق بالرفض، وسيرى الناس أن ذلك الجيش الهش سوف يتحول إلى وحش لا يكف عن النهش في الكيان السني، بعد أن كان أضحوكة العالم في كل مواقفه (المحايدة) مع اليهود، حتى عندما احتلوا العاصمة بيروت! ولقد رأينا إشارة إلى الدور (المنتظر) لجيش «المهدي» القادم في لبنان من خلال أحداث نهر البارد، التي قاتل فيها ذلك الجيش بجدارة لأول مرة في تاريخه؛ لأن العدو كان في تلك المرة مجموعة سنية توصم بأنها «وهابية إرهابية»!

ثالثاً: حزب الشيعة ما ناكف اليهود إلا لأجل أن تخلُص له ولمن وراءه حصة الروافض من أرض الشام في لبنان، فإذا خلصت لهم تلك الحصة، فلن يُسمع لهم مع اليهود حس ولا خبر، وعندها ستكون معاهدات السلام والوئام، بل التعاون والتضامن بين الشيعة وأشياعهم هي السياسة المعتمدة لدى النظام القادم. ومن لا يستطع أن يتصور إمكانية أن يحدث ذلك غداً، فعليه أن يطالع ما يحدث في العراق اليوم بين إيران والأمريكان، وحيث بيّن شيعة العراق لشيعة لبنان، كيف يمكن أن يحوِّلوا العدو إلى صديق يستفيدون منه ويفيدونه، بجامع «مصلحة» وحيدة وفريدة، وهي اجتماع الضدين المتناقضين على العدو المشترك وهم (أهل السنة). وقد أعطى شيعة لبنان اليهودَ إشارة إلى إمكانية ذلك، شهد لهم بها شارون، عندما ذكر في مذكراته أن (إسرائيل) عاشت خمس سنوات من السلام في ظل حماية حزب الله للحدود الجنوبية اللبنانية، حيث مَنَعَ أي وجود سني مقاوم من النفاذ إلى حدود الجليل الأعلى شمال الدولة الصهيونية.

رابعاً: أمر تعامل ما يسمى بـ (حزب الله) مع نصارى لبنان، ظهر فيه من الآن أنه يتجه نحو تأمين كل طرف للآخر، فعصابات (نصر الله) التي اجتاحت المناطق السنية، وقتلت في ثلاثة أيام ما يقارب ثُلُث ما قُتل من اليهود في حرب الثلاثين يوماً (حرب تموز)؛ هذه العصابات لم تمس مناطق النصارى بسوء، وهي إشارة سوء إلى ما قد تكون عليه تحالفات المستقبل بين النصارى وهذا الحزب الذي يسمي نفسه (حزب الله)! وقد طمأنوا النصارى في محادثات قطر، بأنهم لن يمسوا وضع السيادة «المسيحية» على منصبي رئاسة الجمهورية ورئاسة الجيش.

خامساً: شيعة لبنان في سيرهم على طريق الدولة يخلطون الدهاء - بل الخبث - السياسي، مع التمترس والتحرش العسكري، وقد بدؤوا أولى خطوات الخبث السياسي في الشهور الأخيرة بانسحاب كل الوزراء الشيعة من الحكومة التي يترأسها السُّنَّة، وهو ما أوجد أزمة سياسية لم يخرج منها لبنان إلى اليوم، حيث تعيش منذ شهور عديدة





بــلا رئيس! ومن الخبث السياســي المتوقــع أيضاً أن يلعب الروافض على ورقــة (الأكثرية العدديــة) مثلما حدث في العــراق، حيث يَدَّعون ويُدَّعى لهم، أنهم يمثلون ما يزيد على ٣٥ ٪ من مجموع عدد الشعب اللبناني بكل طوائفه، وعينهم - وهم يضخمون عددهم - على أهل الســنة، الذين سينظُر لهم الشيعة من اليوم فصاعداً على أنهم ليسوا الأكثرية، حتى تُسنَد المهام التي لها الأولوية والأهمية للطائفة الشيعية.

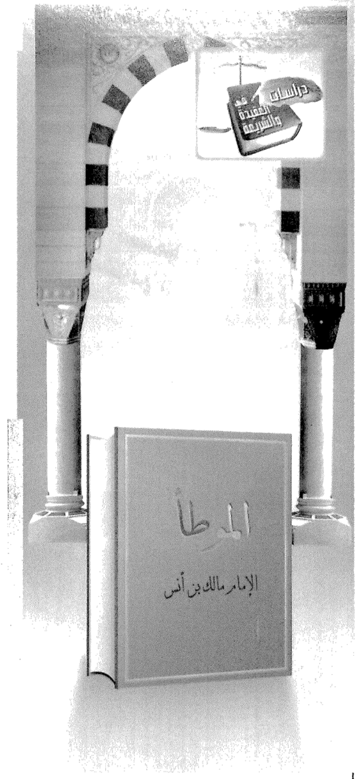
سادساً: استأنف شــيعة لبنان على المســتوى الدولي والإقليمــي والمحلــي إصرارَهــم على اختطــاف البطولة والرجولــة، فحزبهم هــو (حزب الله)، وعملهم العســكري هو المقاومة «الإسلامية»، وســلاحهم هو «سلاح المقاومة»! وهذا الاختطاف اختطاف شــبيه بســطو الثورة الرافضية في إيران على وصف (الجمهورية الإســلامية)، وكأنّ كل ما عداها ليس إســلامياً! وهنا نعجب: كيف احتكر الروافض لأنفســهم الأوصاف الشــريفة، وتركــوا لغيرهم الأوصاف الأدنى والأدنأ؟! فالمقاومة (الإســلامية) شــيعية، و (سلاح المقاومة) شــيعي، والحزب (حزب الله)! إن هذا بلا شك هو اســتباق لفرض وصاية باسم التشيع على المشهد المستقبلي الذي ينتظر لبنان.

سابعاً: خطورة ما يحدث في لبنان أن الشــيعة ليسوا أقليــة بمقاييس الطوائف العددية، فعددهم يزيد عن المليون ومئتي ألف. وحتى لو كانوا أقل مما يقال؛ فهم طائفة منظمة وقوية، ولهذا فلن نســتغرب أو نستعجب إذا ما سمعنا يوماً أن لبنان ســقطت كلها في أيديهم كما ســقطت العراق في أيدي إخوانهم، بل كما ســقطت قبل ذلك ســورية في أيدي الأقلية الشــيعية العلوية، التي هي أخبث الطوائف الشيعية على الإطلاق، وهكذا ينبغي أن ننظر من اليوم فصاعداً إلى القســم الأكبر من أرض الشــام على أنه أصبح من الناحية الواقعية، واقعاً تحت قبضة أعداء الصحابة وأعداء الســنة الذين يقبلون التعامل مع كل عدو، إلا أهل الإسلام.

ثامناً: العدو «الظاهر» لحزب الشــيعة في لبنان، وهم الإسرائيليون والأمريكيون، سيحيروننا في تعاملهم مع شيعة لبنان في المرحلة القادمة، كما حيرونا في تعاملهم مع شيعة العراق وإيران، وسوف يشكل ذلك التعامل لغزاً لدى الأكثرين منا عندما لا يســتطيعون أن يفهموا كيف يتعاون ذلك العدو مــع عدوه، للدرجــة التي يتوهم بعضهم فيهــا بأن لا عداء حقيقيــاً بينهم، لكن هذا اللغــز لا يفكّه إلا العلم بأن ما بين هذين الطرفين من عداء هو مجــرد «عداء مصالح» فقط؛ فإذا سُــوِّيت قضايا المصالح فلا عــداء، في حين أن هناك عدواً مشــتركاً، كان بالأمس عدواً وسيظل غداً عدواً، حتى لو كانت كل المصالح عنده وهم: المســلمون الممثلون للإسلام الصحيح، وهم أهل السنة؛ فهؤلاء هم العدو الأكبر للطرفين، ولهذا يجتمع الشيعة مع الأمريكيين وحلفائهم لعداوة السنة، علــى الرغم من كل التناقض والتنافــس بينهما، كما يحدث الآن فــي العراق. والمحذور هنا: أن يتكرر في لبنان ما حدث في العراق، فيغض الأمريكيون والإســرائيليون الطرف عن حزب الشيعة لإنهاء الوجود السني في بلاد الشام أو إنهاكه. والمحــذور الأكبر من ذلك أن يتكرر (ســيناريو) ما أحــدثه ما يســمى (حزب الله) في لبنان على أيدي من يدَّعون أنهم (حزب الله) في بقية البلدان!

تاسعاً: إذا كان بعضهم يضع ما يسمى (حزب الله) ضمن إطار «أنقى» و «أرقى» وربما «أنصح» و «أنضج» للمســلمين من غيره من أحزاب الشــيعة الأخــرى، فعليه أن ينظر إلى الواقع من الحالات الشيعية خارج لبنان ليعرف المتوقع داخل لبنان؛ حيث ســيرى بعيــن البصيــرة ما ستصير إليه مآلات ذلك الحزب واتجاهاته في تعامله مع المسلمين السُّنة هناك؛ فالفتن هي ســبيل الشــيعة على طريق «التمكين»، وشجرة الفتنة تلك منذ أن وضع بذرتها اليهودي عبد الله بن ســبأ؛ لا تــزال تورق وتثمر على امتداد الأزمنة والأمكنة. أما اليوم فما علينا، لكي ندرك خطر ثمراتها الخبيثة، إلا أن ننظر إلى مقدمات الفتن ونتائجها هنا وهناك: فتنة شيعية في العراق، وقبلها فتنة شيعة أفغانستان، وبعدها فتنة شيعة اليمن، غير مـــا يتوقع أن يظهر إلى العلن من فتن الروافض هنا وهناك، لكن من شــدة فتنة (نصر الله) أنَّ أمرها عمي عن الأكثرين، من شدة استعمال الدجل في الترويج لها؛ حيث قد بلغ قدراً عالياً مـــن الدقة والإحكام حتى أصبــح الكثيرون من «أهل السنة» يستميتون بسبب ذلك في الدفاع عن «أعداء السنة»! حقاً إنها سنوات خَدَّاعة!

عاشراً: ســقوط بيروت اليوم، وبالأمس بغداد، وقبلها دمشــق، لا ينبغي أن يجعل من المبالغة أن نحذِّر من سقوط عواصم أخرى، قد تكون مناعتها أقل، ومقاومتها للســقوط أضعف، في ظل انتماء غير حقيقي من السنة لمذهب السنة، في مقابل تعصب غير معقول من الشــيعة لكل ما هو شيعي وشعوبي.



المنهج العلمي لإمام دار الهجرة

أحمد ذو النورين

كانت مدينة (طابة) المباركة عاصمة الدولة الإســلامية قد حظيت بما لم يحظ به غيرها من مدن الأرض؛ إذ كانت منشــأ الإســلام، ودار الهجرة، ومقام النبــي ﷺ، ومنطلق الجهاد، ومنتشَــر إشــعاع نور الهداية، فجمعت بين لابتيها مجتمعاً من الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يجتمع مثله على أرض سواها، فكان أهلها أفقه الناس بالوحي، وأعلمهم بالتنزيل، وأبصرهم بأحكام الشرع المطهر، فتهذب فيها أَجِلَّةُ الصحابة وعلماؤهم على يدي المصطفى ﷺ.

وطفقوا ينشرون الوحي في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وقد أخذوا عنه كل شــيء رأي العين.. «صلوا كما رأيتموني أصلــي»[1]، «خذوا عني مناســككم»[2]، فامتلأت صدورهم قرآناً وقلوبهم إيماناً وأفئدتهم إحســاناً. يقول أبو عبد الله الحاكم النيســابوري في كتابه (المدخــل إلى كتاب الإكليل): «روى الحديــث عن النبي ﷺ من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة، صحبوه نيِّفاً وعشــرين ســنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجــرة؛ حفظوا عنه أقوالــه وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده وعبادته، وسيرته، وســراياه ومغازيه، ومزاحه وزجره، وخطبته، وأكله وشربه، ومشــيه وســكونه، وملاعبته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبه إلى المســلمين والمشركين، وعهوده ومواثيقه، وألحاظه وأنفاســه وصفاته، هذا ســوى ما حفظوا عنــه من أحكام الشريعة، وما سألوه عنه من العبادات والحلال والحرام، أو تحاكموا فيه إليه»[3].

فقامــوا جميعاً أحســن قيــام بواجبهــم تجاه دين الله

(١) البخاري (٦٣١) ومسلم (٦٧٤).
(٢) مسلم (١٢٩٧).
(٣) المدخل إلى كتاب الإكليل، ص(٧-٨).

- تعالى - حفظاً وتبليغاً ودعوة وجهاداً؛ فكانوا أكثر الخلق خشية لله تعالى، وأرعاهم للدين، وأحفظهم للسنة، وأبعدهم عن الخنا والكذب، وأحرصهم على استقامة المسلمين، فجمعوا القرآن واجتمعوا عليه، وحفظوا السنة واستوثقوها، فكان منهم علماء فقهاء أجلة لم يعرف التاريخ لهم نظيراً: أمثال: أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، وأم المؤمنين عائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومعاذ بن جبل، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وأبي موسى الأشعري، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين. فكان من هؤلاء فقهاء مكثرون في الفقه والرواية، وقد سلك التابعون منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - في العلم والفقه في أحكام الشريعة، وعنهم أخذوا الكتاب والسنة علماً واتباعاً وسمتاً ودلاً، كما نقلوا عنهم اجتهاداتهم، محتذين بهم فيما وضعوه من ضوابط، وما استخلصوه من قواعد وما استنبطوه من مقاييس. وهكذا كان الأئمة من بعدهم في حرصهم على العمل بالكتاب والسنة، واتباعهم لفهم سلفهم من الصحابة والتابعين ممن عمت الشهادة لهم بالخيرية والصلاح.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتعدد الأعراق والأجناس الداخلة إلى الإسلام؛ بدأ المتمسكون بمحجة السلف المتشبثون بمنهج الصحابة - رضي الله عنهم - يتمايزون من غيرهم، وبدأت دائرة الاختلاف تتسع، وطفق بعض فقهاء الأمصار يركن إلى الرأي، فنتجت بعض الفتن وأخذت تتوالد، واستُحدث الجدل، ونشأت المدارس الفقهية وتعددت، فكانت المدينة التي عاش في أكنافها المهاجرون والأنصار موئل السنة ومنبذ البدعة، وكان علماؤها ورثةَ العلم النبوي وامتداداً للرعيل الأول، وكان ممن بزَّ نظراءه في ذلك الإمام مالك الذي لُقِّب بـ (إمام دار الهجرة) تلك الدار التي كانت زكاتها ظاهرة وعلامات رفعة شأنها باهرة. يقول ابن تيمية: «مذهب أهل المدينة النبوية، دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة؛ إذ فيها سن الله لرسوله محمد ﷺ سنن الإسلام وشرائعه، وإليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقاً وغرباً في الأصول والفروع». هكذا هي المدينة قد طبّق أرجاءها الصفاء المذهبي المبني على منهج السلف المؤسس على النقل فهماً واستدلالاً.

• اعتصام مالك بالسنة وشدة تحرّيه في نقلها:

في هذا الجو العلمي المفعم بعبير السنة ورَوْح الخلافة الراشدة وأريج حياة الصحبة النقية؛ بدأ مالك - رحمه الله تعالى - في طلب العلم مبكراً، حيث ذَكَر عن نفسه أنه كان يأتي نافعاً وهو غلام، كما رُئِيَ في حلقة ربيعة وفي أذنه شَنْف. قال القاضي عياض: «وهذا يدل على ملازمته الطلبة من صغره»(١).

وقد كانت أمه من أحرص الناس على توجيهه إلى طلب العلم، ذلك أنها ذات مرة ألبسته ثيابه وأرسلته إلى حلقة ربيعة، ثم قالت له: «تعلَّم من أدبه قبل علمه»(٢). وهذا من شدة ذكائها؛ إذ البداءة بالوسائل قبل المقاصد، والعلم أساسه الأدب والخلق وحسن السمت. وكان مالك نابغة اجتمعت له الحافظة والذكاء.

كان منهج مالك في التلقي عن طريق العَرْض وأحياناً عن طريق السماع، يقول ابن سعد: «سئل مالك عن حديثه: أسماعٌ هو؟ فقال: منه سماع، ومنه عَرْض»(٣).

ونقل القاضي عياض عن مالك قوله: «إن هذا البلد (يعني المدينة) إنما يُقرَأ فيه على العالم»(٤)، وكانت لمالك ضوابط منهجية في انتقاء من يتعلم على أيديهم، حيث قال: «أدركت بهذا البلد مشيخةً أهلَ فضل وصلاح يحدِّثون، ما سمعت من أحد منهم شيئاً قط، قيل له: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: كانوا لا يعرفون ما يحدثون»(٥).

وقد حدد مالك - رحمه الله تعالى - منهجه في تلقي العلم بتصنيفه للمشتغلين به إلى أربعة أصناف:

١ - صنف يكذب في حديثه ولا يكذب في علمه.

٢ - صنف جاهل بما عنده.

٣ - صنف يرميه الناس بالسوء.

(١) ترتيب المدارك (١/١٢١).
(٢) التمهيد (٣/٤).
(٣) الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة (٤٣٧).
(٤) ترتيب المدارك (١/١٥٨).
(٥) التمهيد (١/٥٤).

٤ - صنف رابع، وهم الذين كانوا أهلاً لأن يُكتَب عنهم العلم في نظر مالك؛ فهم أهل التقوى والورع والصيانة والإتقان والعلم والفهم، يعرفون ما يخرج من رؤوسهم وما يصلون إليه غداً، فهم الأحرى والأجدى بالأخذ عنهم، فارتوى مالك من معينهم الثر، ونَهَل من علمهم الوافر[1].

ولم يكن يأخذ عن الأصناف الثلاثة؛ لأنه كان يرى أن العلم بالمنزلة التي توجب التحري في أخذه. يقول - رحمه الله تعالى - في ذلك: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[2]، بل في صريح كلام مالك أنه لا يؤخذ العلم عن أربعة، حيث قال: «لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحدث»[3].

وكان مالك يرى أن السنة التي يعد التزامها مطلباً شرعياً ضرورياً؛ تتمثل في الاستقامة على مَهْيَع[4] الحق ونهج صراط الله المستقيم الذي سلكه رسول الله ﷺ وتبعه عليه صحابته رضي الله عنهم. وبناءً على ذلك؛ عَمِل مالك على استسقاءِ تلك المحجة وذلك المنهاج من أجلة علماء عصره، فاختار الأخذ عن بعضهم لعلو سنده، واكتسب من آخرين منهم دماثة الخلق، وعلى يدِ كوكبة منهم أخرى تفتقت مداركه واتسع عقله، فعلت منزلته في السَّبْر المعقلَن والاجتهاد المتروي في النصوص ترجيحاً وجمعاً واستخلاصاً من غير حيرة أو جمود، بل في انقياد وتعظيم لتلك النصوص وأخذٍ بمقتضياتها والتزام بقدسيتها، فجمع الله له رجاحة العقل، وحصافة الرأي، وجمال الهندام، وحسن المظهر، وصلاح النفس، وصدق الحديث، وطيب السريرة، وبذلك استوى عوده واكتمل بناؤه الشخصي، وألِفَ العلم والصبر عليه والمثابرة في سبيل تحصيله، فكان يختار شيوخه اختياراً وينتقيهم انتقاءً، كما قال عنه سفيان بن عيينة: «رحم الله مالكاً، ما كان أشد انتقاءه للرجال! فهو لا يبلغ من الحديث إلا حديثاً صحيحاً، ولا يحدث إلا عن ثقات الناس»[5].

(١) ترتيب المدارك (١/١٣٦).
(٢) المصدر السابق (١/١٣٦)، والديباج (١/١٠٠).
(٣) التمهيد (١/٥٣-٥٤).
(٤) المَهْيَع: الطريق البيِّن.
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/٧٣).

أما تعظيم مالك لنصوص الشرع وتحريه لسنة المصطفى ﷺ والتزامه لها وتحذيره من مخالفتها؛ فهو أشهر أمره. جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ: كذا ... فقال الرجل: أرأيت..؟ قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][6]، وكذلك أجاب من سأله: من أين أُحرِم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أَحرَم رسول الله ﷺ، فقال الرجل: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال مالك: «لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة! فقال الرجل: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها رغبة في الأجر! قال مالك: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك تأتي بفضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ؟! وإني سمعت الله - تعالى - يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][7].

وهكذا دأب إمام دار الهجرة على التحذير من أهل الرأي، حيث قال: «إياكم وأصحاب الرأي! فإنهم أعداء أهل السنة»[8].

ومن تعظيمه لهذه النصوص؛ أنه لم يكن يحدِّث أو يفتي إلا على طهارة؛ إجلالاً لأمر الله - تعالى - ورسوله ﷺ، وكان إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره، وقال: قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، «فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ؛ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ»[9].

- **منهج مالك العلمي:**

لقد أراد مالك أن يعيش العلم حياة وسلوكاً ومنهجاً، حتى يقيمه في سيرته وأخلاقه ومعاملاته حياً يتراءاه الناس، حيث كان يقول: «حقاً على من طَلَب العلم أن يكون عليه وقاراً وسكينةً، ويكون متبعاً لآثار من مضى»[10].

كان مالك شديد الخشية لله تعالى، ولم يكن يتلقى العلم إلا عن الراسخين فيه، فأسس منهجاً ذا قواعد مؤصلة ودعائم راسية، ومعالم كانت نبراساً في ميدان الطلب والإفتاء والتدريس، فكان مثالاً للتأني في الأخذ، وأسوة في

(٦) حلية الأولياء (٦/٣٢٦).
(٧) انظر: تزيين الممالك، ص (١٥)، وانتصار الفقير السالك، ص (١٥٦).
(٨) اعتقاد أهل السنة (١/١٢٣)، وحلية الأولياء، (٦/٣٢٧).
(٩) المنتظم لابن الجوزي (٣/١٣١).
(١٠) الإلماع للقاضي عياض ص، (٥٢).

التثبت، ورمزاً للتحري في الفتوى، ويعضد صفاته تلك شدة حيطته وسرعة أوبته للحق، وفزعه إلى قول: (لا أدري) حين لا يجد طمأنينة للجواب. وقد عُرف برفضه الباتّ للحديث عن الفرضيات و (الأرأيتيات)[1]، ونبذه للحيل الفقهية، فاصطبغ منهجه بالصفاء، وبالخلو من متناقضات الأفهام وشذوذ الآراء ومتطرفات المنازع وعوارض الأغاليط، فتكونت لديه منهجية علمية شديدة الحساسية تجاه مخالفات السمت العلمي القائم على الإذعان للوحي والتشبث بفهوم السلف والإعراض عن المراء والجدل، بل كان يرفض أن تكون مسائل الشريعة هدفاً لجدال المجادلين ومراء الممارين، فلم يكن مأخذه إلا من القرآن نصاً أو عموماً أو دلالة، معتقداً أنه مشتمل على كليات الشريعة، وأن السنة النبوية جاءت لبيان تلك الكليات.

ونظراً لإمامته في الحديث، وعلو كعبه في الفقه وبلوغه أبعد الشأو، ونفاذ البصيرة في الفتيا واستنباط الأحكام، وخبرته بالمدينة وأهلها، ومراعاة منه للمدة التي احتضنت خلالها النبي ﷺ، والوحي يصبِّحه ويمسِّيه، وكذلك اكتنافها للخلافة الراشدة أيام المهديين؛ فإن ذلك كله قد دفع مالكاً إلى اعتبار أهل المدينة في عصره تواتراً يمثل السنة المأثورة، فقدَّمه على خبر الآحاد والأخذ بالقياس، كما قاده إلى أن جعل من فتوى الصحابة - رضوان الله عليهم - مستنداً يركن إليه إن لم يجد في القرآن ولا في السنة طَلِبَتَه، وقد أتبع تلك الفتاوى بفتاوى التابعين، كما أخذ بالاستحسان المتمثل في العمل بأقوى الدليلين، ناظراً إلى حفظ مقاصد الشرع، معتنياً بالمصالح المرسلة، مهتماً بسد الذرائع، حاكماً على الوسائل بأحكام الغايات.

لم يكن مالك يحابي أحداً في الحق أو يجامله فيه، بل كان يعلي شأن الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرى ذلك سفينة نجاة المجتمع، والسبيل إلى حفظ قيمه وأخلاقه، وكان ممن نالتهم يد البلاء في سبيل الحق.

وكان مع كل هذا نموذجاً للتفكير العلمي الواقعي، عليماً بمواقع النص، خبيراً بمنازل الفتوى، حتى قيل: (لا يُفتَى ومالكٌ في المدينة)[2]، مما مكنه من التأليف في مجالات كثيرة، وأتاح له فرصة تنوع المؤلفات، ومن أبرز مؤلفاته كتابه: (المُوَطَّأ) الذي طبق الآفاق، واشرأبت له أعناق الدارسين من

(١) مصطلح كلامي من قول القائل: أرأيت لو كان كذا..؟

(٢) مغني المحتاج (١/٣٥٦).

كل أصقاع الأرض، وهو الأمر الذي لم تتميز به بقية مؤلفاته التي يقول عنها القاضي عياض: «فإنما رواها عنه مَنْ كتب بها إليه، أو سأله إياها، أو آحاد من أصحابه، ولم تروها الكافة»[3].

ومن تلك المؤلفات:

١ - رسالة لابن وهب في الرد على القدرية.

٢ - رسالة في الأقضية، كتب بها إلى أحد القضاة.

٣ - رسالة في الفتوى.

٤ - رسالة إلى خليفة المسلمين هارون الرشيد في الآداب والمواعظ. وقد طُعن في نسبتها إليه[4].

٥ - كتاب في التفسير لغريب القرآن.

٦ - رسالته في إجماع أهل المدينة إلى الليث بن سعد[5].

• التزام الإمام مالك بمنهج الصحابة، رضي الله عنهم:

كما سبق، تميزت - في المدينة - كوكبة من الصحابة - رضي الله عنهم - بالفقه ورجاحة العقول وسداد الآراء، وكان إمام أولئك ومركز حركتهم عمر، رضي الله عنه. وقد انتقل فقههم إلى فقهاء المدينة السبعة: (سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن عبد الله بن عقبة، وخارجة بن زيد، وسليمان ابن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر)، وعن هؤلاء ورث تركتهم العلمية الثرة تلاميذهم من أضراب ابن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري، وزيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، ونافع مولى ابن عمر، وربيعة الرأي، وأبي الزناد، وقد ترك هؤلاء جميعهم لإمام دار الهجرة مالك بن أنس منهجاً متكاملاً علماً وعملاً. يقول ابن تيمية: «وكان أهل المدينة فيما يعملون: إما أن يكون سنة عن رسول الله ﷺ، وإما أن يرجعوا إلى قضايا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ويقال: إن مالكاً أخذ جُلَّ الموطأ عن ربيعة، وربيعة عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن المسيب عن عمر، وعمر محدَّث..»[6].

والمستعرض لجانب من حياة الإمام مالك يرى أنه كان

(٣) ترتيب المدارك (٢/٧٠-٩٠).

(٤) ترتيب المدارك (٢/٩٣).

(٥) ترتيب المدارك (٢/٩٠-٩٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٠/٣١٢).

قَمِنـاً بوراثة علم هؤلاء، وأن المذهب الذي ينسب إليه كان قد تأسس قبله، وأقيمت أصوله وقواعده، فلم يزد أن التزم به واجتهد في إطاره، وعبارات الموطأ كفيلة بتوضيح ذلك، فليس قول مالك في كتابه المذكور: (والأمر المجتمَع عليه عندنا.. أحسن ما سمعت.. الأمر عندنا، هذا أحب ما سمعت.. الأمر ببلدنا.. الذي أدركت عليه الناس.. أدركت أهل العلم.. سمعت أهل العلم.. السُّنَّة عندنا..)؛ ليست هذه العبارات إلا اعترافاً صارخاً بانتماء مالك لمذهب فقهي قد استقرت أعلامه وأسسه، وتسلسلت حلقاته، يورثها جيل لمن بعدهم، حتى جمع أزمَّتها إمام دار الهجرة. وهذا ما يبين نصاعة المذهب المالكي، وقوة التزام مالك بمنهج الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن قول الإمام الشافعي: «رضيت بمالك حجة بيني وبين الله»(1) إلا لما رأى فيه من حب السنة واتباعه لأثر النبي ﷺ واهتدائه بهدي الصحابة رضي الله عنهم. وكثرة ورعه وخشيته لله تعالى، وبُعده عن البدعة ودحضه للشبهة.

وكذلك كان مالك في بناء منهجه العقدي على النصوص من الوحيين، متبعاً لا مبتدعاً، بل كان لا يتجاوز فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان - رضي الله عنهم - لتلك النصوص إن وجده، بعيداً عن القول بغير علم أو التخرُّص من غير بينة. فكان تعلقه شديداً بصراط هؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - معظماً لما كانوا عليه مستقيماً على منهجهم، ويرى كل السوء والفحشاء في تنقُّصهم والنيل منهم.

أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري قال: قال مالك بن أنس: «من تنقَّص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ؛ فليس له حق في فيء المسلمين». ثم تلا قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غلٌّ فليس له في الفيء حق»(2)، بل كان النكير من مالك - رحمه الله تعالى - على منتقصي الصحابة - رضي الله عنهم - شديداً. ذُكر في مجلسه مرةً رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك قول الله - تعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية»(3).

• ورع مالك وإنصافه ونبذه للتعصب:

لقد كان مالك - رحمه الله تعالى - غاية في الإنصاف والتواضع والورع، عميق الفقه، بعيداً عن الإعنات والأنا والتكلف، وما قصته في رفضه أمر المنصور تعميمَ (موطَّئه) إلا صفحة من تلك الصور. يقول مالك: «لما حج أبو جعفر المنصور دعاني، فدخلت عليه فحادثته، وسألني فأجبته، فقال: إني عزمت أن آمر بكتبك هذه التي قد وضعت [يعني الموطأ] فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يعتدوها إلى غيرها، ويدَعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدَث؛ فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل هذا! فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنّ ردَّهم عما اعتقدوه شديد، فدَعِ الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم»(4). فهذا نموذج من أعظم صور التعلق بالحق والتجرد له والبعد عن التعصب والأنا.

بل كان - رحمه الله تعالى - شديد النكير على المتعصبين، كامل التعلق بكتاب الله - تعالى - وسنة نبيه ﷺ، نابذاً لما عارض ذلك. ومن المأثور عنه في هذا المضمار قوله: «ليس كل ما يقول الرجل - وإن كان فاضلاً - يُتَّبع، ويُجعَل سنة، ويذهب به إلى الأمصار، قال - تعالى -: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨](5)، وكان يحذِّر أصحابه من التعصب لقوله، أو التعلق برأيه في مواجهة النص؛ حيث قال: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(6). ذلك أنه كان يرى

(1) التهذيب (١٠/٨).
(2) الحلية (٦/٣٢٧).
(3) المرجع السابق.
(4) الموطأ، رواية محمد بن الحسن (١/٥).
(5) ترتيب المدارك (١/١٨٢).
(6) الاعتصام (٢/٣٠١).



أن صلاحَ خَلَفِ الأمة لا يكون إلا بانتهاج ما كان عليه سَلَفُها من التمسك بالكتاب والسنة، ولذلك قال: «لا يُصلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»(١).

ولقد كانت محبة السنة النبوية والذود عنها والسعي إلى حفظها؛ أحد أهم الأسباب التي دفعت مالكاً إلى تصنيف موطئه الذي توخى فيه اختيار أقوى أحاديث أهل الحجاز ممزوجة بأوثق ما نُقِل من أقوال الصحابة، محشوّة بأصوب فتاوى التابعين، من غير انتصار لرأي، أو نبذ لحقيقة، أو رفض لحجة.

وقد ورث عن مالك كبراء علماء المالكية هذا المنهج، فذموا التعصب ووسموه بكل نعوت القبح. يقول أبو العباس المقري، وهو من كبراء علماء المالكية: «قد ضل بعض الناس، فحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة»(٢)، بل عد المقري معارضة النصوص بأقوال الرجال من أشنع أنواع التعصب وأبشع صنوف التنكيب عن مَهْيَع الحق، فذكر جملة من القواعد الفقهية تعد جواهر في هذا الخضم، حيث يقول: «قاعدة: لا يجوز رد الأحاديث إلى المذاهب على وجه ينقص من بهجتها، ويذهب بالثقة بظاهرها؛ فإن ذلك إفساد لها وغضٌّ من منزلتها، لا أصلح الله المذاهب بفسادها، ولا رفعها بخفض درجاتها، فكل كلام يؤخذ منه ويرد إلا ما صح عن رسول الله ﷺ»(٣).

ولتصويب التصور وردع الغلو المذهبي؛ يطالعنا بقاعدة أخرى نحن أحوج ما نكون إليها في هذا الزمان الذي استشرى فيه التعصب المذهبي والتعلق بآراء الرجال بعيداً عن أي مستند من الوحي، فيقول: «قاعدة: لا يجوز التعصب للمذاهب بالانتصاب للانتصار بوضع الحِجَاج وتقريبها على الطرق الجدلية مع اعتقاد الخطأ والمرجوحية عند المجيب كما يفعله أهل الخلاف، إلا على وجه التدريب على نصب الأدلة والتعلم لسلوك الطريق بعد بيان ما هو الحق؛ فالحق أعلى من أن يُعلَى عليه وأغلب من أن يُغلَب»(٤).

وهكذا نجد النظرة نفسها عند الإمام القرافي حين يبين مسلكه في كتابه الذخيرة قائلاً: «وقد آثرت التنبيه على مذهب المخالفين لنا من أئمة المذاهب الثلاثة ومآخذهم في كثير من المسائل؛ تكميلاً للفائدة، ومزيداً في الاطلاع؛ فإن الحق ليس محصوراً في جهة؛ فيعلم الفقيه أي المذهبين أقرب للتقوى وأعلق بالسبب الأقوى»(٥).

وهذا الإمام الشاطبي يبين أسباب التعصب المذهبي ومضاره وأنه خروج على منهج السلف بقوله: «ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال؛ أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم؛ فضلّوا عن سواء السبيل»(٦).

وخلاصة القول: إن الإمام مالكاً من أعلم علماء الأمة، وأكثرهم تعلقاً بالدليل، وأوضحهم مسلكاً، وأنصعهم عقيدة، وأبعدهم عن التعصب لرأيه أو رأي غيره، ولم يكن يترك الدليل ليعارضه بآراء الرجال، وكذلك كان كبار علماء المالكية.

ذلك أن الارتماء في أتون التعصب المقيت يتعارض مع المنظومة الإسلامية، وتقلاه(٧) العقول السليمة لما يُفضي إليه من تمزق المجتمع الإسلامي، وفُشوّ المشاحنة والبغضاء والإعراض عن الوحي، وهو الأمر الذي يتعارض مع نصوص كثيرة ظلت تدعو إلى الألفة والمحبة ونشر الإخاء، كقول الله - جل ذكره -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله - تعالى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله - جل وعلا -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد ذكر النبي ﷺ أن دخول المؤمنين الجنةَ مشروط بتحابُبِهم «والذي نفسُ محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا..»(٨)، فالأصل الضامن للنجاة يتمثل في التزام المحجة البيضاء التي تركَنا عليها رسول الله ﷺ، التي سار عليها أئمة السلف كمالك وغيره، رحمهم الله جميعاً.

أسأل الله - تعالى - أن يوفقنا إلى نهج السبيل الأقوم، وأن يأخذ بنواصينا إلى الحق، وأن يجعلنا من أهل البر والتقوى.

(١) الرد على الجهمية، ص (١٢).
(٢) نفح الطيب (٢//٥٢١).
(٣) قواعد المقري (٢/٣٩٦).
(٤) المرجع السابق (٢/٣٩٧)، وانظر، المامي: المذهب المالكي: مدارسه ومؤلفاته، ص (٥١٨).
(٥) الذخيرة (١/١٣٥).
(٦) الاعتصام (٢/٣٠٢).
(٧) تقلاه: تُبْغِضه.
(٨) مسلم: ح (٥٤).





المشروع الإسلامي... رؤية سلفية

د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan.co.uk

من التعبيرات التي شاعت في السنوات الأخيرة واشتهرت في الاستعمال بين العاملين للإسلام - فيما يشبه المصطلح - تعبير (المشروع الإسلامي)، ويقصد به مُرَوِّجوه: ما يمكن أن يقدمه الإسلاميون في مجموعهم من رؤى أو نظريات قابلة للتحول إلى عمل للتغيير إلى الأفضل بحيث تصلح لأن تُقَدَّم بديلاً عن الواقع الحالي الذي تعيشه الأمة في ظل «المشروعات» غير الإسلامية في معظم بلدانها، بعد غياب سلطان القرآن وذهاب كيان المسلمين العالمي الجامع.

وهذا التعبير المصطلَح عليه - كغيره من المصطلحات والتعبيرات الحادثة - مثل: (الصحوة الإسلامية) و (النهوض الإسلامي)، و (الحل الإسلامي)، و (التغيير الإسلامي)، و (الخطاب الإسلامي) و (الإسلام الحضاري)، وغير ذلك من المصطلحات الجديدة الموضوعة على معانٍ صحيحة وأصيلة؛ لن يجد من الجادين من يتوقف عند مبدأ التعبير به أو الاصطلاح عليه، بمقدار ما يتوقف عند تفاصيل الوصول إليه باعتباره فكرةً تعبِّر عن هدف يتنادى به الجميع، وهو استعادة الدور الريادي للمسلمين في إيصال رسالة الأمة إلى أمة الرسالة.

سنستعمل هذا «الاصطلاح» دون مُشَاحَّة، لنعبر به عن متطلبات النهوض الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية الصعبة، المليئة بالتحديات الداخلية والخارجية، غير أن المطلوب هنا ليس إعادة تكرار الكلام واجتراره عن الجانب الفكري النظري الأجرد عن النصوص المحكمة والثوابت الهادية، وإنما المراد إعطاء الحديث عن المشروع الإسلامي بُعْداً تأصيلياً شرعياً يستهدي بالنصوص المعصومة، والأفهام المزكاة للأجيال المفضَّلة من هذه الأمة المرحومة، دون تجاهل

لواقع الناس، أو تجهُّم للواقعية المطلوبة في التغيير.

لعل الحديث عن ذلك تجتمع أطرافه إذا صِيغ في صورة أسئلة عن ذلك (المشروع الإسلامي)، وما يحيط به من قضايا ملحة، وذلك على الوجه الآتي.

- هل هناك ضرورة لمشروع إسلامي؟
- ما مدى افتقار جوانبه العملية إلى ضوابط علمية؟
- ما عناصر التكوين الصحيح لذلك المشروع؟
- ما أدوات تحقيقه؟
- ما ضمانات نجاحه؟
- ما العقبات في طريقه؟

هذه أسـئلة كبيرة وملحة، ربما لا يتسع المقام لتغطيتها كلها، ولكن الاجتهاد والحيـاد مع الانضباط والإنصاف في الإجابـة عنها، سـوف يعطي التصور الأقـرب للصحة عن مسـيرة هذا المشـروع حاضراً وعن معالمه مستقبلاً. وهذه الإجابـات على كل حال ينبغي أن تجتمع على وضعها عقول، وأن تلتقي على المضي بها قلوب وسواعد؛ لأن قضية النهوض بدعـوة التوحيد لم تكن - ولن تكـون - مهمة فصيل بعينه أو حـزب بخصوصه أو اتجاه بمفرده، وإنما هي دور سـائر العاملين المخلصين في الجماعة الجامعة أو (الجماعة الأم) على الحقيقة وهي: الكيان العام لأهل السنة والجماعة.

هذا المقال - بطبيعة الحال - يسـوق رؤى ستحتاج إلى آراء ونظـرات وربما تفتقر إلى منظِّريـن لمزيد من الإحكام والتمكين، ولسـنا فـي عجلة في أمر الوصـول إلى صيغة (شـرعية تأصيلية) لمعالم المشروع الإسلامي، فإذا ما توافر الصدق والعزم والجدية، ونحّينا التوجس ووسـاوس التعالي والنِّدِّية؛ فإن الحديث سـيأخذ مجـراه بتوفيق من الله في الوصـول إلى المأمول بتحديد الإجابة أو تجديدها عن ذلكم السؤال الكبير: (إلى أين وصل المشروع الإسلامي؟).

• المشروع الإسلامي الشامل ضرورة:

إذا كان للأديان والمذاهب الباطلة مشروعاتها التغييرية المغرضة داخل العالم الإسـلامي وخارجـه، وإذا كانت هذه المشروعات لها أوجه مختلفة: سياسية وعسكرية واقتصادية وإعلاميـة وتعليميـة، وإذا كان أصحاب هذه المشـروعات يسـتهدفون تغيير واقعنا وتوجيه مصالحنا إلى ما يناسـب واقعهم ومصالحهم، وإذا كانت أمتنا واقعة بالفعل تحت تأثير العديد من هذه المشـروعات التي اتخذت من شعوب عالمنا الإسلامي حقول تجارب عبر عقود طويلة، مرة باسم إشاعة الشـيوعية الماركسية، وأخرى لأجل إقامة «المشروع القومي» ومرات باسم الوطنيات ذات الطبيعة العلمانية يسارية كانت أو ليبراليـة، إذا كان كل ذلـك كذلك؛ فـإن الضرورة كانت تفرض منذ بدأ ذلك الاختراق أن يجابه المسلمون مشروعات الأغيار من الخارج، بمشـروعات تغييـر في الداخل، يصنع من الثوابـت والمحكمات حوائط صد مضادة، تحفظ هويتنا وتصون شـخصيتنا. وعلى الرغم من تأخر مشروع النهوض الإسلامي المناهض للهيمنة الأجنبية المتعددة الأوجة، إلا أن السـنوات الأولى من القرن الهجري الحالي، شهدت بدايات تحوّل وصعود في ميادين التغيير كافة، حيث شـهدت الأمة عملية إحياء مفاهيمي لدى شـريحة كبيرة منها لا يستهان بهـا، تحولت بعـد ذلك إلى تحـركات، توفَّق مـرة وتُخْفِق أخـرى، ولكنها على كل حال لا تزال من الناحية العلمية دون التنظيرات العلمية شمولاً وتأثيراً.

لـن يجد الأكثـرون صعوبة في تقدير ضـرورة تقديم البديل الإسـلامي، لكل ما أحله المبدِّلون لشرع الله في حياة المسـلمين لكن المحذور - والمحظور أيضـاً - أن تغلب نبرة تقديم الحسي والعقلي المقتصر على الحياتي والمعيشي؛ على الجانب الرسـالي بل النضالي لدعوة الإسلام؛ التي تهدف إلى إزهـاق الباطل وإبداله بقدر ما تهدف إلى إحقاق الحق وإيصاله، مع تكفلها في الوقت نفسـه برعاية أسباب سعادة الإنسان وعمارة الدنيا ورقي المجتمعات.

وإذا كان المشـروع الإسلامي المتكامل يعبر عن أمة هي خيـر أمة أخرجت للناس، ويقـدَّم لها قبل غيرها؛ فإن هذه الأمة التي اقترنت خيريتها برسالتها المذكورة في قول الله - تعالـى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ تحتاج إلـى أن تكون هذه الآية هي العنوان العريض لأي مشـروع إصلاحي تغييري فيها؛ فتمكـين (المعروف) بكل أنواعه من أولـى مهام المصلحين، ويأتي في طليعة ذلك إرسـاءُ قواعدِ أعرفِ المعروفـات وهو التوحيد، ويقابل هـذا هدمُ قواعد

المنكــرات بأنواعها، وفي مقدمتها قواعد وعقائد الشــرك والكفر بالله. وكــل (مشروع) يتخـطـى ذلـك أو يـؤجله أو يتجاهله، فهو مشروع «غير مشروع».

• الإسـلاميون وعناصـر التكويـن الصحيـح للمشروع الإسلامي:

لعل ما ســبق يطرح سؤالاً آخر، وهو: هل نجح العاملون للإسلام في تأسيس عناصر المشــروع الإسلامي الصحيح ومكوناته؟

إن تعيين عناصر ذلك المشــروع ليســت قضية اختراع وابتكار بقدر ما هي قضية اســترجاع واستحضار، فلن يأتي المصلحون والمفكــرون والمنظِّرون بقِيَم جديــدة كي يتبناها المشروع الإسلامي، وإنما مهمتهم تحديد أصولها، ثم تجديد وسائل النهوض بها، وذلك في المجالات المطروحة للإصلاح كافة، كالمجال الاعتقادي والعبــادي والجهادي والاقتصادي والسياســي والاجتماعي والتعليمي والإعلامي، ونحو ذلك. أما أن يُقتصَر الكلام عن المشــروع الإسلامي بالحديث في كلام عن (المشروع السياسي) مثلاً، وكأننا مجرد أحزاب أقلية معارضة في حكومات مسيطرة مستبدة، أو يختصر الأمر عن (المشروع الثقافي) أو يُبتسَر في (مشروع «فكـري»)؛ فهـذا ما يُعد تصغيراً لرســالتنا العظمى بين الرسالات، وتقصيراً تجاه منهجنا الأعم والأقوم بين المناهج والديانات.

لا بد إذن أن يشتمل المشروع الإسلامي على كل مجالات الإصلاح العلمية والعملية، بحيث لا يُقتصَر علـى أحـدها، أو يضخَّم بعضُها على حساب بعضها الآخر.

صحيح أن هناك أولويات تقدَّم، ومهمات لا تؤخَّر؛ لكن التزام الإصلاح التغييري الشــامل ينبغي أن يكون في برامج كل شــريحة من شرائح العاملين للإســلام أو في خططها، ســواء كان دورها في التغيير جزئيــاً أم كلياً، ولا عليها بعد ذلك أن تتحرك بحســب المتاح والمباح مما يفتح الله به عليها من فتوح وهِبَات، قد يتميز فيها طرف عن آخر.

وترجمــة ذلــك عملياً؛ أن لا يدَّعي طرف أنه ســيقوم وحــده بـ (تصميم وتنفيذ) مشــروع النهضة والعودة نيابة عن الجميع، من خــلال تركيزه على الميدان الذي يتميز فيه أو يقتصــر عليه! صحيح أنه لا يوجد من يصرح بذلك قولاً، ولكن هناك الكثير ممن يتبنى ذلك عملاً، فيســير في طريق الإقصــاء المعنوي - أو حتى المــادي - لجهود الآخرين التي يفترض أنها تكمل جهوده وتدعمها.

لعل هــذا يقودنا إلى الاقتراب من التســاؤل اللاحق، وهو:

• ما أدوات تحقيق المشروع الإسلامي؟

إن الجــواب عن ذلك ينبني على أهمية حســم الكلام عن مكونات ذلك المشــروع؛ فــإذا اتفقنا على أن له مكونات متعددة تعكس حقيقة شمول الشريعة التي أكمل الله لنا بها الديــن وأتم النعمة، في الجوانب العلمية والدعوية والتربوية والسياســية والجهادية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها؛ فإن ذلك يقودنا بَدَاهَةً إلى اعتماد القول: بأن أدوات تحقيق المشروع الإسلامي تتعدد بتعدد مكوناته الرئيسية، فلا بد أن تتوزع أنشطة التيارات الإسلامية على تلك المكونات؛ فيكون بعضهــا - مثلاً - أيادي بناء في الجوانب العلمية والتعليمية والتربوية، وبعضها سواعد تأسيس لوجودٍ سياسي واقتصادي فاعــل، وبعضها الآخر ينحو نحو إثبات وجود إعلامي مؤثر، وآخرون ينصرفون نحو الدفاع عن حرمات الأمة ومقدراتها أمــام اعتداء الأعداء، دون أن يَغْمِــط طرفٌ عملَ الآخرين، أو يُغمِض العين عن اعتبــار أن جهده في مجاله يحتاج إلى تكميل بغيره، وأن قيامه بــواجـبه فيـما يحسنه لا ينفي أنّ غيره يقوم بواجبه فيما يحســنه، وأن من واجب كل تيار أن يُعين الآخر ولا يدينه، وأن ينصحه ولا يفضحه، وأن يمد اليد لعونه لا أن يفض الناس عنــه؛ فالتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر، والموالاة العامة للمســلمين، كلها أوامر إلهيــة آكدة، لا يقوم الدين في حيــاة الناس إلا بها. ولهذا جاء الأمر بالتزامها جازمــاً والنهي عن ضدها لازماً فــي قول الله - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ٢ - ٣]، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وهــذه قضية لا فكاك من اعتبارها من ضمانات نجاح المشــروع الإسلامي، فكل اتجاه أو فصيل أو تيار داخل إطار

العمل الإسلامي، يمثل في الواقع أداة تحقيق لأحد مكونات المشروع الإسلامي. ولهذا يمكننا أن نقول: إن آليات تحقيق المكونات في المشروع الإسلامي هي موجودة بالفعل، لكنها تحتاج إلى مزيد من التفعيل والتنسيق والتكميل.

• نجاح المشروع الإسلامي بين الضمانات والعقبات:

نصرة دين الله ورفعة شأن المسلمين ينبغي أن تكون مضمون كل مشروع تغيير يوصف بأنه (إسلامي). وإنجاح ذلك عملياً يكون بإحكام أمور وإحقاقها بحسب الوسع والاستطاعة، وهي:

- تحقيق كلمة التوحيد علماً وعملاً، إخلاصاً واتِّباعاً.
- توحيد الكلمة على ذلك في الأعمال والأقوال.
- التخطيط لرفع الشأن بها، ودفع الشر والضر عن أهلها.
- التعاون بين القائمين بذلك.
- التكامل بين جهود العاملين للدين ورفعة المسلمين.
- تحديث الوسائل وتطوير السبل في إقامتها ونصرتها.

فهذه الأمور الستة: التوحيد، والوحدة والتخطيط، والتعاون، والتكامل، والتطوير، كلها ضمانات رئيسية لإنجاح المشروع الإسلامي المتكامل؛ فكل مشروع لا يعتمد على كلمة التوحيد أساساً لتوحيد الكلمة فلا مشروعية له، وأي خطة عمل نظرية أو عملية تأخذ مسمى (المشروع الإسلامي) ثم تتكبر مع ذلك عن التعاون مع الآخرين، أو تهوِّن من أمر التكامل بينهم؛ فلن تصل إلى شيء في مشروعها. كذلك فإن أي تصور يحاول اختزال المشروع الإسلامي في خطط قديمة دون تطوُّر ولا تحديث تفرضه مستجدات الواقع ومتغيرات الحياة (دون مساس بالثوابت)؛ فإنه لا يستحق شرف الوصف بأنه (إسلامي)؛ فالإسلام معنى عظيم، لا يقترن إلا بعمل عظيم.

لا شك أن أضداد هذه الضمانات أو المقومات في نجاح المشروع الإسلامي، هي عينها التي تحكي أسباب ضياع ذلك المشروع أو تخلُّفه أو تأخُّر نجاحه.

إننا لو تدبرنا في السقطات والمآخذ والآفات التي تسببت في تأخر كثير من المشروعات الإسلامية الجزئية أو الكلية في عصرنا – بل فيما سبق عصرنا – لوجدنا أنها تتوزع على أضداد العوامل المذكورة. وكل ما يمكن أن يكون من سقطات الماضي في مسيرة (المشروع الإسلامي) هو عينه ما يمكن أن يكون عقبات في الحاضر أو معضلات في المستقبل، ولهذا لن نتردد في تأكيد أن المشكلات في سبيل إنجاح المشروع الإسلامي اليوم هي كما كانت بالأمس؛ أولاً: مشكلة الضعف أو الانحراف الاعتقادي، وهو ما يستتبع انحرافاً أو ضعفاً في الأداء العملي، ويلي ذلك؛ مشكلة التفرق في صفوف حَمَلَة المنهج ولو كان هذا المنهج صحيحاً، ثم مشكلة إهمال التعاون لنصرة هذا المنهج على أسس البر والتقوى، ثم مشكلة الارتجال والعشوائية دون تخطيط مسبق أو ترتيب منطقي مفهوم، ثم مشكلة نظرة الاحتقار لضرورة التعاون مع الآخرين، احتكاراً – ربما – لشرف الانتصار بالدين! ثم مشكلة التهاون في شأن تكامل الأدوار لإقامة أركان الكيان الإسلامي في نواحيه النظرية والواقعية؛ حيث إن كل فريق لو ترك الآخر في شأنه دون أن يهدم ما بنى، فلربما تكاملت المباني يوماً وهي متقاربة، فتنشأ منها المدينة الفاضلة. وتلك المشكلة الأخيرة بالذات (غياب التكامل) ربما تمثل القاسم المشترك بين آفات ومخالفات معظم شرائح العمل الإسلامي، وهي – للأسف – أكثر ما يعكس قلة الجدية في تحمل المسؤولية عند كثير ممّن حمَّلهم الله أمانة القيادة الفكرية أو التنظيمية. ولذلك؛ فإن الحاجة ماسة إلى نشر (ثقافة التكامل) في طريقة التعامل بين هؤلاء العاملين؛ إذ إن التحديات والمسؤوليات تفوق إمكاناتنا الراهنة متّحدة؛ فكيف بها إذا كانت إمكانات مفصولة أو معزولة أو مبعثرة؟

وتأتي إشكالية الجمود على الموروث الحزبي أو التنظيمي – فكراً أو حركة – آفةً أخرى تأكل الأخضر اليافع، ولا تترك حتى الشوك اليابس، وتلك ظاهرة داخلية متفرعة من علة ازدراء الآراء الأخرى، حتى داخل الصفِّ الواحدِ أحياناً.

إن المطلوب استكمال متطلبات التكامل على المستويات الخارجية والداخلية في العمل الاسلامي، وهي – كما يظهر عند التأمل – تحتاج إلى عملية (تقريب) كبير تسبقها. وأهل السنة أَوْلى بجهود التقريب فيما بينهم من التقريب مع من عداهم من أعدائهم ومخالفيهم، سواء كانوا من المنسوبين

للقبلة أو الخارجين عن الملة.

○ تقريب السنة للسنة أوْلى جهود التقريب:

إذا كانت هناك جهود بُذلت للتقريب بين السنة والشيعة مثلاً على مدار عقود في لقاءات سرية وعلنية، وأخرى للتقريب بين الإسلام وغيره من الأديان في مؤتمرات محلية ودولية، دون أن يكلَّ الداعون إلى ذلك أو يملّوا؛ فإن الأوْلى ببذل الجهد في التقريب هو ما ينبغي أن يكون بين أهل السنة أنفسهم، فهؤلاء (الأهل) هم أكثر الناس تأهُّلاً لذلك، وتقريب فصائلهم - وبخاصة في ظروف الاستباحة العامة والعالمية لهم من الضواري والكواسر والهوام السامة الزاحفة من أطراف الأرض الأربعة - يتخطى الضرورة الدينية إلى البدهية العقلية.

وأمر التقريب هنا يحتاج إلى تكييف على الأوجه الآتية:

- **تقريب المناهج وتكاملها:** وذلك بتوحيد المصدرية النظرية العلمية وحصرها في المراجع الإسلامية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة والإجماع.

- **تقريب القيادات والمرجعيات وتكاملها:** إذ كلما تقاربت القيادات وتكاملت، تقارب الأتباع وتكاملوا. ولا سبيل إلى ذلك إلا بمزيد من الحوار النزيه، والتناصح الشفوق، مع هضم النفس لصالح المجموع لإنجاح ذلك المشروع وإيصال رسالته.

- **تقريب الاتجاهات والجماعات وتكاملها:** حيث إن ما بُذل - وما يزال يبذل - لتفريق صفوف الإسلاميين بقصد أو بدون قصد؛ يبلغ أضعاف أضعاف ما يبذل لتقريبهم وتوحيد كلمتهم، حيث تحل ثقافة وخطاب الشقاق أو الانغلاق - في الغالب - محل ثقافة التكتل والاتفاق، ويعلو صوت التهاجر والتدابر ليحل محل روح التواصي والتناصح. ولا خيار لشرائح العاملين للدين في الأمة - إذا ما أرادوا حقاً نصرة الدين - إلا بإشاعة فقه الوفاق فيما بينهم، على مستوى الجماعات والمجموعات والأفراد؛ حيث سيثمر ذلك بلا ريب تكاملاً في الجهود، وتعويضاً للنقص الموجود.

- **تقريب الخطاب وتكامله:** وذلك في طرح الإسلاميين خطابَهم أمام عامة الأمة، وخطابهم لعموم الناس. والمقترح في ذلك وضع منظومة مستفادة من خطاب القرآن وهدي سيد الأنام محمد ﷺ، للخطاب فيما بيننا والخطاب مع غيرنا، فأحسن الكلام (وهو كلام الله)، وخير الهدي (وهو هدي محمد ﷺ) يمثلان الأساس لأي «خطاب إسلامي» صحيح. أما المنادون بتطوير الخطاب الديني متخطين هذه الحقيقة التي كان النبي ﷺ يقررها ويكررها في غالب خطبه[1]؛ فهؤلاء سيكونون جناة على خطاب الدعوة كلها إذا أحلوا أفكارهم وتصوراتهم وما استحسنته عقولهم، مكانَ أحسن الكلام وخير الهدي. لسنا في حاجة إلى اختراع (خطاب إسلامي) جديد نُجري عليه التعديلات والترقيعات كل حين بحسب أهواء المخاطِبين أو على طريقة ما يطلبه المستمعون، لكننا مطالبون بأن نبلِّغ عن الله كما بلَّغ رسول الله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومأمورون بأن نبلغ عن رسول الله ﷺ ما بلغه عن الله ولو كان آية من كتاب الله، فشأن أكثر المخاطَبين حالهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩] وحقيقة مآلهم ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]. وكلا خطابي الترغيب له سياق وسباق؛ ولذلك فإن خطابنا للأبرار وللفجار وللكفار؛ سيظل - لو أردنا النفع ديناً ودنيا - هو خطاب القرآن المبين، ودعوة سيد المرسلين. فليس من خطاب أبين ولا أرحم ولا أحكم ولا أحسم من ذلك الخطاب.

- **مشروعنا بين الإرادة الجماعية والإدارة الجماعية:**

إذا كان المفترض في جهود السعي لاستعادة (المشروع الإسلامي)؛ أن يستند إلى «إرادة جماعية» لنيل عز الدنيا واصطفاء الآخرة؛ فإن هذه «الإرادة» الجماعية تفتقر إلى (إدارة جماعية) تنظم السير في هذا الطريق وتؤمِّن سالكيه من غوائل العاديات. وشريعة الإسلام لم تغفل هذا عندما أوجبت في الأصل على المسلمين أن تكون لهم سلطة زمنية في صورة نظام إسلامي عالمي، مهمته الأساسية هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

غير أن النظام العام المسؤول عن حمل مشروعهم الحضاري بكل جوانبه، والمُوكَّل أيضاً بإيصال رسالتهم

(١) في قوله ﷺ: «إن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد...».

العظمى للعالمين؛ هذا النظام لم يعد موجوداً كما هو معلوم في صورته العالمية، وعدم وجوده سيظل سبباً في ضعف تأثير أي مشروع تغييري عامٍّ داخل الأمة وخارجها، مهما كانت عبقرية القائمين على هذا المشروع، لكن الجماعات والاتجاهات الإسلامية التي ندبت نفسها - في ظرف الضرورة - للقيام بالمستطاع من مهام الحكام المسلمين في أكثر أنحاء العالم؛ سيظل استمرارها في أداء دورها شرطاً في عودة التمكين لهذا الدين على المستوى العالمي. غير أن هذا الدور اعْتَوَرَه خلل خطير، كان (ولا يزال) - في رأيي - سبباً في كثير من الاضطراب الذي أصاب مسيرة المشروع الإسلامي في كثير من تجاربه؛ ألا وهو غياب المشاركة الجماعية في تسيير شؤون الأمة في زمن الغربة والاستضعاف، مثلما هو مطلوب في أزمنة القوة والتمكين؛ فمن قال: إن القيادة العلمية والفكرية العامة للأمة تسقط بسقوط القيادة السياسية العامة؟ إنها موجودة وستظل موجودة ما وُجد الدين؛ فهي لا تخضع للعزل أو السقوط أو انتهاء الصلاحية؛ لأنها في النهاية كيان اعتباري متنقل بين من يستوفي شروطه.

إن الحاجة ملحة إلى إحياء صيغة شرعية للإدارة الجماعية لشؤون الأمة في ذلك الزمن المتراكم الفتن، والمتراكب المحن، بحيث يمكن أن تمثّل عقلاً جماعياً لها، وهو ما يعبَّر عنه في الفقه والسياسة الشرعية بـ (أهل الحل والعقد)؛ فالإسلام لم يجعل دعوته لتقريب الصفوف والقلوب والأفكار والأعمال، مجرد دعوة نظرية، بل حوّل تلك المطالب إلى قالَب مؤسسي حي يرعى أمر تغيير أحوال الأمة الى الأحسن، في أزمنة التمكين أو الاستضعاف، وفي ظروف السلم أو الحرب، وفي أحايين الوحدة أو الفرقة.

وقد يكون البدء بإعادة الاعتبار إلى هذه المؤسسة وتفعيل دورها في واقع الأمة؛ مقدّمةً ضرورية لإرساء المعالم الصحيحة لأي تحرك إسلامي جاد تحت مسمى (بناء المشروع الاسلامي) أو عودة (النهوض الحضاري)، أو نحو ذلك مما تكافح قوى الحق في العالم على إحيائه وإبقائه، وتراهن قوى الباطل على إسكاته وإسقاطه.

لكن الحديث عن ذلك يطول، ولعلنا نتناوله في لقاء قادم على صفحات مجلة البيان بإذن الله.

إخوان (بلعام)

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)
www.alabdulltif.net

أضحى (بلعام) زنديقاً ملحداً خبيثاً، وكان قبلُ رجلاً صالحاً مجاب الدعوة، ولأجل لعاعة الدنيا انتكس (بلعام)، وانسلخ من آيات الله(١) كما تنسلخ الحية من جلدها، فلحقه الشيطان وأدركه، فصار من الغاوين الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه.

قال - عز وجل -: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]

إن اتِّباع الهوى والرُّكون إلى الدنيا والإخلاد إلى الشهوات سبيل الخذلان(٢). ومحبة الدنيا قد تكون مطيّةً لردَّة العالِم عن الإسلام(٣).

قال ابن القيّم في بيان هذه الآيات: «وفي تشبيه مَنْ آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه؛ سرٌّ بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتِّباعه هواه؛ إنما كان لشدة لهفه على الدنيا؛ لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه». إلى أن قال: «وقوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فأخبر - سبحانه - أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي باتِّباع الحق وإيثاره، وقصد مرضاة الله، فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه، ولم يرفعه الله بعلمه، ولم ينفعه به، نعوذ بالله من علم لا ينفع»(٤).

وأفراخ (بلعام) على هذا السَّنَن؛ فابن الراوندي - الهالك سنة ٢٩٨هـ - «معتمَد الملاحدة والزنادقة»(٥) - كما سمَّاه ابن الجوزي - يصنِّف كتاباً لليهود ردّاً على الإسلام نظير أربعمائة

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٥٤، والبداية: ١/ ٣٢٢.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٣٥١.

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام: ٢/ ٤١٣.

(٤) التفسير القيم، ص ٢٨١، ٢٨٣.

(٥) المنتظم، لابن الجوزي: ١٣/ ١٠٨.



درهم دفعوها له، فلما قبض المال رام نقضه، حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض[1]!

وعبد الله بن علي القصيمي (ت ١٤١٦هـ) سطَّر مؤلفات في نصرة الإسلام والسنة، ثم انسلخ من ذلك كله، فصار من دعاة الردة والإلحاد، وقد ذكر معاصروه سبب انسلاخه أنه ارتشى من بعض الجهات المحاربة للأديان[2]، لا سيما مع شظف عيشه في السابق وشغفه بالمال في اللاحق[3].

ولا يزال (البلعاميون) الجدد يقتاتون من سفارات مأبونة وجهات موبوءة سواء كان ذلك بالأصالة أو بالوكالة.

وإن زينة الدنيا وبريقها سبب انتكاس، وسبيل ارتكاس. قال - عز وجل -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧].

وكذا الولوغ والانغماس في شهوات النساء من ذرائع الرِّدة وطرائقها، ولذا حذّر المصطفى ﷺ من فتنة المال والنساء بقوله: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» أخرجه مسلم.

فهذا صالح «المؤذن» كان معروفاً بالصلاح، ثم تنصَّر وارتدَّ عن الإسلام ومات على ذلك؛ لأجل نظرة فاتكة إلى امرأة نصرانية[4]. وعبده بن عبد الرحيم ممن جاهد الصليبيين، ثم انسلخ من الإسلام والسنة والجهاد؛ إذ عشق نصرانية، ومات على دين الصليب سنة ٢٧٨هـ[5]. واستحوذ على ثالث الهيامُ بغلام اسمه (أسلم)، فكان التشريك والكفر آخر كلامه من الدنيا[6]؛ نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر.

وذكر ابن حزم أن (النَّظَّام) - من رؤوس المعتزلة - عشق فتى نصرانياً، فوضع له كتاباً في تفضيل التثليث على التوحيد: «فيا غوثاه! عياذك يا ربِّ من تولُّج الشيطان ووقوع الخذلان»[7].

والانكباب على الشبهات والإغراق في الوساوس والشكوك يؤول إلى الردة والانسلاخ عن الإسلام، فالجهم بن صفوان صاحب خصومات، فلقي أناساً من المشركين يقال لهم: «السُّمنية» فشككوه في دينه، فتحيَّر الجهم، ولم يدرِ من يعبد أربعين يوماً، ثم أظهر تعطيل الأسماء والصفات[8]. ولازم ابنُ الراوندي أهل الإلحاد، فإذا عُوتب في ذلك قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم[9]، ثم أظهر زندقته وطعنه في الله - تعالى - والقرآن.

فيتعيَّن مجانبة مواطن الإلحاد والزندقة، سواء كانت أشخاصاً أو مجلات أو قنوات ومواقع، أو مؤتمرات وندوات، إلا من عزم على نقض نفاقهم وهتك زندقتهم من أهل الكفاءة والرسوخ.

وكما في حديث عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «من سمع بالدجال فلْيَنْأَ عنه، فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»[10].

وما برح (البلعاميون) الجدد في لجج الشكوك يعمهون، وفي أودية الحيرة يقطنون، فالقصيمي - قبل أن يجاهر بالزندقة - يعترف بالشكوك والحيرة التي تقضُّ مضجعه، وتسخن جسمه[11].

”ولا يزال (البلعاميون) الجدد يقتاتون من سفارات مأبونة وجهات موبوءة سواء كان ذلك بالأصالة أو بالوكالة“

وصاحب «الثورة العلمية الحديثة» غلبت عليه شقوة الكلام فتفوَّه بالإلحاد والشكوك في حق الله عز وجل. وثالثهم يجعل الشك مسلكاً سديداً، ويتهم الرب - سبحانه - في تدبيره وتقديره[12]. وينعق آخرون بالحيرة والتشكيك، محرّضين على اتِّباع سلفهم كلب المعرَّة (أبو العلاء

(١) انظر: ابن الراوندي في المراجع العربية الحديثة، للأعسم: ١/ ٧٢، ٩٣.

(٢) انظر: بيان الهدى من الضلال في الردّ على صاحب الأغلال: ١/ ٥.

(٣) انظر: دراسة عن القصيمي، لصلاح الدين المنجد.

(٤) انظر: ذم الهوى، لابن الجوزي، ص ٤٠٩.

(٥) انظر: البداية، لابن كثير: ١١/ ٦٤.

(٦) انظر: العاقبة، لعبد الحق الإشبيلي، ص ١٨٠.

(٧) انظر: طوق الحمامة (ضمن رسائل ابن حزم): ١/ ٢٧٨.

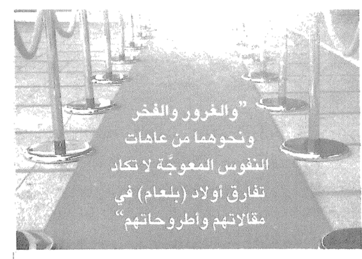
(٨) انظر: الردّ على الزنادقة، للإمام أحمد (ضمن عقائد السلف)، ص ٦٥ - ٦٦.

(٩) انظر: المنتظم، لابن الجوزي: ١٣/ ١٠٨.

(١٠) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه، وصححه الألباني في الجامع الصغير.

(١١) انظر: الردّ القويم على ملحد القصيم، لعبد الله ابن يابس، ص ١١.

(١٢) انظر: موقع إيلاف: ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٧م، والوسطية: ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٢م.



المعري) صاحب الارتياب والمطاعن في دين الله تعالى[1].

وهذا يوجب ضرورة التسليم والانقياد لنصوص الوحيين وعدم معارضتها بذوق أو عقل أو رأي، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله تعالى. كما يتعيَّن الرسوخ في العلم الشرعي؛ «فإن الراسخ في العلم لو وردتْ عليه من الشُّبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكاً؛ لأنه قد رسخ في العلم؛ فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردتْ عليه ردَّها حرسُ العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[2].

وفساد السريرة، وخراب الباطن يوقعان في الردة وسوء الخاتمة، كما حرَّره عبد الحق الإشبيلي بقوله: «واعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، وإنما يكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة»[3].

وآفات الباطن قد استحوذت على زنادقة العصر؛ فالقصيمي - مثلاً - في غاية الكبر والزهوِّ والاختيال[4]، ولما ألَّف كتابه «البروق النجدية» - وقت إسلامه واشتغاله بالعلم - صدَّره بقصيدة يمدح بها نفسه ويطريها، ولما اطَّلع على هذا الكتاب الشيخ عبد العزيز بن بشر (ت ١٣٥٩هـ) تفرَّس في مؤلفه الإلحاد والانحراف عن الإسلام[5].

وله أبيات شنيعة يمدح فيها علمه، الذي لو قسم على الآفاق لأغنى عما جاء به الرسل عليهم السلام[6].

(١) انظر: جريدة الرياض ١٨/٩/٢٠٠٣م، ١٢/٨/٢٠٠٤م.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم: ١/١٤٠.

(٣) العاقبة ص ١٨٠. وانظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٢٦.

(٤) انظر: بيان الهدى، للسويّح: ١/٥، ٤٧، ١٤٢.

(٥) انظر: الرد القويم، لابن يابس، ص ١٢، وروضة السنين، للقاضي: ١/٢٨٠ - ٢٨١.

(٦) انظر: الرد القويم، لابن يابس، ص ١٢، وروضة السنين، للقاضي: ١/٢٨٠ - ٢٨١.

والغرور والفخر ونحوهما من عاهات النفوس المعوجَّة لا تكاد تفارق أولاد (بلعام) في مقالاتهم وأطروحاتهم؛ فهم يتشدقون بالمصطلحات المركبة، ويعشقون العبارات الأعجمية، ويتلفعون بالغموض والمغالطات، مما يعكس عن نفوس موبوءة بالكِبْر والعُجْب، والقارئ العادي قد تهوله تلك العبارات الغامضة، والتراكيب الشائكة، وهي في الحقيقة - كما قال ابن تيمية -: «إنما هي من باب القعقعة بالشِّنَان لمن يفزعه ذلك من الصبيان، ومن هو شبيه بالصبيان»[7].

وأخيراً: فإن سلفنا الصالح - في القرون الثلاثة الأولى فما بعدها - ما فتئوا يجاهدون هؤلاء الزنادقة، ويهتكون أسرارهم، ويكشفون نفاقهم وتلوُّنهم، ويحذِّرون الأمة منهم، ويبيِّنون حكم الله فيهم، من جهة ردَّتهم وانسلاخهم عن الملَّة، وإقامة الحجة عليهم، وإمضاء حد الردة على أعناقهم، فلا أقل من تحرير الفتاوى في حكم الله فيهم، وتجلية نفاقهم.

وإن كنا نحذر من مسلك التعجّل والعاطفة المندفعة تجاه هؤلاء الزنادقة، والتي قد تفضي إلى ما لا تحمد عقباه من مفاسد راجحة؛ فإننا نحذر من الإيغال فيما يسمى بـ «ضبط النفس» الذي قد يفضي إلى خمود الغيرة الإيمانية، وبرودة الدين في القلب؛ فعلماء الإسلام لم يكن رسوخهم في العلم، وتحلِّيهم بالحكمة و «ضبط النفس» مانعاً من ظهور غيرة إيمانية متوقدة؛ فهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول عن أحد القدرية النفاة: «أدخل يدي في رأسه ثم أدقُّ عنقه»[8].

وها هو السبكي يقول في أحد الزنادقة السابِّين لرسول الله ﷺ: «وليس لي قدرة أن أنتقم بيدي من هذا السابِّ الملعون، والله يعلم أن قلبي كارهٌ منكِر، ولكن لا يكفي الإنكار بالقلب ها هنا، فأجاهد بما أقدر عليه من اللسان والقلم، وأسأل الله عدم المؤاخذة بما تقصر يدي عنه، وأن ينجِّيني كما أنجى الذين ينهون عن السوء، إنه عفوٌّ غفور»[9].

وهذا ابن عابدين - رحمه الله - يقول عن شقيٍّ استطال على خاتم المرسلين: «وإن كان لا يشفي صدري منه إلا إحراقه وقتله بالحُسام»[10].

(٧) الدرء: ٤/١٨٣.

(٨) أخرجه اللالكائي في أصول السنة: ٤/٧١٢.

(٩) السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ، ص ١١٣ - ١١٤.

(١٠) رسائل ابن عابدين: ١/٢٩٣.



هل العولمة

تهدد مؤسساتنا الخيرية؟!

د. محمد الكثيري(*)

تسارعت الأحداث في ميدان التنافس الحديث بين الأمم على العمل الخيري وما يحققه لها من مكاسب كبيرة في شتى المجالات، مما حدا بالغرب أن يضع خطة عمل مرسومة ذات مراحل متدرجة للتفرد في ساحات هذا الميدان، وعَمِل بشتى الوسائل والطرق لإقصاء الآخرين عن منافسته في هذا الميدان بالغ الأهمية. وبدأت الخطة بتوجيه الاتهام زيفاً إلى المؤسسات الخيرية الإسلامية ومحاولة إلصاق تهمة دعم الإرهاب بها، وظل الإعلام الغربي وتوابعه يعزز هذه الاتهامات ويكرسها في الأوساط الشعبية، وساندته المقالات والتقارير لترويج هذه التهمة بين النخب.

ومن المؤسف أنه تشكَّل رأي عام بين المسلمين يتقبل هذا الاتهام الذي لا تدعمه الأدلة أو البراهين، بل إن الأدلة والبراهين تدحضه وتثبت نقيضه، هذه هي المرحلة الأولى.

وتبعتها مرحلة أُخرى وهي نتيجة حتمية لها؛ بإحجام المتبرعين والداعمين عن دعم الجمعيات الخيرية الإسلامية مخافةَ أن تلحق بهم هذه التهمة التي نالت مؤسساتهم. ففي ظل الخوف؛ أمسك الناس عن الإنفاق بواسطة هذه الجمعيات؛ لئلا تعود عليهم أموالهم وبالاً عليهم أو سبباً في المساءلة والمحاسبة، وحدث بهذا تجفيف رهيب لموارد هذه المؤسسات.

ثم جاءت مرحلة قطف ثمرة هذا التخطيط والتآمر على العمل الخيري الإسلامي، فكانت المرحلة الثالثة التي أصبحت ظاهرة طبيعية في معظم البلاد الإسلامية؛ وهي الحضور الفاعل للمنظمات الدولية المختصة بالعمل الإنساني، سواء على صعيد الأزمات والكوارث وتقديم الإغاثة والمساعدات، حيث تنفرد بالساحة الميدانية مما مكّنها من أن تعرض نفسها على أنها البديل المأمون لكل من أراد تقديم المساعدات من الأفراد والمؤسسات أو الحكومات. وكم هو مؤسف حقاً أن تجد من بين الداعمين المهمين لبعض المنظمات الدولية التبشيرية بعضَ تجار المسلمين أو الحكومات المسلمة!

أما على الصعيد الثقافي والفكري فقد عملت هذه الدراسات الدولية على تبنِّي أطروحات تحدد أولويات العمل الإنساني واحتياجاته واتجاهاته ومبادئه، في تغييب لدور المنظمات الإسلامية عن مواقع الريادة أو التأثير، ولا مانع من حضورها ووجودها ما دام دورها منحصراً في التبعية لهذه المنظمات الدولية، أو أن تقوم بدور الوكيل المحلي لها في أحسن الأحوال.

هل سيدرك الأطفال الجوعى والأُسر المنكوبة في أفريقيا وأندونيسيا أو في العراق وغزة؛ أن هذا الطعام الذي تقدمه لهم امرأة وضعت شارة الصليب على لباسها هو تبرُّع من مسلم أو حكومة إسلامية؟

يذكر أحد المسؤولين في منظمة «إنسانية» دولية أن أكثر من ٦٠ ٪ من المستفيدين من معوناتهم هم من المسلمين، وذلك ليقنع الحضور بأهمية الدور الذي تضطلع به هذه المنظمة تجاه المسلمين ليقدموا تبرعاتهم لها.

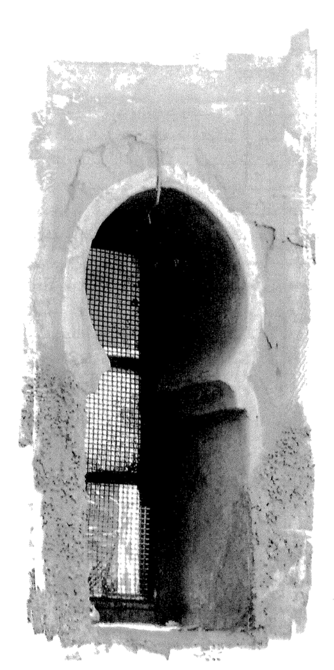
والسؤال هو: هل يقف الأمر عند هذه المرحلة أم أن هناك مرحلة رابعة وخامسة؟ وكيف نحمي مؤسساتنا وعملنا الخيري من هذا الاختراق؟

(*) مدير عام مؤسسة الوقف.



كان رجل عامة!

فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com



لقد وَسَمَ أهل التاريخ والتراجم عدداً من الأجلاء بكونهم (رجال عامةٍ) ومن هؤلاء: الصحابي الجليل عمران بن حصين رضي الله عنه، وإماما أهل الشام: الأوزاعي وأبو إسحاق الفزاري، والحافظ الثبت خالد بن عبد الله الطحان.

ففي تاريخ الطبري: (دعا عثمانُ بن حنيف عمرانَ بن حصين وكان رجلَ عامةٍ، وألزّه بأبي الأسود الدؤلي وكان رجلَ خاصةٍ) [1].

وقال علي بن بكار: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: (ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري! فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، وأما الثوري فكان رجلَ خاصةِ نفسِه، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي)[2].

وقال إبراهيم الجوهري: (قلت لأبي أسامة: أيهما أفضل: فضيل بن عياض، أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال: كان فضيل رجل نفسه، وكان أبو إسحاق رجل عامة)[3].

وقال إسحاق الأزرق: (ما أدركت أفضل من خالد الطحان، قيل: قد رأيت سفيان (يعني الثوري)؟ قال: كان سفيان رجل نفسه، وكان خالد رجل عامة)[4].

فدفعني ذلك إلى حب التعرف على سمات ذلك الرجل

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ١٤.
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١١٣٩.
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/ ٥٤٣.
(٤) تاريخ بغداد، للخطيب، ٨/ ٢٩٤.

ومن الجلي أن وسم بعض أئمة الدين بأنهم رجال خاصة ليس بمنقص من قدرهم؛ لأنه وإن بزهم غيرهم في جانب قياد المجتمع والتصدر لقضايا العامة؛ فقد بزوا غيرهم في غيره؛ لأن المرء قد يكون إماماً فُتِح له في الفقه في الدين، وقرينه إمام فُتِح له في الزهد والورع، وذاك إمام فتح له في باب الاحتساب، وآخر إمام في جانب العطاء والإنفاق، وكل مسخر لما خُلِق له، وأكرم العباد على الله – تعالى – أتقاهم له، وكلٌّ على بوابة ثغرٍ، والأمة محتاجةٌ إلى كلٍّ، رزقنا الله – تعالى – رضاه وعفوه.

الذي وقف نفسه على الناس حاضراً بوضوح بينهم: يعلمهم وينصح لهم، ويحمل همومهم؛ ساعياً لنفعهم، ومتصدراً لخدمتهم وحل مشكلاتهم، بكل رحابة صدر وبشاشة وجه، والمزايا التي يفضل بها على غيره من خلال مطالعة سير هؤلاء الأئمة الموسومين بذلك، فوجدت أنها على نوعين: نوع يشترك فيه رجل العامة مع غيره من العلماء المهديين والعباد الصالحين، ونوع يختص به هذا الصنف من القادة المصلحين والأئمة الربانيين.

ولعل من أبرز خلال النوع الأول الذي يشترك فيه رجل العامة مع غيره، ما يلي:

- كثرة الخشوع واليقظة والتقدم في العمل:

إذ لا تستطيع حمل هموم الناس والعمل على نفعهم وتبنّي قضاياهم - مع ما في ذلك من إسقاط حظوظ النفس وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة - نفْسٌ غافلة، وشخصية شحيحة الزاد هزيلة الراحلة، وخير الزاد التقوى.

فمن كان رقيقَ المحبة والتعظيم لخالقه، قليلَ الخشية منه سبحانه، ضعيف رجاء ما أعده الله - تعالى - لأوليائه، مقلاً من تزكية نفسه وإصلاح قلبه وتقوية الصلة بخالقه؛ لم يقوَ على المضي الطويل في هذا السبيل على وجهه مهما أراده وتاقت إليه نفسه.

فلا بد للرواحل من خشوع وبكاء، واستكثار من عبادة القلب، قال بشر بن المنذر: (رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع)[1]، وقال عمرو بن عون: (ما صليت خلف ابن عبد الله إلا سمعت قطر دموعه على الباريَّة)[2].

ولا بد للمتصدر لقضايا الناس من صلاة، وقراءة، وذكر، وطول قيام، قال أبو مسهر: (كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاء)[3]، وقال الوليد بن مسلم: (رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه، يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلف: أن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس، قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا في ذكر الله، والتفقه في دينه)[4]، وقال: (ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي)[5].

(١) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٧/١١٩.
(٢) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٨/٢٧٩، والبارية: بفتح الباء وتشديد الياء: الحصير المنسوج، فارسي معرب.
(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١١٣٩.
(٤) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٧/ ١١٤.
(٥) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ١١٩/٧

ولا بد لرجل العامة الحامل لهموم الأمة من حضور قلب وبُعد عن الغفلة، وحذر من الاغترار بمتع الحياة وشهواتها ورضا أربابها، سواء أكان ذلك في الليل أم النهار، في الحضر أم السفر. قال ابن عيينة: قال هارون الرشيد لأبي إسحاق الفزاري: (أيها الشيخ! إنك في موضع من القرب، قال: إن ذلك لا يغني عني يوم القيامة من الله شيئاً)[6]، وقال الوليد بن مزيد: (كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قويَ عليه، ما أتى عليه زوالٌ قطُّ إلا وهو قائم يصلي)[7]، ويخبر ضمرة بن ربيعة فيقول: (حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قطّ، كان يصلي، فإذا غلبه النوم، استند إلى القَتَب)[8]، وعن سلمة بن سلام قال: (نزل الأوزاعي على أبي، ففرشنا له فراشاً، فأصبح على حاله)[9].

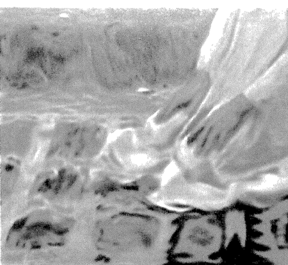
- الزهد والورع:

فُطِرَت النفوس على عدم محبة الالتفاف حول نفوسٍ نسيت الآخرة، وتعلقت بشدةٍ بأوحال هذه الدنيا الفانية، وجسرت على سلوك أي طريق وخوض أي مفازة ما دام ذلك موصلاً لها إلى تحصيل الملذات والظفر بالرئاسات.

فالزهد والورع ركيزتان أساسيتان في شخصية رجل العامة، إذ يُمَكِّنان المرء من احتساب الأجر، والصبر على الأذى، وسلامة الصدر، ونزع الغل، وعدم الحديث عن النفس، وتوقّي رؤية العمل واستعظامه، وحذر التعالم والخوض فيما يُجْهَل، وعدم انتظار الثناء والشكر، وترك الانتقام للنفس والوقيعة في الناس، أو السماح للآخرين بالتكلم في مجلسه بحديث غيبة، كما يحولان بين المرء والمنة على الناس بما قدمه لهم وأحسن به إليهم، أو أن يلج في المزاحمة لهم على دنياهم.

ومن مظاهر ذلك في حياة رجال العامة ما جاء عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - حين كان قاضياً على البصرة؛ أنه قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليّ بجَوْر، وما ألَوْتَ، قال: وكيف؟ قال: شُهِد عليّ بزور.

(٦) حلية الأولياء، للاصبهاني، ٨/٢٥٣.
(٧) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٧/١١٩.
(٨) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٧/١١٩، قال الجوهري في الصحاح:٢/٦١: (القَتَب، بالتحريك: رَحْلٌ صغير على قدر السَّنام. والقِتْبُ بالكسر: جميع أداة السانية من أعلاقها وحبالها).
(٩) سير اعلام النبلاء، للذهبي، ١١٩/٧



قال: فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبداً)[1]، وقال عقبة بن علقمة: (أرادوا الأوزاعي على القضاء، فامتنع وأبى، فتركوه)[2].

ولم يكن ورع هذا الصنف من الناس قاصراً على توقّي القضاء، بل شمل حتى ترك الفتيا فيما لا يتيقن علمه. يقول سلمة بن كلثوم: (كتب أبو حنيفة إلى الأوزاعي تسعين مسألة؛ فما أجاب منها إلا بمسألتين)[3].

وأشد الزهد والورع على هذا الصنف من الناس ما تعلق بجانب المال، وذلك لما يلاقيه أحدهم من ضغط العامة وكثرة إلحاحهم وشدة احتياجهم. وفي هذا السياق ذكر الأصمعي أن الرشيد أمر خادمه قائلاً: (ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق. فأُتِي بها، فوضعها في يده وخرج، فانصرف، ولقيه ابن المبارك فقال: أنا عن هذه الدنانير غني. فقال: إن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها، فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدق بها)[4].

ولظهور هاتين السمتين الجليلتين في حياة هذا الصنف من الناس، انظر إلى هاتين الشهادتين الجليلتين:

أورد الحافظ ابن كثير في سياق ترجمته للأوزاعي ما نصه: (وتأدب بنفسه، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه، ولا أورع، ولا أعلم، ولا أفصح، ولا أوقر، ولا أحلم، ولا أكثر صمتاً منه، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعيّن على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها)[5].

وقال الحسن بن الربيع: (ما رأيت أورع من أبي إسحاق الفزاري؛ هو أفضل من معمر)[6].

- **الحلم والتواضع:**

وهما خصلتان مُمَكِّنتان للعبد من الاتزان والتُّؤَدة، والرفق واللين، وسعة الصدر واحتمال دواعي الغضب، والتبسم وطيب المحيا وإظهار البشاشة، والخلطة الواعية للناس بكافة مستوياتهم وأطيافهم، وحسن الإنصات لهم وسماع همومهم وقضاياهم، والبدار بقدر المستطاع إلى معونتهم وحل مشكلاتهم، مع الستر عليهم، وترك الحديث غير المسؤول عن قضاياهم.

وقد كان هذا جليّاً في حياة أرباب هذا الشأن. يقول عطاء بن مسلم: قلت لأبي إسحاق الفزاري: (ألا تسب من ضربك؟ قال: إذاً أحبه)[7]، وقال: صدقة بن عبد الله: (ما رأيت أحداً أحلم ولا أكمل ولا أجمل من الأوزاعي)[8].

وقال ضمرة: (صليت إلى جانب الأوزاعي بمكة، فلما قام حرّكني، فذهبت معه إلى منزله، فأتانا بثريد عليه فول مسلوق)[9].

- **الجود وكثرة التصدق:**

فمن لم يكن طويلَ اليد، كثيرَ الصدقة، كريماً باذلاً للمعروف؛ بَغَضَه الخلقُ، وانجفلوا عنه؛ إذ الجود مسوِّدٌ للوضيع، رافعٌ للشريف، حارسٌ للأعراض، محببٌ العبدَ لدى الأضداد، ولذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذا السياق: (لَسَاداتُ الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء)[10].

فالسخاء وكثرة الإنفاق والعطاء صفات لازمة لرجل العامة، وإلا فكيف له أن يظفر بقبول الناس وينال محبتهم؟

ولذا فإن الأوزاعي - مثلاً - كان من أكرم الناس وأسخاهم، إذ صار إليه من خلفاء بني أمية وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار، فما ترك يوم مات سوى ستة دنانير فضلت من عطائه، كل ذلك كان ينفقه من سبيل الله[11].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: (كان خالد الطحان ثقة صالحاً، من أفاضل المسلمين، اشترى نفسه من

(1) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/ ٥١٠.
(2) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧/ ١١٧.
(3) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١١٤٠.
(4) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١٣٥٤.
(5) البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠/ ١١٥.
(6) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١٣٥٣.
(7) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/ ٥٤٣.
(8) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/ ١١٣٩.
(9) مقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٢١٧.
(10) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٢٢٦.
(11) انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي، ١/ ١٨٣، محاسن المساعي، ٨٠-٨٢.



الله أربع مرات؛ فتصدق بوزن نفسه فضة أربع مرات)[١]، وعن محبوب بن موسى قال: (لقيت الفضيل بن عياض فعزّاني بأبي إسحاق، وقال: كان والله كريماً)[٢].

- الاحتساب والصدع بالحق:

فمن ترك مقولة الحق وداهن الواقع في منكرٍ، مع علمه وقدرته، من دون تأوُّلٍ سائغ في ترك الأمر والنهي؛ أغضب الحق وسقط من أعين الخَلق؛ ومن ثَمَّ يكون قد افتقد بتقصيره ذلك أهمَّ عوامل النجاح ومكونات القدرة على توجيه الآخرين وصناعة وجهتهم.

وكلما كان الموقف أرضى للرب، وأصدع بالحق - كثرة أو جرأة في عقل - وأنصح للأمة وألصق بهمومها وقضاياها؛ كان أملكَ لقلوب العامة، وأقدر على ولوجها والتأثير فيها ونيل مودتها.

قال الأوزاعي: بعث عبد الله بن علي (يعني: السفاح) إليّ، فاشتد ذلك عليّ، وقدِمت، فدخلت والناس سماطان، فقال: ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه؟ قلت: أصلح الله الأمير! قد كان بيني وبين داود بن علي مودة قال: لَتُخْبِرَنِّي! فتفكرت، ثم قلت: لأصدُقنّه، واستبسلت للموت، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث: «الأعمال»، وبيده قضيب ينكت به، ثم قال: يا عبد الرحمن: ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان، عن مطرف بن الشخير، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: « لا يحل قتل المسلم إلا في ثلاث..» وساق الحديث.

فقال: أخبرني عن الخلافة، وصية لنا من رسول الله ﷺ؟ فقلت: لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ما ترك علي - رضي الله عنه - أحداً يتقدمه، قال: فما تقول في أموال بني أمية؟ قلت: إن كانت لهم حلالاً فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حراماً فهي عليك أحرم؛ فأمرني، فأُخرِجت)[٣].

وقال أبو شعيب: (قلت لأمية بن زيد: أين الأوزاعي من مكحول؟ فقال: هو عندنا أرفع من مكحول، فقلت له: إن مكحولاً قد رأى أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: وإن كان

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/١٣٦٨.
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/١٣٥٤.
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧/١٢٤-١٢٥، وقد قال الذهبي عقب ذلك: (قلت: قد كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً، سفاكاً للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الاوزاعي يصدعه بأمر الحق كما ترى، لا كخلق من علماء السوء، الذين يحسنون للامراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقاً - قاتلهم الله - او يسكتون مع القدرة على بيان الحق).

قد رآهم، فأين فضل الأوزاعي في نفسه، وقد جمع العبادة، والورع، والعلم، والقول بالحق؟)[٤].

وليس الأمر بقاصر على الحسبة على سلاطين الجور، بل إن ذلك شامل للاحتساب على زيغ العامة وما قد يقع فيه بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة من بدع وانحرافات ظاهرة. يقول العجلي في صفة أبي إسحاق الفزاري: (كان ثقة، صاحب سنة، صالحاً، هو الذي أدّب أهل الثغر وعلّمهم السنَّة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه... أمر سلطاناً ونهاه، فضربه مائتي سوط)[٥].

وعن أبي مسهر قال: (قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق، فاجتمع الناس ليسمعوا منه، فقال: اخرج إلى الناس فقل لهم: من كان يرى القدر فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرى رأي فلان فلا يحضر مجلسنا، فخرجت، فأخبرتهم)[٦].

- الوقار وحسن المظهر:

جُبِلت النفوس على التعلُّق بجمال النفس، ورقة الكلمة، وحسن الزي، والسمت الحسن، والوحشة من ضد ذلك؛ ولذا لا بد لرجل العامة من ملاحظة رعاية زِيِّه، وتجميل مظهره، وتطييب لفظه، والاتسام بالهدوء والحشمة، وفي هذا المساق قال زرارة بن أوفى: (رأيت عمران بن حصين يلبس الخزَّ)[٧].

وورد أن الأوزاعي كان يقول: (كنا قبل اليوم نضحك ونلعب. أما إذا صرنا أئمة يقتدَى بنا؛ فلا أرى أن يسعنا ذلك، وينبغي أن نتحفظ)[٨]، وقال الواصف لسيرته: (ما رُئي الأوزاعي ضاحكاً مقهقهاً قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط)[٩].

وليس هذا فحسب، بل على المتصدر لقضايا الناس السعيُ لتحصيل الملكة المعِينة على توقِّي ذلك قبل حدوثه. قال محمد بن الأوزاعي: قال لي أبي: (يا بني! لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا؛ لأوشك بنا أن نهون عليهم)[١٠].

(٤) مختصر تاريخ دمشق، للطوفي، ٧/١١١.
(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/٥٤٠-٥٤١.
(٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/٥٤١-٥٤٢.
(٧) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/٥٠٨، وقال ابن الأثير في النهاية، ٢/٧٤ ما نصه: (الخز المعروف أولاً: ثياب تنسج من صوف وإبريسم، وهي مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون...، وإن اريد بالخز النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لان جميعه معمول من الإبريسم، وعليه يحمل الحديث: «قوم يستحلون الخز والحرير»...).
(٨) البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠/١١٩، وانظر: حلية الأولياء، للأصبهاني، ٦/١٤٣.
(٩) البداية والنهاية، ١٠/١١٦.
(١٠) تاريخ الإسلام، للذهبي، ١/١١٤٠.

أما أبرز خلال النوع الآخر الذي يختص به رجل العامة فهي الآتي:

- الاجتهاد في بذل العلم والنصح للعامة والإجابة عن استفساراتها:

لا يكون طالب العلم مباركاً حتى يُعْنَى بالإكثار من بذل العلم والجود بالنصيحة، مستثمراً كل فرصة، متفنناً في اختيار الوسيلة النافذة إلى قلوب الناس وعقولهم، فهذا عمران بن حصين - رضي الله عنه - بعثه عمر الفاروق إلى البصرة ليفقّه أهلها، فيبذل غاية الوسع في ذلك، حتى إن الحسن البصري كان يحلف: (ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين)[1].

وتدليلاً على ظهور هذه السمة العظيمة في رجل العامة، قال أبو مسهر: (حدثني الهقل، قال: أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، أو نحوها)[2]، وقال أبو زرعة: (روي عنه ستون ألف مسألة)[3]، وقال العجلي عن أبي إسحاق الفزاري: (كان كثير الحديث، وكان له فقه)[4].

وقال محمد بن عجلان: (لم أرَ أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي)[5]، فلا يكون المرء مقبولاً من العامة مقدَّماً فيهم حتى لا يألو وُسْعاً في بذل النصيحة، والعناية بتقديم العلم والدعوة بالسبل الفردية والعامة.

- العناية بخدمة الناس وبذل الوُسع في الشفاعة لهم والقيام بقضاياهم:

وهذا الجانب هو الشيء الملموس واللب الظاهر لرجل العامة، ولن يتمكن المرء من القيام بذلك ما لم يكن لديه احتساب ظاهر، وزاد عظيم من العلم والصبر والحكمة، وحسن الفهم، والتسامح، والشعور العالي بالمسؤولية تجاه هذه الأمة، وامتلاك الدافع القوي في إظهار محاسن الديانة، ورفع الظلم، وتحقيق العدالة لكل أحد: قريبٍ أم بعيد، شريف أم وضيع، مسلم أم كافر.

وأن يرى المنة لله - تعالى - وحده بأن أتاح له مفاتيح إحسان وبوابات أجر[6]، وجعل الناس واقفين ببابه محتاجين التقصير، ويدعوه إلى الاجتهاد في التحلي بمرتبة الشكر.

وهو ما يتطلب منه: معايشةً أكثرَ للناس، والقيام ببذل النفس، وإعطاء الوقت، وعدم ادِّخار السبل والوسائل، واتخاذ مكان ظاهر يُمَكِّن للعامة الوصول بسهولة إليه لعرض مشكلاتهم وطلب قضاء حوائجهم منه.

وقد ضرب الإمام الأوزاعي في هذا الباب أروع الأمثلة؛ إذ كتب إلى أمير المؤمنين المنصور في فك ألوف من المسلمين أسرى - وكان ملك الروم يحب أن يفادي بهم ويأبى أبو جعفر - واعظاً له ومذكراً. فلما وصل كتابه؛ أمر الخليفةُ بالفداء.

وكتب الأوزاعي رسالة إلى الخليفة يطلب منه زيادة أرزاق أهل الساحل لكونهم يحمون الثغر[7].

وكتب إلى والي الشام ينكر عليه إجلاء جميع أهل الذمة في جبل لبنان حين خرج بعضهم عن الطاعة قائلاً: (فكيف تؤخذ عامة بعمل خاصة، فيخرجون من ديارهم وأموالهم؟ وقد بلغنا أن من حكم الله - عز وجل - أنه لا يأخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يأخذ الخاصة بعمل العامة)[8].

وقال أحمد بن أبي الحواري: (بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل، فقال له: يا أبا عمرو! تكتب لي إلى الوالي بعلبك؟ فقال: إن شئتَ رددتُ الجرة وكتبتُ لك، وإلا قبِلتُ الجرة ولم أكتب لك. قال: فردّ الجرة وكتب له، فوضع عنه ثلاثين ديناراً)[9].

والمتأمل في واقعنا الدعوي اليوم يرى بجلاء حاجة أمتنا إلى رجال عامة تحلَّوْا بهذه السمات العظيمة، فانبروا لخدمة الناس، وتحقيق مقاصد الديانة، والعمل على حفظ سياج الأمة من أن يتصدرها فكرياً أو اجتماعياً زائغٌ يقودها إلى التهلكة، أو صاحب شهوة ليس له من هدف إلا بناء مجده وسؤدده، وتحقيق أطماعه ومصالحه، وتأسيس أعمدة شرفه.

فاللهم ألهمنا رشدك، وهبنا بمنِّك وجودك ودقيق لطفك وعظيم إحسانك توفيقَك وبركتك، واستخدمنا في طاعتك، واجعلنا من الذائدين عن دينك وكتابك وعرض نبيك، وصلى الله وسلم على النبي المختار، وعلى الصحب والآل والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/ ٥٠٨.
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧/ ١١١.
(٣) البداية والنهاية، ١٠/ ١١٦.
(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/ ٥٤١.
(٥) البداية والنهاية، ١٠/ ١١٦.
(٦) قال القرطبي في تفسيره، ٣/ ٣٣٩: (حكي أن بعض العلماء كان يصنع كثيراً من المعروف ثم يحلف أنه ما فعل مع أحد خيراً، فقيل له في ذلك، فيقول: إنما فعلت مع نفسي، ويتلو: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]).

(٧) انظر: الجرح والتعديل، للرازي، ١/ ١٩٣.
(٨) الأموال، لأبي عبيد، ٤٤٠.
(٩) حلية الأولياء، للأصبهاني، ٦/ ١٤٣.

«النظرة الأولى»
ما لها وما عليها

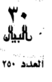
د. أحمد إبراهيم خضر

إذا ركبتَ فرساً جديدة، فدخلتْ بك إلى درب ضيق لا يسعها إلا هي، وليس له مخرج، ولا يمكن للفرس أن تستدير لكي تخرج؛ فماذا تفعل؟ إذا همَّت الفرس بالدخول فعليك أن تمنعها، وإذا دخلت خطوة أو خطوتين فعليك أن تردَّها بسرعة إلى الوراء، فإذا تمكنت من ردِّها إلى الوراء كان الأمر سهلاً، وإن انتظرت حتى دخلت صَعُبَ الأمر عليك، وإذا دخلت بها ثم قمت بجذبها من ذيلها تعذَّر عليك إخراجها. وليس هناك من عاقل يقول: إن تخليص الفرس هو أن تدخل بها إلى هذا الدرب الضيق.

ضرب العلماء هذا المثل لبيان كيفية التحكم فيما بعد (النظرة الأولى) سواء من قِبَل الرجل أو المرأة. كان هذا في زمن يختلف كثيراً عن زماننا الحالي الذي من سِمَاته المميزة اختلاط الرجال بالنساء سواء في الشوارع أو الأسواق أو المدارس أو الجامعات أو في مجالات العمل المختلفة، أو حتى داخل البيوت بين الأقارب والأصدقاء. لم يعد اليوم لمسألة النظرة الأولى مكان؛ فالأمر الآن علاقة فعلية بين الرجال والنساء متعددة الأشكال: في صورة قرابة أو زمالة أو صداقة أو حب وحتى الجنس، سواء في عالم الواقع الحقيقي أو عالم السينما والتلفاز والإنترنت والقنوات الفضائية المفتوحة. ولهذا يبدو الحديث عن «النظرة الأولى» حديثاً غير واقعي إن لم يكن متخلِّفاً في نظر الناس إلا من رحم الله.

تفتح أجيالنا الناشئة عيونها عبر الواقع والإعلام على هذه العلاقة المفتوحة وكأنها الأصل في العلاقة بين الجنسين، أما الشباب والكبار فالأمر بالنسبة إليهم هو المألوفات والعوائد والتمدُّن والتحضُّر، لا ضوابط الشرع.

يختلف الأمر إذا ما نظر رجل إلى امرأة (أو العكس) ثم صرف بصره، عما لو أنه كرَّر النظر وفتَّش عن محاسن المرأة، ونقلها إلى قلبه. حينما تنتقل محاسن المرأة إلى قلب الرجل يكون ذلك إشارة إلى بداية تعلُّقه بها، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة، فتنمو نبتة الحب حتى يفسد القلب وينصرف عن التفكر فيما أمره الله به، وكذلك التفكر في مصالحه والاشتغال بها، وهكذا حتى يقع في المحظور. والسبب في ذلك هو أن النظرة تُشعِر القلب باللذة، فيطلب



معاودة النظر. ويشبه هذا من يأكل طعاماً لذيذ المذاق، فإذا تناول منه لقمة طلب أخرى، وهكذا هي النظرة الأولى، ولو أن الناظر غضَّ بصره منذ البداية لاستراحَ وسَلِمَ من العواقب.

ويطلق العلماء على النظرة الأولى (نظرة الفجأة) وهي النظرة التي تقع بغير قصد من الناظر؛ فإذا نظر الثانية متعمداً يكون قد وقع في الإثم. وقد سأل جرير بن عبد الله - رضي الله عنهما - رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فأمره أن يصرف بصره.

وسأل رجلٌ العلماءَ أنه نظر إلى امرأة وتعلَّق قلبه بها حتى أحبها واشتد عليه هذا الحب؛ فهل له أن ينظر إليها مرة أخرى لعله يجد ما ينفِّره منها، فيخلِّص نفسه مما وقع فيه ويبتعد عنها؟

أجاب العلماء: «هذا لا يجوز له، إن الله - تعالى - أمره بغضِّ بصره، ولم يجعل شفاء قلبه فيما حرمه عليه. كما أن النبي ﷺ أمر بمداواة نظرة الفجأة بصرف النظر لا بتكراره، وقوة التعلق بالمرأة يكون بالنظرة الثانية لا الأولى، والنظرة الثانية قد تجعله يرى فيها ما يزيد تعلُّقه، لا ما يصرفه عنها، وأنه إذا قصد النظرة الثانية فقد يزين له الشيطان ما يوقعه في الإثم، وإذا كانت النظرة الأولى سهماً مسموماً من سهام إبليس؛ فلا شك أن الثانية ستكون أشد سُمّاً من الأولى، وفوق هذا كله؛ فإنه لم يمتثل أصلاً لأوامر الشرع؛ فكيف يعينه الله - تعالى - على ما وقع فيه؟ والأجدر بالطبع ألا يعينه على ذلك، كما أنه لم يقصد أصلاً برغبته في النظرة الثانية الإعراض عن المرأة من أجل الله - تعالى -، وإنما ليتأكد من حال المرأة التي إن لم تعجبه تركها؛ فالمسألة هنا ليست رضا الله عز وجل».

لقد جعل الله - تعالى - العين مرآة القلب، فإذا غضَّ الإنسان بصره غضَّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته، وبين العين والقلب طريق ينتقل بموجبه أحدهما إلى الآخر، يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب وخرب فسد النظر وخرب، وإذا فسد النظر وخرب فسد القلب وخرب. والنظرة كالسهم إن لم يقتل يجرح من يصوَّب إليه، وهي أيضاً كالشرارة التي تلقى في حشيش جاف إن لم تحرقه كله أحرقت بعضه.

وفتنة النظر هي أصل لكل فتنة؛ لأنها أقرب الوسائل للوقوع في الحرام، ولهذا كان غض البصر هو العائق لزنى اليد والرجل والقلب والفرج، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله - عز وجل - كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة؛ فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرِّجْل تزني وزناها الخُطى، واليد تزني وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه».

وهذا يعني أن غضَّ البصر هو أصل لحفظ الفرج. والله - تعالى - لم يأمر بغضِّ البصر مطلقاً، بل أمر بالغضِّ منه، فهو يباح للمصلحة الراجحة، ويحرُم إذا خيف منه الفساد ولم تعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، أما حفظ الفرج فإنه واجب بكل حال لا يباح إلا بحقِّه ولذلك عمَّ الأمر بحفظه.

وضع العلماء قاعدة جليلة مؤدَّاها «من ترك المألوفات والعوائد لأجل الله صادقاً مخلصاً من قلبه؛ فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة، ليُمْتَحن: أَصادقٌ هو في تركها أم كاذب؟ فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة».

ويقول العلماء كذلك: «من ترك لله شيئاً عوَّضه الله خيراً منه، والعوض أنواع مختلفة، وأجلُّ ما يُعَوَّضُ به الأُنسُ بالله ومحبته وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه، ورضاه عن ربه تعالى».

ومن كرم الله - تعالى - على عباده كما قال العلماء: «أن الذي يترك الشهوات من أجله وإن كان ينجيه ويوجب له الفوز برحمته لفعله هذا؛ فإنه فوق هذا يعطيه من ذخائره، وكنوز برِّه، ولذَّة الأنس به والشوق إليه، والفرح والابتهاج به، ما لم يعط غيره، ولكن بشرط أساس هو ألا يكون في قلب هذا العبد أحد سوى الله، فالله - تعالى - أغنى الشركاء عن الشرك. ويمنع الله - تعالى - عطاءه هذا عن العبد الذي في قلبه أحد غيره حتى وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم».

وذخائر الله وكنوزه لمن يغضُّون أبصارهم كثيرة، منها: أنه - تعالى -: «يمنحهم إلى جانب اللذات السابقة لذة أكمل، وهي لذة العفة، وقد قال بعضهم في هذا: والله لَلَذة العفة أعظم من لذة الذنب، كما يودع في قلوبهم أيضاً نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه».

ومنها أنه - تعالى -: «يسدُّ عنهم باباً من أبواب جهنم؛ فإن النظرة باب الشهوة المؤدية إلى وقوع الفعل، ثم إلى جهنم».

ومنها أنه - تعالى - «يمنُّ عليهم بفِراسة صادقة يميزون فيها بين الحق والباطل والصادق والكاذب. يقول أهل العلم في

ذلك: من عَمَرَ ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغضّ بصره عن المحارم وكفّ نفسه عن الشبهات والتزم الحلال لم تخطئ له فراسة. فمن غضَّ بصره عن محارم الله عوَّضه الله بإطلاق نور بصيرته عوضاً عن حبس بصره لله».

ومنها أنه - تعالى -: «يودع في قلوبهم ثباتاً وشجاعة وقوة، كما في الأثر: الذي يخالف هواه يَفْرَق الشيطان - أي: يخاف - من ظله».

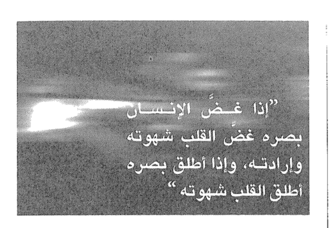
ومنها أنه - تعالى -: «يقوِّي عقولهم ويزيدها ويثبتها؛ فإطلاق البصر لا يحدث إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب. وخاصية العقل هي ملاحظة العواقب، ولو علم الذي يطلق بصره العواقب التي ستترتب على نظراته لما أقدم على ذلك».

ومنها أنه - تعالى -: «يفتح لهم طرق العلم وأبوابه ويسهل لهم أسبابه، وذلك بسبب نور القلب الذي إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات».

ولكن أين المخرج والعالم قد تغير، والإنسان يطلق بصره ليس بنظرة واحدة بل عشرات المرات في اليوم الواحد؟ ولو أحصى نظراته منذ بلوغه إلى مماته لما كان مصيره إلا تنّور جهنم تودع روحه فيه إلى يوم حشر جسده.

يشير العلماء إلى قاعدة تبيِّن رحمة الله - تعالى - بعباده مؤدَّاها: «من علامات مغفرة الله للعبد وأنه أراد به خيراً؛ أن يفتح له باب التوبة من ذنب أذنبه حتى يكون هذا الذنب باباً له من أبواب الحسنات».

يقول العلماء: «إذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به، وصدق اللجوء إليه، ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون به تلك السيئة رحمة له، حتى يقول الشيطان: يا ليتني تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول أحد العلماء: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نُصْبَ عينيه منه مشفقاً وَجلاً (خائفاً) باكياً نادماً مستحيياً من ربه - تعالى - ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة؛ فلا يزال يمنُّ بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويُعْجَب بها ويستطيل بها، ويقول:



فعلت وفعلت، فيورثه من العُجْب والكِبْر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه، فإذا أراد الله - تعالى - بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغِّر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك تركه في عُجْبه وكِبْره؛ وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه».

وقد يتوب الإنسان عن النظر لكنه قد يعود، وكيف لا والحرام يحيط به ويشده من كل مكان؟ وهنا يذكر العلماء قاعدتين:

الأولى: «من أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب» والذنب هنا ناتج عن تحقُّق أثر النظرة الأولى.

والثانية: «أن ضمان المغفرة لا يتوجّب تعطيل أسباب المغفرة».

ولشرح ذلك جاء في الحديث: «أذنب عبد ذنباً، فقال: أيْ ربِّ! أذنبتُ ذنباً فاغفر لي! فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: ربِّ أصبت ذنباً فاغفر لي! فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: ربِّ أصبت ذنباً فاغفر لي، فقال الله: عَلِمَ عبدي أنَّ له رباً يغفر الذنوب ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدي فليفعل ما شاء!».

وهذا لا يعني إطلاقاً وإذناً منه - سبحانه وتعالى - للإنسان بإتيان المحرّمات، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك. أي: «إذا أذنب تاب».

وخلاصة ذلك كله: أن الواقع الاجتماعي القائم البعيد عن تعاليم الإسلام؛ وإن فرض نفسه على بعض الناس؛ فإن أناساً آخرين قادرون على عدم الاستسلام لهذا الواقع، بل فرض أنفسهم عليه وكسب احترامه. فهل تستطيع امرأة اليوم أن تلوم رجلاً؛ لأنه غضَّ بصره عنها؟ إنها تُجِلُّه وتحترمه وتهابه؛ لأنه هاب الله وأطاعه وخالف المألوفات والعوائد.



إقرأ في هذا الكتاب

سلسلة تصدر عن مجلة البيان

كتاب البيان

العلمانيون وفلسطين

ستون عاما من الفشل

وماذا بعد ؟

تأليف

د. عبد العزيز مصطفى كامل

- ستون عاماً على إغتصاب اليهود لفلسطين ومازال العلمانيون يراهنون على المفاوضات .
- اربعون عاماً على ضياع القدس وأسر الأقصى .. ولا مخرج إلا الفرار إلى الله .
- حصار متواصل .. وتآمر جديد يتحالف فيه القريب مع البعيد .
- حيل الساسة ودهاليز السياسة أوصلتنا إلى طريق التيه .
- معان عظيمة في النصر والهزيمة وكيف نختصر خطوات النصر .
- طلائع الطائفة المنصورة في مواجهة طلائع الدجال .

الرياض. هاتف/ ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٤٢

فاكس/ ٤٥٣٢١٢١

المشاريع/ ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة/ ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧

مكة والمدينة/ ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

الجنوبية/ ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩

رعاية التوازن

(٢ ـ ٢)

د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar

ذكرت في مقال سابق أن التوازن هو ذلك الشيء الذي نناهزه لكننا لا نبلغه. وإذا بلغناه فإننا سرعان ما نفقده، وهذا من جملة القصور المستولي على عموم البشر! ومع هذا فإن علينا أن نلتمس من الوسائل كل ما يعيننا على امتلاك أكبر قدر ممكن منه، وقد قدَّمت بعضاً من ذلك، وأقدِّم اليوم بعضاً آخر عبر المفردتين الآتيتين:

١ - نحن في أحيان كثيرة لا نستطيع معرفة الموقف المتزن والسلوك المعتدل والقول المتوسط؛ إلا إذا عرفنا المتطرِّف والغالي والفرط والمفرِّط. وإنه لشيء مثير للانتباه أن غير الصحيح - في بعض الأحيان - هو الوسيلة الوحيدة إلى تحديد الصحيح! في كثير من البلدان نسمع من يقول: فلانة محتشمة في لباسها، ومن يقول: فلانة متهتكة في لباسها، ونسمع من يقول: لا بأس بحجاب أخت فلان، وحجاب زوجة فلان ممتاز... وإذا دققنا في مرادات الناس من وراء إطلاق هذه التعبيرات فإننا سنجد أن أشنع ما عرفه القائل من التهتك، وأفضل ما عرفه من الحجاب هو الذي حدَّد المراد من قوله: فلانة محتشمة، ولا بأس في حجاب فلانة.



وحين نتصور أن من قال ذلك لم يرَ التهتك الفاضح، ولم يرَ الحجاب الممتاز؛ فإننا نعتقد أن مراده من الاحتشام سوف يكون مختلفاً، ولهذا فإن الذين يعيشون في بيئات مغلَقة تكون أحكامهم ومعاييرهم منمَّطة تنميطاً شديداً؛ لأنهم لم يروا أقصى درجات التهتك والتبذل، ولم يروا أفضل درجات الحجاب، أو قل: لم يروا أزياء متعددة توفَّر فيها أعلى درجات الستر والحشمة. هذا يعني أننا كلما رأينا نماذج وأنماطاً أكثر على الخط المتصل الواحد؛ كانت الأحكام التي نُصدرها أقرب إلى التوازن والاعتدال، وكلما كانت النماذج التي نراها أقل؛ فإن من المتوقع أن تكون رؤيتنا وأحكامنا وتوصيفاتنا أقربَ إلى الإفراط أو إلى التفريط، وكانت أقل شمولاً وأبعد عن محاكاة الواقع. وقد أشار الشاعر إلى هذا المعنى حين قال:

يُقضَى على المرء في أيام محنتِهِ

بأنْ يرى حسناً ما ليس بالحَسَنِ

إن الشدائد والمحن الكبرى تجعل المرء يتقبل الابتلاءات والمحن الصغرى، التي كان في أيام الرخاء يستعظمها ويضيق بها.

ولك أن تقول نحواً مما ذكرناه في مسائل مثل: الشجاعة والجبن، والكرم والبخل، والجرأة والحذر، والانفتاح والانغلاق، وما شابه ذلك من الثنائيات. والسبب الرئيس في هذا هو قصور التعريفات وافتقارها إلى درجة عالية من الدقة والتحديد، فنحن لو طلبنا من عشرة من ذوي الثقافة المتوسطة أن يوصِّفوا لنا بدقة أعلى درجات الكرم والحذر والشجاعة لاختلفوا في ذلك اختلافاً واسعاً. وغموض التعريفات يعود إلى قلة الصور المختزنة في الدماغ عن الصفات التي نحاول تحديد تجسيداتها العملية.

٢ - ما ذكرناه آنفاً يعني أن النظرات والأحكام المتوازنة تحتاج إلى أن نرى كل أجزاء الصورة التي تعكس وضعية معيَّنة، وهذا يتطلب أولاً أن نؤمن بأننا في الغالب لا نرى إلا بعض أجزاء الصورة؛ بسبب محدودية الرؤية لدى الإنسان، وبسبب أنه في الغالب ينظر من زاوية واحدة، ويقوِّم ويفسِّر ما يراه من أفقِ ثقافة كثيراً ما تكون ضحلة وجزئية. وعلينا بعد ذلك أن نحاول الوقوف على أكمل صورة للوضعية أو الظاهرة التي نريد أن نحكم عليها، أو نستفيد منها.

ولا شك في أن جمع المعلومات يشكِّل مورداً أساسياً لذلك، لكن المعلومات تقبل بطبيعتها المتاجرةَ كما تقبل الحجب والإخفاء. وفي نظري أن فَهْمَ الطبائع التي فطر الله - تعالى - الأشياء عليها، وفهم السنن التي أمضاها فيها، مما يساعد مساعدة استثنائية في تجميع الصور ولجم الأحكام البعيدة عن التوازن.

تلتقي بشخص وافد من بلد بعيد وتسأله عن أحوال المسلمين هناك؛ فيحدِّثك عن انطباعاته حول ما رآه، ويصوغ تلك الانطباعات بلغته الخاصة التي تميل أحياناً إلى التفاؤل المفرط، ويلقي في روعك آنذاك أن المسلمين في ذلك البلد يعيشون في أفضل حال. ويَقْدِم من البلد نفسه شخص آخر، قد يكون سوداوي المزاج وميالاً إلى النقد والتشاؤم؛ فيُلقي في روعك أن البلد على حافة الانهيار؛ وكلاهما لا يروي إلا ما رأى وفهم، وكلاهما بعيد عن التوازن والاتزان.

إذا جاءتك التقارير التي تتحدث عن نجاحات دولة أو مؤسسة أو جماعة أو شخص؛ فاسأل عن الوجه الآخر من الصورة الذي لم يكتب فيه أي تقرير، وإذا جاءك مَنْ يسرد المساوئ والسلبيات؛ فابحث عن النقاط المضيئة التي تغافَلَ الناس عنها بسبب جهل أو حقد أو حسد.

إن من النادر جداً أن تتجمع أنواع الإيجابيات في بلد، كما أن من النادر جداً أن تبوء ظاهرة من الظواهر أو وضعية من الوضعيات بكل الشرور والسلبيات... هذا ما نعرفه من طبائع الأشياء.

ومن سنن الله - تعالى - في الخلق أن العواطف ميّالة بطبعها إلى التطرف، وهي كثيراً ما تحرف الذين تسيطر عليهم عن جادة الاعتدال، وتحرمهم من المواقف المتوازنة. وإن فهْمَ السنن، ومحاولةَ جمع كل أجزاء الصورة وامتلاك أدوات التحليل العميق، مع الحرص على أكبر قدر ممكن من الموضوعية؛ مما يجعلنا نصون آراءنا ومواقفنا من آفة الإفراط وآفة التفريط؛ والله المستعان في كل حين.



يا أيها الأقصى الجريح!

مروان كُجُك (*)
mrkujuk@yahoo.com

يَا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ هُبِّي وانْهَدِي(1)   وخُذِي زِمَامَ الأَمْرِ جِدّاً واصْمُدِي

شَحَذَ البُغَاةُ الهِيمُ ضِغْنَ قُلُوبِهِمْ   وتَقَاطَرُوا، كُلٌّ بِكُلٍّ يَقْتَدِي

إنَّا غَدَوْنَا كالخِرَافِ يَسُوسُنَا   رَاعٍ هَزِيلُ الفِكْرِ، مُنْهَزِمٌ رَدِي

لا؛ والذي سَمَكَ السماءَ وحَاكَهَا   لَنْ نهتدي إلاَّ بشَرْعِ مُحَمَّدِ

فهوَ الذي قادَ العُرُوبَةَ للعُلا   بالدِّينِ بالحقِّ المُبِينِ بمسجدِ

واليومَ صِرْنَا كالبُغَاثِ بأرضِنا   خُرْساً وعُمْياً عن عدوٍّ سَرْمَدِي

يَلْهُو بنا جَلاَّدُنا، وثُغُورُنَا   تحمي أعادينا البُغاةَ وتَفْتَدي

وديارُنا مَرْمَى العَدُوِّ، وأهلُنا   صَيْدٌ لكلِّ مُكابِرٍ ومُعَرْبِدِ

أهلي تَعَامَوْا عنْ عَدُوٍّ غَادِرٍ   واسْتَبْسَلوا في قَهْرِ شَعْبٍ مُجْهَدِ

والمسجدُ الأقصى يُرَدِّدُ شاكياً:   مَا حِيلَتي يَا ربُّ قدْ قُطِعَتْ يَدي

حَوْلي الأَحِبَّةُ أَغْمَضُوا أَبْصَارَهُمْ   عَمَّا أُقاسي من عَدُوٍّ مُلْحِدِ

مَا بَالُهُمْ كُلٌّ أَشَاحَ بوجْهِهِ   عَنِّي، ولاذَ بِهَجْعَةٍ وتَبَلُّدِ؟

مَا بَالُهُمْ قدْ أَغْمَدُوا أَسْيَافَهُمْ   وتَنَاوَمُوا عن مَقْصَدٍ وتَعَمُّدِ؟

* * *

(*) كاتب وشاعر من سورية، مقيم في السعودية.

(1) انهدي: ارتفعي.

فَهَبُوا مَوَاطِنَكُمْ غَدَتْ نَهْبَ العِدَى ... وأنَا بِطِيبِ مَعِيشَةٍ وتَبَغْدُدِ
أَوَ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ مِنِّي مَا بَدا ... منكُمْ وأُحْسَبُ في شُعُوبِ مُحَمَّدِ؟!
دَعْكُمْ مِّنَ الصَّمْتِ المُرِيبِ فإنهُ ... عَارٌ شَنِيعٌ لا يَلِيقُ بِمُهْتَدِي
أَنَا هَا هُنا في غَزَّةَ الشَّمَّاءِ أَصْـ ... ـمُدُ لِلعَدُوِّ الغَاشِمِ المُتَمَرِّدِ
لا أَنْثَنِي حَتَّى يَصِيرَ النصرُ ثَوْ ... باً سَابِغاً، وتَنامُ عَيْنُ مُسَهَّدِ
ويَعُودَ لِلأَقْصَى الشَّرِيفِ مَقَامُهُ ... بَيْنَ الوَرَى، ويَقِرَّ رَوْعُ الهُدْهُدِ
وتَفُوحَ أجواءُ البَرَايَا بالهُدَى ... والطَّيْرُ بَيْنَ مُرَفْرِفٍ ومُغَرِّدِ
أَنَا سَهْمُ كُلِّ قبيلةٍ وعَشِيرَةٍ ... شَمَّاءَ تُمْسِي باليَقِينِ وتَغْتَدِي
أَنَا سَيْفُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مُضَرِيَّةٍ ... فَرَطٌ لَهَا في صَحْوَةٍ وتَجَدُّدِ
أَنَا لَنْ أَذِلَّ لِغَاصِبٍ مهما عَتَا ... سَأَظَلُّ مَا أَحْيَا طَهُورَ المَوْرِدِ
أَنَا لن أَمَلَّ مِن الجِهَادِ؛ فليسَ لي ... إلا الجهادُ طَرِيقُ كُلِّ مُجَدِّدِ

* * *

إنَّ اليهودَ وإنْ تَعَاضَدَ جَمْعُهُمْ ... وأَمَدَّهُمْ حَبْلُ الصليبِ بِمَرْفَدِ
لَنْ يَبلُغوا مِنَّا الهَزِيمةَ، والرِّضَا ... دُونَ انبلاجِ الصُّبْحِ بالنصرِ النَّدِي
ولَسوفَ يَعلمُ كُلُّ مَنْ فَوقَ الثَّرَى ... مِنْ ظَالِمٍ أو عَائِلٍ مُسْتَعْبَدِ
أَنَّا - بَنِي الإسلامِ - أَهلُ نِكَايَةٍ ... بِعَدُوِّنَا إنْ جَارَ، أَهلُ تَفَرُّدِ
نَعفُو إذا فُزْنَا، ونَصبرُ إنْ بَغَا ... بَاغٍ، ونَدَّخِرُ العِرَاكَ إلى غَدِ
نَأبَى الخَنَا مهما تَعَاظَمَ أَهلُهُ ... وامتدَّ في الآفاقِ غَيرَ مُقَيَّدِ
ونَذُودُ عن أقداسِنا أَهلَ الهَوَى ... ذَوْدَ الأَبِيِّ الحُرِّ دُونَ تَرَدُّدِ

* * *

نَحنُ الأُلَى سَبَقُوا الأَنَامَ بنهضةٍ ... عَمَّتْ تُخُومَ الأرضِ مِعطاءَ اليَدِ
مَا فَرَّقَتْ بينَ الأَنَامِ لِمَوْطِنٍ ... أو لُكْنَةٍ عَجْمَاءَ مِنْ مُتَشَرِّدِ
فَالكُلُّ في دِينِ الإلهِ عَبِيدُهُ ... مِنْ أَيِّ قَوْمٍ سُلْسِلُوا أو مَحْتِدِ

* * *

يَا أيُّها الأقصَى الجَرِيحُ تَصَبُّراً ... فالنصرُ آتٍ لا مَحَالةَ في غَدِ
الناسُ حَوْلَكَ ثائرونَ تَصُدُّهُمْ ... عنكَ القُيُودُ وحُكْمُ ثرثارٍ رَدِي
وغَداً سيرحَلُ إفْكُهُ وشُرُورُهُ ... وتُقَصُّ أجنحةُ الزعيمِ الأَوْحَدِ
ويُصَاحُ: يَا هذي الحدودُ تَصَدَّعِي ... عن دَرْبِنا، وذَرِي المَسِيرَةَ تَبْتَدِي!



فلسطين المحتلة على مشارف انتفاضة ثالثة

(٢ - ٢)

حوار مع أسامة حمدان

ممثّل حركة حماس في لبنان

حاوره: أحمد فهمي

في الجزء الأول من الحوار مع أسامة حمدان ممثل حركة حماس في لبنان، قال إن الفرصة التي ضيعها العرب لتسوية الصراع لم تكن برفض مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وإنما بعدم استثمار تداعيات حرب أكتوبر ١٩٧٣م، كما أكد أن حصيلة ستين عاماً من الاحتلال الإسرائيلي هي الفشل الذريع في إخضاع الشعب الفلسطيني على الرغم من استخدام كافة السبل، وشدد حمدان على رفض الفلسطينيين لوضع القدس على مائدة التفاوض، واستنكر تنازل السلطة عن غرب المدينة لليهود، وأشار إلى أن الصهاينة يعتمدون سياسة التقدم البطيء لهدم الأقصى وبناء الهيكل، وقال حمدان إنه لا يعتبر «إسرائيل» دولة علمانية، وبيّن أن مشروع «إسرائيل الكبرى» تحوّل من الهيمنة العسكرية إلى الهيمنة السياسية والاقتصادية، ولكنها أيضاً تعثرت... وفي الصفحات التالية نتابع بقية الحوار..

البيان: في السنوات الأخيرة؛ تعرّض مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي للارتباك والتشويش لأسباب مختلفة؛ فما مرتكزات الأمن القومي الإسرائيلي في المرحلة المقبلة؟

■ في الحقيقة أن ما تفضلتم به في هذا السؤال أمر مهم جداً؛ فالأمن القومي في الكيان الصهيوني اعتمد على ثلاث قضايا خلال المرحلة الماضية: اعتمد أولاً على العمق الجغرافي، وعلى أن السلاح الذي تملكه الأمة - بغض النظر عن استخدامه أو عدم استخدامه - لا يمكن أن يصل إلى العمق الأمني، واعتمد أيضاً على نظرية الحرب الخاطفة وقدرة جيش العدو على شن حرب من النوع السريع والخاطف الذي يكبّد هذه الأمة خسائر فادحة ويوقع بها هزيمة لا تستطيع ردها، وسرعان ما تتوقف هذه الحرب أو هذه المعركة ويبدأ البحث عن صيغ من التهدئة أو التسوية، وهذا من شأنه أن يثبّت الاحتلال ويكرس العدوان على أرضنا وعلى أمتنا.

أما الركيزة الثالثة للأمن القومي الإسرائيلي؛ فهي الاعتماد على زيادة عدد السكان أو جلب المستوطنين من الخارج. ولا شك أن هذه القضية (الأمن القومي) تعرضت لاهتزاز كبير نتيجة تغيّر أدوات القتال، ودخول الصواريخ إلى ميدان المعركة، وهو ما أضعف العمق الجغرافي الاستراتيجي للعدو.

ومن العوامل التي أدت إلى هذا الاهتزاز: المقاومة داخل الأراضي الفلسطينية التي أشعرت العدو أن الأمن لا يمكن أن يتحقق، وأن نظرية الحرب الخاطفة سقطت وانهارت، وأن فكرة جلب مزيد من المستوطنين إلى الأراضي الفلسطينية تحت عنوان أنها مناطق آمنة مستقرة يمكن العيش فيها برفاه؛ أيضاً سقطت من خلال فعل المقاومة. وعلى هذا اهتزت نظرية الأمن الإسرائيلية.

العدو الآن يحاول الاستيعاض عن هذه النظرية بنظرية من مكونات أخرى، أول هذه المكونات هي نظرية الأطواق، بمعنى

أن يلجأ العدو إلى بناء أطواق أمنية أبعد من مجرد الحدود الجغرافية لفلسطين. ولهذا وجدنا هذا الاحتلال يصفق كثيراً لاحتلال العراق؛ أملاً في أن ينشأ كيانٌ سياسي هناك يكون طوقاً لحماية العدو، من خلال ارتباطه بالاحتلال، ومن خلال وجود قواعد عسكرية إسرائيلية وأمنية هناك، أيضاً فَتَح العدو خط العلاقات بشكل واضح مع أثيوبيا، وهو يحاول اختراق القرن الأفريقي لتكوين طوق هناك يحميه، ويحاول العدو أيضاً أن يحافظ على علاقته بتركيا التي انطلقت منذ زمن بعيد كي يكرس بذلك طوقاً إضافياً حول الأمة، ويكرس بذلك جزءاً من ركائز نظرته الأمنية الجديدة.

أما العنوان الثاني: فهو هيكلة جيش الاحتلال كي يكون قادراً على استعادة قدرته أو استعادة الحروب الخاطفة. وعلى الرغم من كل المحاولات؛ فإنني أعتقد أن هذه المسألة قد لا تنجح كثيراً؛ ذلك أن العدو لا يزال بوسعه إطلاق الحروب أو البدء بالحروب، لكنه غير قادر على التنبؤ بمسارها، أو كيفية انتهائها وأين ستؤول الأمور بعد إطلاق هذه الحرب.

أما الركيزة الثالثة في قضية الأمن؛ فهي استعاضته عن المستوطنين الذين كان يجلبهم؛ بفتح باب الهجرة حتى لمن لم يكن يقبلهم قبل ذلك يهوداً؛ في إطار إيجاد طبقة جديدة داخل هذا الكيان، يمكن أن تحمل أعباء حمايته والموت من أجله، أملاً في أن تحصل في نهاية المطاف على هوية يحملها أو هوية يمنحها لها هذا الكيان. غير أن هذا الأمر قد لا يؤتي الثمرة المطلوبة التي يريدها الاحتلال سريعاً.

يجب ألا ننسى أن بناء أي نظرية أمنية في الأمن القومي ليست سهلة، ويجب ألا ننسى حجم الأزمة الداخلية في الكيان الصهيوني، وأيضاً يجب ألا ننسى أن الأمة تتطور وأنها قادرة - بإذن الله سبحانه وتعالى - على تسديد ضربات لمكونات نظرية الأمن القومي الصهيوني.

البيان: عند مقارنة الدعم الذي قدمته الأنظمة العربية إلى السلطة الفلسطينية قبل فوز حماس، بالدعم المقدم إلى حكومة هنية؛ يتبين أن تلك الأنظمة تتخذ موقفاً معارضاً تجاه حركة حماس، سواء كانت في السلطة أو في المعارضة، وبنشر موقع حماس على الإنترنت معلومات عن اتفاق بعض الدول العربية على إسقاط الحركة، في الوقت نفسه تستمر الحركة في مفاوضاتها مع هذه الدول؛ فكيف يمكن تفسير هذه التناقضات؟

■ أولاً: ليست هناك تناقضات. لا شك أن فوز حركة حماس بالانتخابات كان مفاجأة لكثير من الأطراف الفلسطينية والإقليمية ومنها العربية والدولية، وبعضهم حتى الآن لم يستوعب حقيقة ما حصل من تحول في الواقع الفلسطيني، وبعضهم استوعبه ولكنه لا يريد أن يقرّ به على أي حال من الأحوال، وهناك من يقف متفرجاً، بينما يحاول بعضٌ أن يكون شريكاً في محاولة إسقاط الحكومة الفلسطينية، سواء حكومة الوحدة الوطنية، أو الحكومة التي سبقتها الحكومة التي كوّنها الأخ إسماعيل هنية برئاسته في أعقاب الفوز بالانتخابات.

نحن في الحركة لنا موقف واضح من الأمة دائماً نؤكده ونصرُّ عليه ونتمسك به، وهو قناعة وعقيدة راسخة لدينا: أن هذه الأمة هي أمتنا، حتى إن أساء بعضها إلينا؛ تظل أمتنا، ولا يمكن أن نتخلى عنها أو ننقلب عليها أو ضدها، ولذلك يظل باب الحوار معها مفتوحاً حتى إن حصل خلافات وتباينات في السياسة أو في غيرها؛ لأننا في النهاية لا نرى سبيلاً في إدارة العلاقة مع أمتنا سوى أن نتحاور معها وأن نتفاهم معها. وهذا ليس تناقضاً، على العكس تماماً؛ هذا شعور حقيقي بالانتماء الجدي لهذه الأمة والمسؤولية الجدية تجاه هذه الأمة، وهذا هو الذي يمكّننا من أن نتجاوز عما نعتبره أخطاء لصالح القضية الفلسطينية.. هذا من جهة. ومن جهة أخرى؛ نحن نصارح أمتنا بما نرى من أخطائها وما يؤذينا منها، وعندما كانت هناك مشاركات لبعض الأطراف من أجل إسقاط الحكومة الفلسطينية؛ تحدثنا في هذا الموضوع بصراحة، وقدمنا ما لدينا من أدلة وبراهين. وأنا أعتقد أن هذا أيضاً، على الرغم من أنه لم يؤدِّ إلى انجلاء العلاقة السياسية على النحو الذي نريده ونتمناه، إلا أنه على الأقل أوصل رسالة واضحة لهذه الأطراف: أن حركة حماس لا يمكن أن تنسلخ عن أمتها، ولا يمكن أن تتنازل عن دورها من أجل القضية الفلسطينية.

نحن نعتقد أن الأمة أو الذين لم يستوعبوا هذا التغير من أبناء الأمة أو الذين لا يزالون يرفضون التعامل مع هذا التغيير؛ سيكتشفون في نهاية المطاف أن المصلحة الحقيقية هي في الإقرار بهذا التغيير، والتعامل معه على أساس أنه اختيار الشعب الفلسطيني.

البيان: يؤيد العلمانيون العرب زحزحة الإسلام عن ميدان الصراع والانطلاق من القومية العربية في إدارة القضية الفلسطيطية؛ فما التأثير الواقعي لتنحية الهوية الإسلامية عن القضية الفلسطينية؟

■ أول عناوين هذا التأثير أننا نخسر أكثر من مليار ومائتي مليون مسلم، منهم ٣٠٠ مليون عربي.

المسألة الثانية أن هذه القضية هي قضية عربية؛ تضع اليهود في دائرة يستطيعون من خلالها أن يقولوا إن عنصريتهم وإن فئتهم وقوميتهم هي اليهودية، في حين أنهم أشتات. نحن نعتقد أن المستهدَف باحتلال فلسطين هم العرب والمسلمون على حد سواء، وتوسيع دائرة المواجهة وتوسيع دائرة المؤيدين

فيها مصلحة وكسب لنا.

أما ثالث هذه القضايا فهي أن هذه الأمة ارتبطت بفلسطين ارتباطاً عقدياً يوم أنزل الله - سبحانه وتعالى - في محكم تنزيله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١]. وهكذا ارتبطت فلسطين بدين هذه الأمة، وارتبط المسجد الأقصى بعقيدتها، ومن ثم لا يمكن بحال من الأحوال استثناء هذا العامل من الصراع مع العدو، بل إنه عامل تحريض وعامل دفع لهذه الأمة كي تقاتل في هذه القضية وهي واثقة أولاً بنصر الله - سبحانه وتعالى - ثم ثقة منها بالله أنها تخوض معركتها الصحيحة في ميدانها الصحيح، بدلاً من أن تخطئ وتخوض معارك ربما لا تكون في خدمة القضية، أو بالحد الأدنى تتسبب في خسائر لفلسطين وقضية فلسطين.

البيان: ماذا سيكون موقف حماس إذا وصلت الدول العربية إلى صيغة تفاهم مع الكيان الصهيوني ينتج عنها الاعتراف بالدولة الإسرائيلية؟ وهل تتوقع أن يحدث ذلك قريباً؟

■ في الحقيقة من المستبعد أن يحدث هذا الأمر قريباً لعدة أسباب: أولاً: أن الكيان الصهيوني ليس في سياسته التجاوب مع الحد الأدنى الذي قدمته الدول العربية، وذلك في المبادرة العربية المعلنة في قمة بيروت ٢٠٠٢م. ومن الواضح أن مسيرة التسوية تكشف بوضوح أن هذا الكيان لا يرغب - وليس معنياً - بالتراجع عن احتلاله للأراضي الفلسطينية، بل إنه يحاول تكريس نفسه أمراً واقعاً. إضافة إلى ذلك يتضح خلال مسيرة التسوية؛ أن الكيان الصهيوني معنيٌّ بتحقيق مكاسب، وليس معنيّاً بتقديم ما يمكن أن يسمى تنازلات. وقد أثبتت تجربة (أوسلو) كذلك أن الشعب الفلسطيني لا يمكن أن يقبل بصيغة التنازل، وقد استمرت المقاومة على الرغم من التسوية. ويدرك الاحتلال ويدرك كل من يحاول أن يسمع صيغة من صيغ التنازلات مع الاحتلال؛ أن المقاومة لا يمكن أن يوقفها تفاهم أو اتفاق يضيع الحقوق. وهنا نحن نعتقد أن المنطق الذي يجب أن يتعامل أو تتعامل معه الدول العربية هو منطق المصالح الفلسطينية وليس منطق الأمر الواقع؛ المطلوب أن تتعامل الدول العربية من خلاله مع الكيان الصهيوني كالأمر الطارئ الذي يجب أن يزول، وزواله مرتبط بجهد عربي في دعم المقاومة.

البيان: هل يبدو أن لدى إسرائيل نوايا حقيقية لإنهاء الصراع؟ وما الصورة المثلى التي يأمل الكيان الصهيوني أن ينتهي الصراع إليها؟ بعبارة أخرى: ماذا يريد الإسرائيليون تحديداً في المرحلة المقبلة؟

■ لا شك أن الاحتلال حريص على إنهاء الصراع، وهو يرى في إنهاء الصراع باباً للاستقرار بالنسبة إليه، والبقاء في هذه المنطقة دولة معترفاً بها. وهذه هي المسألة التي يسعى فعلاً الكيان الصهيوني لتحقيقها: اعتراف عربي بهذا الكيان على الأراضي الفلسطينية، وأن يصبح عضواً طبيعياً في المنطقة كأي دولة من دولها؛ وهذا ما عبر عنه قادة الكيان عندما طرحوا سلسلة من الأفكار بعد اتفاقية أوسلو تتحدث عن الشرق الاوسط الجديد. وأستحضر هنا ما قاله شيمون بيريز: إذا التقى المال العربي والعقل الإسرائيلي، فإن ذلك سينتج بلا ريب حضارة وقوة كبيرة.

الصورة المثلى التي يأمل الكيان الصهيوني أن ينتهي إليها هو أن يصبح كياناً قائماً على كل الأراضي الفلسطينية معترَفاً به من العرب، وأن تسوّى قضية اللاجئين بإعادة توطينهم في الدول العربية ومنحهم جنسيتها وإنهاء ارتباطهم بفلسطين، وأن يُستوعَب جزء من الفلسطينيين الموجودين في الأراضي الفلسطينية في جزءٍ من بنية الكيان الصهيوني وإخراج الباقين من أرض فلسطين. وعلى هذا الأساس يُتكلم عن يهودية الدولة، ويُتكلّم عن عدم التراجع، ويمكن أن يلجأ الاحتلال إلى إقامة شكل من أشكال الدولة المهيمَن عليها، منزوعةِ السلاح، معدومةِ السيادة؛ ليقال: إن هذا هو الكيان الفلسطيني، يتجمع فيه الفلسطينيون الموجودون داخل الأراضي المحتلة. هذه هي الصيغة التي يسعى لها الاحتلال، ويعتقد قادة الكيان الصهيوني - وهنا الأهمية - أن هذه الفرصة هي الفرصة الأخيرة بالنسبة لهم؛ فالإدارة الأمريكية اليوم تخوض حرباً واحتلالاً كما يخوضون، وهم يرون أن هذه الإدارة ستكون بعد سنوات عاجزة عن السيطرة على المنطقة وغيرَ مقبولة، وستضطر إلى الرحيل أو إلى تغيير سياساتها، وأي تغيير في السياسات الأمريكية يعني تغييراً في دور الولايات المتحدة تجاه الكيان الصهيوني، وهو ما سيُضعفه ويجعله عرضة لانهيارات أكثر. لذا، يحرص قادة الصهاينة على الوصول إلى تسويات في أفضل حالة ممكنة خلال هذه المرحلة، على أمل أن يؤدي ذلك إلى بقاء هذا الكيان وفق الصيغة التي يريدها الاحتلال، ووفق الصيغة التي يسعى الاحتلال للوجود بها؛ وهي صيغة (الأمر الواقع) التي يهيمن فيها على الأراضي الفلسطينية بما في ذلك القدس المحتلة.

البيان: تقول بعض التحليلات: إن حالة التوتر المستمرة بين الفلسطينيين والاحتلال تستنزف قدرة الفصائل الفلسطينية والشعب الفلسطيني على التجهيز للانتفاضة الثالثة؛ فهل تعدون ذلك صحيحاً؟ وهل يتحمل الفلسطينيون انتفاضة أخرى؟

■ لا شك أن استمرار حالة التوتر العالي يستنزف قدرة الشعب الفلسطيني وقدرة الفصائل، لكنا يجب أن نوازن

بين أمرين: هـل المطلوب فعلاً حالة من الاستقرار ينعم بها الاحتلال؟ هل المطلوب هو أن يتنازل الفلسطينيون عن جزء من حقوقهم مقابل أن يحصلوا على حالة من الهدوء؟ أم أن المطلوب هو إدارة للصراع تمكننا على الرغم من حالة التوتر المستمرة أن نـراوح بين تهدئة مؤقتة أو ما بين حالة من الهدوء، ولو كان مشوباً بالتوتر والحذر وبين الإعداد؟

أنـا أعتقـد أن المعادلة التـي يجب أن تحكـم كل الأداء الفلسطيني وكل أداء الأمة تجاه فلسطين: أننا في حالة صراع وحرب مع هذا العدو، وفي حالة الصراع لا تُستخدَم أساليب الدول المستقرة ولا تستخدم أساليب الكيانات السياسية المستقلة، وإنما يستخدَم أسلوب إدارة الصراع. وفي إدارة الصراع لا بد مـن إدراك أن هناك حالة من التوتر ستظل قائمة حتى تحسـم المعركة، لكننا نستطيع أن نقلل من وتيرتها أحياناً، وأن نرفع من وتيرتها أحياناً أخرى وفق مصالحنا ووفق مصلحة القضية الفلسطينية، ووفق قاعدة أساس؛ وهي أن علينـا أن نواصل الجهاد ولا بد أن نعمل كل ما من شأنه أن يعيننا على ذلك. أما إذا كنا نسأل الآن: هل الشعب الفلسطيني قادر على التجهز لانتفاضة ثالثة؟ فأنا أعتقد أن الشعب الفلسطيني قادر ويتحمل انتفاضة ثالثة؛ لأنه أدرك بعد مسيرة التسوية على مدى ستة عشر عاماً أن لا أمل في التسوية، وأن كل الوعود كانت كذباً وسـراباً، وأن كل المشروعات الإسرائيلية الاستراتيجية نفذت في ظل التسوية، وكان الموقف الفلسطيني الرسـمي مع الأسف يقول: إن علينا أن نصبر، وإن علينا ألا نُستفَز، وإن علينا أن ندرك أن هناك مجتمعاً دولياً يقف وراءنا؛ فكان بذلك يقدم خدمة للعدو.

الشعب الفلسطيني أعتقد أنه يسير باتجاه انتفاضة ثالثة، وربما تكون هذه الانتفاضة مختلفة في الشكل والأسلوب، وأعتقد أن هذه الانتفاضة ستكون أكثر قدرة على فرض الشروط الوطنية الفلسطينية ولا سيما أن هناك تغيّراً فلسطينياً جذرياً بعد نتائج الانتخابات عام ٢٠٠٦م، حيث قال الشعب الفلسطيني إنه ما يزال مقتنعاً بالمقاومة. وهنا أسوق آخر استطلاعات الرأي التي أجراها مركز الدراسات والبحوث المسحية في فلسطين، وهو مركز لا يرتبط بالمقاومة ولا بحركات المقاومة، قال إن ٨٤ ٪ من أبناء الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة والقدس يرون أن من الضروري أن تعود العمليات الاستشهادية، وأن حوالي ٦٥ ٪ يؤيـدون استمرار إطلاق الصواريخ على المستوطنات الصهيونية، وأن حوالي ٩٠ ٪ يقولون إنه لا جدوى من لقاءات أبي مـازن وأولمرت ويجب توقيفها، وأنهـم كذلك لا يثقون أن هناك عملية للتسوية يمكن أن تعيد إليهم حقهم. هذا المناخ الشعبي الفلسطيني هو الذي يهيّئ؛ أو هو الذي يكوِّن قاعدة لانتفاضة ثالثة في مواجهة الاحتلال.

البيان: تفاعلت الجماهير المسلمة مع قضية احتلال فلسطين طيلة عقود ماضية. في نظركم: ما الدور المطلوب من هذه الجماهير في المرحلة القادمة مع الأخذ في الحسبان ضيقَ المساحة المتاحة في التعبير أو الفعل؟

■ لا شك أن ضيق المسـاحة المتاحة للتعبير أو الفعل هي مشـكلة حقيقية تواجه جماهير أمتنـا، وإذا أردنا أن نتحدث عن هذه المشكلة فلا يسـعنا الحديث وإن طال، ولكن المطلوب من الأمة أن تكون قدرتها في الفعل هي التي تفسـح لها المجال وتوسّـع لها الآفاق، مثل هذه الحقـوق لا تُمنح ولا تُقدَّم وإنما تنتزع انتزاعاً بممارسة هادئة سياسية تقدِّم أولويات الأمة على الأولويات الشـخصية أو الفئوية أو القُطْرية، وتوصل رسـالة إلـى كل من يعنيهم الأمر أن هـذه الأمة لا تزال معنية بقضايا كثيرة.

تفاعل الأمة بلا شـك كان كبيراً طوال العقود الستة، هذا الدعم مطلوب أن يسـتمر وأن يتواصل الآن، ولكننا نطمح إلى ثلاث مسائل أخرى:

المسـألة الأولى: أن يـزداد هذا الدعـم؛ فأعباء مواجهة الصمـود والجهاد تزداد مع الوقت، ولا بد أن يواكب ذلك زيادة في الدعم الـذي تقدمه الأمة إلى الجهاد والمقاومة على أرض فلسطين.

أما المسـألة الثانية: فلا بد أن تنتقـل الأمة إلى موقع مَنْ يمـارس ضغطاً سياسـياً على أصحاب القـرار، يدفعهم إلى اتخاذ قـرارات تخدم قضية فلسطين وتخدم مصالح الأمة في فلسطين؛ من قبيل مقاطعة العدو، أو إغـلاق سفارته، أو وقف التعامـل معه، أو حتى أن يرتبط بنـاء علاقاتنا مع العديد من الدول في العالم بحجم موقفها من القضية الفلسطينية أو من حـقـوق الشعب الفلسطيني أو بطبيعته.

أما المسـألة الثالثـة: فتتعلـق بمواجهة مـا يمكن عدُّه الاستحقاقَ في المرحلة القادمة. ونحن ندرك أن معركة تحرير فلسـطين تحتاج إلى جهود الأمة بأسْرها، وإذا بقيت الأمة في موقع من يرى نفسه داعماً ومؤيداً دون أن يكون ترجمة عملية؛ فـإن هذا يُضعِف قدرةَ الاندفاع فـي عملية التحرير. ولذلك؛ لا بـد أن تتعامل الأمة مع القضية شـعوراً منها والتزاماً بأنها قضيتها، وهذا يتطلب تعبئة شـعبية وإعداداً نفسـياً ومعنوياً، وأن تكون الأمة شـريكاً في المواجهـة ضد هذا العدو. وإذا لم يكن ذلك متيسراً بالسلاح والإعداد سوى على أرض فلسطين؛ فليكن ذلك بالسياسـة والتعبئة والمواجهة الشعبية خارج أرض فلسطين بما يشـعر الكيان الصهيوني بأنه لا مقام له في هذه المنطقة.

- من بغداد إلى بيروت.. هل اكتمل الهلال الشيعي؟
أحمد فهمي

- يا أهل السنة في لبنان خذوا حذركم!
عبد العزيز بن ناصر الجُلَيّل

- الوثنية السياسية.. خبرة العَلمانية التركية
د. كمال حبيب

- مسلمو روسيا بين التغلغل الشيعي والغياب السني
محمد عادل

- الآثار الاجتماعية لخمس سنوات من احتلال العراق
عبد المجيد خضير

- ثورات النخب
د. يوسف بن صالح الصغير

- مرصد الأحداث
أحمد فهمي

المسلمون والعالم







1 رسائل الأذكار
2 رسائل الفتاوى
3 رسائل المرأة المسلمة
4 رسائل أفراح الروح
5 هذا المحب يا حبيب
6 معاني كلمات القرآن الكريم
7 مواقيت الصلاة
8 مهارات النجاح
9 حكم وأمثال

للإشتراك في خدمة رسائل
جوال طيبة
أرسل رسالة نصية SMS
تحتوي على رمز الخدمة
إلى الرقم 1030

طريقة إلغاء الخدمة
أرسل حرف U زائداً
رقم الخدمة

عبر شبكتي
سوداني و زين





الرصافة الكرخ

بغداد

بيروت

من بغداد إلى بيروت..

هل اكتمل الهلال الشيعي؟

أحمد فهمي

تنقسم بغداد إلى منطقة الرصافة في الشرق ويغلب عليها الشيعة، ومنطقة الكرخ في الغرب ويغلب عليها السنة، وتشير التقديرات إلى أن النسبة بين السنة والشيعة في العاصمة العراقية كانت متقاربة، لكن بعد الاحتلال الأمريكي نُفِّذ مشروع منهجي دقيق لتهجير أكبر عدد من السنة خارج بغداد لتتحول إلى عاصمة شيعية. وحسب تصريحات الدكتور عدنان الدليمي - أو صرخاته - فإن نسبة السنة في بغداد تراجعت إلى حد كبير، ويقول الدكتور حارث الضاري: إن من يسيطر على بغداد يسيطر على العراق.

أما بيروت فتنقسم إلى: شرقية يغلب عليها النصارى، وغربية يوجد فيها السنة بكثافة مع وجود شيعي. وتتشابه بغداد مع بيروت في أمر لافت للنظر، وهو تركّز القوة الضاربة للشيعة في مواجهة السنة في أحد الأحياء أو الضواحي العشوائية بالعاصمة، أي مدينة الصدر في بغداد، والضاحية الجنوبية في بيروت.

من الأولى ينطلق جيش المهدي ليذبح السنة في أحيائهم، ومن الثانية تنطلق ميليشيات حزب الله واستخباراته لتوسع المربعات الأمنية حتى تتحول إلى دوائر ودوامات تبتلع الأحياء السنية وبخاصة التي يوجد فيها نسبة شيعية.

ويتشابه المكون الاجتماعي الشيعي في كلا المنطقتين الشيعيتين (الصدر، الضاحية) في أن أغلب سكانهما قدِموا قبل عقود من الجنوب وكانوا يمثلون أقل طبقات المجتمع ثقافة وتحضراً.

الآن يسيطر الشيعة على أهم المناصب الحكومية في بغداد، بدءاً بمنصب المحافظ ومروراً بالقيادات الأمنية، ويسعى حزب الله لتطبيق النهج نفسه في بيروت من خلال فرض سيطرة عسكرية وأمنية على أغلب أحياء المدينة من خلال الميليشيا والاستخبارات والاتصالات والتحالفات.



يتكون الهلال الشيعي الإيراني من ثلاثة عواصم رئيسة، هي: بغداد، ودمشـــق، وبيــــروت. الأولى: خضعـــت للنفوذ الإيراني إلى حد كبير، والثانية: خضعت عن طريق التحالف والمرافد والتشيع، والثالثة: بدأ حزب الله في تنفيذ خطوات عملية لتدشينها عاصمة ثالثة للهلال الإيراني، لا يأمن فيها على نفسه إلا الشيعة ومن يحالفهم، حتى إن سعد الحريري (زعيم تيار المســتقبل) احتاج إلى الاستعانة بقوات الجيش لحماية مقره في (قريطم) بعد تعرضه لقصف من ميليشـــيا الحزب.

• إستراتيجية حزب الله:

لا يمكـــن فهم أداء حـــزب الله وأهدافه فـــي لبنان من دون تحليـــل قيمته الحقيقية في التركيبة اللبنانية الطائفية؛ فالحزب في واقع الأمر يتجـــاوز حجمه الحقيقي بمراحل، فهو مكبـــل بقيود المحاصصــــة الطائفية من أســـفل الهرم السياســـي اللبناني إلى أعلاه، لكونه يمثـــل جزءاً فقط من الطائفة الشيعية. وحسب التوافقات بين الحزب وحركة أمل؛ يوجد ستة وزراء شيعة في الحكومة، بينهم وزيران فقط من الحـــزب من إجمالي ١٩ وزيراً يكوِّنون الحكومة اللبنانية، أي أن الحزب يساوي ٢ من ١٩ حسب المحاصصة السياسية.

وتشـــكل الطائفة الشيعية نفســـها أقلَّ من ثلث إجمالي السكان في لبنان: حوالي ٢٩ - ٣٠٪ (النهار ٢٣/١١/٢٠٠٦م)، وحصتهـــم في مجلس النواب لا تتجاوز ٢٧ نائباً من إجمالي ١٢٨ نائباً. وحســـب التوازنات الطائفية؛ فإن الحزب يواجه قيد الطائفة الشيعية، ثم قيد الطوائف اللبنانية؛ فماذا يتبقى له في الأخير؟ لا شــــيء تقريباً على الصعيد السياسي. ومن هنا يمكن فهم لجوء الحزب إلى طريقتين لتجاوز عقبة قِصَرِ قامته داخل لبنان: الأولى: تمثلت في تكوين تكتل سياســـي يتضمن تمثيلاً للطوائف اللبنانية الرئيسة، والثانية: تعويض نقصان القدرة السياســـية بتدعيم القدرة العسكرية. لذلك فإن ســـلاح حزب الله هو بمنزلة شريان الحياة للحزب، ومن دونه ستتراجع قوته السياسية إلى الحضيض.

إن الزحـــف الشـــيعي الذي يقوده الحـــزب نحو بيروت يهدف إلى عزل القوة الســـنية الرئيســـة في الشمال، وربما يأتي في مراحل لاحقة العمل على تهجير التجمعات السنية في الجنـــوب لتلحق بمثيلاتها في الشـــمال، ومن المعلوم أن الحزب لا يعترف بالنســـب الســـكانية الحاليـــة، وكثيرٌ من الشيعة يعتبرون أنهم الطائفة الأكثر عدداً بين اللبنانيين.

وتزعم قيادات الحزب أن الأكثرية النيابية ممثَّلة في قوى ١٤ آذار، لا تمثـــل أكثر من ٤٠٪ مـــن اللبنانيين، على الرغم من امتلاكها لـ ٧١ مقعداً في البرلمان (اختلت النسبة بسبب الاغتيالات المتتالية)، بينما تكتل المعارضة الذي يقوده حزب الله يمثل ٦٠٪ من اللبنانيين على الرغم من امتلاكه لعدد أقل من المقاعد، حسب تصريحات نعيم قاسم نائب الأمين العام للحزب (المستقبل ٨/١١/٢٠٠٦م).

لا مجال بعد الأحداث الأخيرة للتشـــكيك في أن حزب اللـــه - مدعوماً من إيران - يهـــدف إلى إعادة صياغة دولة جديدة في لبنان، وهو اتجاه لا يتناسب مع مسار «التقسيم»؛ فلماذا تؤسس إيران دولة شـــيعية صغيرة في جنوب لبنان، بينما يمكنها السيطرة على لبنان بأسره؟

وتتضـــح نوايا الحزب مـــن خلال معرفة أن اســـتقالة أعضائـــه وممثلي المعارضة من الحكومـــة هي مجرد إجراء شكلي؛ إذ تشـــارك المعارضة في الحكومة بمنتهى الفعالية، ويتمســـك الحزب بتوزيع المناصـــب الحكومية وبخاصة في المجال الأمني إلى الدرجة القصوى؛ إذ يسيطر الحزب على جهاز الأمن العام والأحوال الشخصية والجمارك وأمن المطار والأمن الداخلي، هذا فقط في نطـــاق وزارة الداخلية التي يترأســـها وزير ســـني؛ فكيف بالوزارات التابعة للشيعة وقد أشعل الحزب بيروت الغربية من أجل إعادة مدير أمن المطار إلى منصبه ورفض تماماً تعيين ضابط شـــيعي آخر مكانه؟ فالحزب إذاً ليس بمعزل عـــن الحكومة أو الجهاز التنفيذي للدولة، بل هو حاضر بقوة ويمثل إعاقة حقيقية للأغلبية في إدارة شؤون الدولة.

بعبارة مختصرة: إذا كان الحزب يطالب بنســـبة «الثلث المعطِّل» فـــي الحكومة، فهو في واقع الأمر يطبق أســـلوب «التعطيل» على الأرض وهو مـــا يجعل الحكومة عاجزة في الحالتين حتى عن بلوغ مستوى حكومة «تسيير أعمال».

• احتلال بيروت الغربية:

إن عملية احتلال ميليشـــيات حزب الله لبيروت الغربية لم تكن وليدة انفعال وقتي، بل هي خطوة محسوبة وممنهجة ضمن إســـتراتيجية حزب الله؛ فالحزب يعلم جيداً تغيرات



موازين القوة على الساحة اللبنانية، وأي فوارق في القوة لا بد من تفعيلها على أرض الواقع، أو بمصطلح سياسي: «تسييل القوة الفائضة» وتحويلها إلى عملة سياسية قابلة للتداول، والحزب يمتلك قوة كبيرة، وطيلة الثمانية عشر شهراً الماضية كان واضحاً أن الحزب يعلم ما الخطوة التالية للاعتصام في ساحة رياض الصلح أمام سراي الحكومة، وكان الهدف هو انتظار توقيت مناسب لإظهار قوة الحزب في مقابل عجز الحكومة عن تنفيذ قراراتها، وهو ما حدث في مايو الماضي، فكانت الضربة القاضية.

وقبل الحديث عن نتائج احتلال بيروت الغربية، ينبغي استحضار ما يلي:

١ - قوى الأكثرية النيابية لا تمتلك قوة عسكرية حقيقية؛ إذ تمتلك فقط بعض الأسلحة المكدسة، مع عناصر مسلحة ينطبق عليها وصف المرتزقة أكثر من وصف الأتباع والأنصار، وهم بمنزلة «هواة» عند مقارنتهم بقوات حزب الله ذات الخبرة والتدريب المكثف على يد خبراء الحرس الثوري الإيراني.

٢ - المنطلق الأيديولوجي غير متوفر لدى الأغلبية، وحتى تيار المستقبل الممثِّل للسنة يتبنى نهجاً علمانياً فجّاً جعل كثيراً من أتباعه منتفعين يبحثون عن مصالحهم الفردية، في مقابل الخلفية الأيديولوجية القوية لدى أتباع حزب الله، المرتكزة على المعتقد الشيعي.

في ساعات قليلة تمكنت عناصر حزب الله من السيطرة على بيروت الغربية والمطار والميناء، وهو ما يوحي بوجود خطة مسبقة للسيطرة وُضعت من قبل، فلم تكن التحركات عشوائية، وكان المقاتلون يعلمون أين يتحركون وكيف، وكانوا يحملون عُدّتهم الميدانية بما فيها الذخائر الاحتياطية والمياه وغيرها، كما كانت معدات نقل الأشخاص ووسائل قطع الطرقات جاهزة للتحرك في عشرات المواقع داخل المدينة بتزامن دقيق، كما كانت حدود التصرف واضحة ونمطية في مختلف المناطق: التخريب، والاعتداءات تشمل فقط مراكز تيار المستقبل وعناصره المدافعة.

يمكن ملاحظة النتائج التالية لعملية احتلال بيروت الغربية:

أولاً: ما حدث كان بمنزلة «بروفة» عملية وتدريب استباقي لعناصر الحزب من أجل السيطرة على المدن، وذلك في حال تطور الأحداث إلى مستوى حرب أهلية أو قريب منها.

ثانياً: تكشَّف عجز الأغلبية في مواجهة جيش حزب الله، وتوضحت أمام الجميع حقيقة أن الحزب هو الأقوى على الساحة اللبنانية، وأنه ليس من مصلحة قادة الأغلبية ترك الأمور تنطلق إلى الفوضى أو الحرب الأهلية، فهم غير مستعدين لها تماماً.

ثالثاً: بَعَث حزب الله رسالة واضحة للطائفة السنية، وهي: تيار المستقبل لا يستحق تمثيلكم؛ لأنه لا يستطيع حمايتكم، فهو - ببساطة - عاجز عن حماية قادته، ولذلك قصفت قوات الحزب مقر الحريري في (قريطم) قصفاً رمزياً لتأكيد الرسالة، ومن ثم يقدم الحزب الرموزَ السنية الموالية له لتكون بديلاً لتيار المستقبل، وإلا...!

رابعاً: كان واضحاً مستوى التنسيق - أو السيطرة - التي بلغها الحزب في إدارة تجمعات المعارضة الأخرى، فهو حرك أحزاباً صغيرة مثل: السوري القومي، بينما ابتعدت عناصر ميشيل عون عن المواجهات لاعتبارات طائفية، وأيضاً لتوجيه رسالة إلى الموارنة في بيروت الشرقية مفادُها أن عون وحده هو من يملك حمايتكم، ولا يزال حزب الله يراهن على الموارنة بصورة أساسية لتنفيذ مشروعه في لبنان.

• السنة كما يريدهم حزب الله.. وحرب طائفية بشعارات وطنية:

يتّبع حزب الله مع السنة في لبنان نهجاً بارعاً في التغطية على منطلقاته الطائفية، فهو يخوض حرباً طائفية مع السنة لكن مع رفع شعارات وطنية، على الرغم من محاولة كثيرين - حتى من داخل الطائفة السنية - حصرَ الصراع في النطاق السياسي، غير أن الشواهد والمعطيات ترسخ البعد الطائفي الديني، ومنها:

١ - هجوم حزب الله يتركز بالأساس على شخص السنيورة، ومعلوم أنه حاز منصبه بناءً على انتخابات نيابية أولاً، ثم بناءً على ترشيحه من قِبَل قوى الأغلبية ثانياً، فهو بذلك مرشح السنة للمنصب؛ ومطالبة الحزب باستقالته يعني أنه يريد أن يتحكم في اختيار السنة لمن يمثلهم.

٢ - في الأحداث الأخيرة كان الهجوم الشيعي بقيادة

حزب الله متركِّزاً على المناطق السنية في بيروت، في حين لم يتعرض لبيروت الشرقية، ومن ضمنها مناطق تمركز القوات اللبنانية التي يتزعمها سمير جعجع وحزب الكتائب الذي يتزعمه أمين الجميل، وكلاهما من أقطاب الأغلبية، وكانا مؤيدين لقرارات الحكومة التي أغضبت الحزب؛ فلماذا تركز الهجوم على بيروت الغربية فقط؟

٣ - التقسيم الطائفي في لبنان يُظهر ثلاثة طوائف رئيسة: السنة، الشيعة، الموارنة. وحزب الله يسيطر على الشيعة، ويعتمد بدرجة كبيرة على قدرة ميشيل عون على اجتذاب أكثرية الموارنة، فلم يتبقَّ إذن إلا السنة يمثِّلون العقبة الرئيسة في طريق الحزب للسيطرة على الدولة في لبنان.

٤ - من يتابع إعلام الحزب والإعلام الموالي لإيران عامة، يلاحظ النَّفَس الطائفي واضحاً في ثنيات الخطاب الإعلامي. وعلى سبيل المثال: هناك شخصيات متحالفة مع حزب الله، ولكنها لا تتمتع بأي ثقل سياسي داخل نظام المحاصصة، مثل: وئام وهاب، رئيس تيار التوحيد - وهو درزي موالٍ لسورية وسائر في ركاب حزب الله - ويعد بمنزلة «الشاتم الرسمي باسم حزب الله» وعادة ما تستضيفه قناة المنار عندما تريد توجيه سيل من السباب والشتائم إلى قيادات الأغلبية والدول العربية وفي مقدمتها السعودية التي يتهمها بأنها السبب فيما يحدث في لبنان، كما يصف وهابٌ أمينَ الجامعة العربية عمرو موسى بأنه «موظف صغير عند السعودية».

وفي الأحداث الأخيرة استُضيف (وهاب) عدة مرات في فضائيتي العالم والمنار، كما بثت «الجزيرة مباشر» على الهواء مباشرة بالتزامن مع المنار والعالم ما أسمته مؤتمراً صحفياً لوئام وهاب - على الرغم من كثرة المؤتمرات الصحفية في لبنان التي لا تنقلها القناة - تبيّن من خلال المتابعة أنه لقاء مع أربعة أو خمسة صحفيين في مكتبه، أغلبهم من المنار. وفي برنامج «مع الحدث» على قناة العالم (٢٠٠٨/٥/١٠م)، كان وهاب ضيفاً، وكانت هناك مداخلة للنائب عن تيار المستقبل د. مصطفى علوش الذي اتهم حزب الله بموالاته لإيران، فرد وئام وهاب بالقول: « .. مفلوش هذا مش علوش.. ليش قطش.. المقطوش علوش.. هذا العميل الصغير الذي ينفذ أوامر السعودية»، بينما يجلس مقدم البرنامج ضاحكاً.

٥ - منذ نهاية حرب تموز ٢٠٠٦م، يعتمد الحزب إستراتيجية جديدة في إقامة مقراته، ترتكز على عدم الاقتصار على الضاحية الجنوبية ملاذاً وحيداً، بل تدعم الانتشار في بيروت وبخاصة في المناطق التي تشهد اختلاطاً متكافئاً نسبياً بين السنة والشيعة، وإقامة مربعات أمنية صغيرة في تلك المناطق، ويقوم الحزب عبر وسطاء وسماسرة بشراء أراضٍ بمساحات كبيرة في العاصمة وبخاصة في مناطق المصيطبة والبسطا وزقاق البلاط وخندق الغميق، فيما قرر بناء مجمع كبير له في المصيطبة، كما يسعى الحزب لشراء أرض واسعة في منطقة الزيدانية ذات الكثافة السكانية السنية إلا أنه لم يوفّق حتى الآن. وتتركز عملية الشراء في بيروت في الدائرة الانتخابية الثانية، وهي الدائرة الوحيدة التي تضم عدداً كبيراً من الناخبين الشيعة، بحيث يسعى الحزب لإحداث تغيير ديمغرافي داخلها، بداية بشراء الأراضي، وتالياً بدفع السكان الأصليين للمنطقة لمغادرتها خوفاً من المربعات الأمنية المستحدثة، التي بدأت ملامحها الأمنية تظهر للجميع، (عكاظ ٢٠٠٨/٤/١٥م).

يصر إعلام الحزب على اتهام القيادات السنية بموالاتها الخارجية سواء لدول عربية أو للولايات المتحدة، على الرغم من أن تلك القيادات ليست على المستوى المأمول لقيادة الطائفة السنية، إلا أن إصرار الحزب على اتهامهم بالولاءات الخارجية يثير العجب مع كون الحزب نفسه بمنزلة فرع للحرس الثوري الإيراني يدار من قِبَل ضباطه على الأقل فيما يتعلق بالجوانب العسكرية والاستخباراتية، ولا تدخر قناة المنار وسعاً في تصميم إعلانات دعائية وبثها ضد القيادات السنية مع إبراز صور اللقاءات بين السنيورة والمسؤولين الأمريكيين، مثل: (كوندوليزا رايس) وزيرة الخارجية للدلالة على التبعية. وبينما لا توجد صورة يقوم فيها السنيورة - مثلاً - بتقبيل يد جورج بوش؛ فإن صورة حسن نصر الشهيرة وهو يقبل يد المرشد الإيراني علي خامنئي تعطي دلالات على عمق تبعية الحزب لإيران.

ونقدم في الجدول الآتي مقارنة بين مستويات العلاقة وطبيعتها بين تيار المستقبل والولايات المتحدة من جهة، وبين حزب الله وإيران من جهة ثانية، لبيان أي القوى اللبنانية أحق بوصف التبعية الخارجية التي ما فتئ قادة حزب الله يتهمون بها تيار المستقبل:

م	المحور	تيار المستقبل – واشنطن	حزب الله – طهران
١	التأسيس	مؤسس التيار هو رفيق الحريري، ولا علاقة واضحة لواشنطن بذلك.	تأسس الحزب على يد الحرس الثوري الإيراني، وهو ينبثق دينياً وفكرياً عن «حزب الله الأم» في إيران، والأخير كان له عدة أفرع تحمل الاسم نفسه في دول عربية.
٢	الدعم المالي	لا توجد معلومات عن تلقي التيار معونة مالية من أمريكا.	تتراوح التقديرات السنوية للدعم المالي المباشر من إيران ما بين ٣٠٠ – ٩٠٠ مليون دولار.
٣	الدعم العسكري	يقدَّم إلى الحكومة وليس التيار، كما أنه محدود ويتمثل في بعض المعدات المتناسبة مع استخدام القوات الأمنية، وتذهب مباشرة إلى الجيش أو قوات الأمن.	يقدم إلى الحزب مباشرة، ولا سلطة للحكومة أو الدولة عليه، ويشمل كافة المعدات العسكرية التي يستخدمها ويمتلكها الحزب؛ بدءاً من الصواريخ، ومروراً بالتدريب سواء في لبنان أو إيران، وانتهاء بأجهزة الرؤية الليلية.
٤	التأصيل الديني للعلاقة	لا توجد نظرية دينية سنية اسمها «ولاية الرئيس بوش» أو «ولاية البيت الأبيض» ينطلق منها تيار المستقبل في أدلجة علاقته مع أمريكا.	يتبنى الحزب رسمياً نظرية ولاية الفقيه، ويعتبر خامنئي هو قائده الأعلى رسمياً أيضاً. وحسب مفهوم تلك النظرية؛ فلا يمكن لقيادات الحزب أن تتخذ قرارات مصيرية بمعزل عن الولي الفقيه.
٥	الاستخبارات	لا توجد للتيار هيئة استخباراتية مستقلة، وهو يعتمد على التعاون والتنسيق المعلوماتي مع الأجهزة اللبنانية أو بعض أجهزة الاستخبارات العربية والأجنبية.	يمتلك الحزب بنية استخباراتية عالية المستوى، وتعد شبكة الاتصالات إحدى تحديثاتها، والأخيرة تشرف على تأسيسها الهيئة الإيرانية لإعمار الجنوب، وقد تأسس بعد الانسحاب السوري من لبنان جهاز استخباراتي مشترك يجمع عناصر سورية والحزب وإيران.

• أحجية الجيش اللبناني:

متى يكون الجيش اللبناني في أقوى حالاته؟ الجواب: عندما لا يكون هناك صراع طائفي في لبنان.

ومتى يكون الجيش اللبناني في أضعف حالاته؟ الجواب: عندما يتصاعد الصراع الطائفي داخل لبنان.

إن الجيش اللبناني عبارة عن مجتمع مصغر للتركيبة الطائفية اللبنانية، ومن ثم يحمل أمراضها ومشكلاتها. وعندما تبرز الحاجة إليه بقوة لوقف تدهور الصراع؛ فإنه في حقيقة الأمر يكون قد بلغ أضعف حالاته، ولذلك كان قائده العماد ميشيل سليمان يحذر من أن الجيش سينهار إذا استمرت الأزمة.

عبر تاريخ الجيش اللبناني لم يحدث أنه ثبت في مواجهة الحروب والنزاعات الأهلية، فدائماً ما كان يتمزق إلى مكوناته الطائفية؛ لأنه لا أحد لديه استعداد لمقاتلة أبناء طائفته ولو من أجل «لبنان».

وفي الأزمة الأخيرة بدا الجيش اللبناني وهو يفرض سيطرته، وكأنه يقوم بعملية تسليم وتسلُّم من جيش حزب الله، وليس سيطرة فعلية، فلم يتدخل الجيش لمنع تجاوزات جيش الحزب، وفي بعض الأحيان كان لبعض الضباط الموالين للمعارضة دور في إتمام عمليات السيطرة لجيش الحزب على بعض مقرات قوى ١٤ آذار.

اعتادت القوى اللبنانية أن تستخدم الجيش ورقة توت أو شماعة أو قشة... إلخ، لإخفاء حالة التشرذم القوية بالداخل، تماماً كما كانوا يفعلون في بعض الأوقات مع نبيه بري ودوره التوازني التوسطي المزعوم بين الطوائف. الآن سقطت ورقة التوت عن بري، وقريباً ستسقط عن الجيش عندما ينتهي دوره، ليبقى في النهاية جيش واحد فقط هو جيش حزب الله.

• رايات العرب ناصعة البياض:

لم تتكشف بعد نتائج جلسات الحوار بين الفرقاء اللبنانيين في الدوحة؛ (لأن المجلة مُثِّلت للطبع قبل ذلك)، غير أن السياق العربي الذي أسفر عن هذه الجلسات يعطي إيحاءً بنتائجها المتوقعة سلباً أو إيجاباً، ويمكن أن نرصد بعض الوقفات ذات الدلالة في الموقف العربي من الأحداث:

١ – استهلت قطر الأحداث بتأكيد أن ما يحدث في لبنان شأن داخلي، متوافقة بذلك مع سورية. وعندما أُعلن عن مؤتمر وزراء الخارجية العرب؛ صرح وزير الخارجية القطري أنه لا يتوقع الكثير من المؤتمر. ثم كانت المفاجأة أن المؤتمر اختار قطر لترأس اللجنة الراحلة إلى بيروت، ثم تستضيف مؤتمر الحوار في الدوحة، ليصبح الشأن اللبناني عربياً من جديد! وكانت قطر قد دخلت من قبلُ على الخط للوساطة فيما يتعلق بتمرد الحوثيين في اليمن؛ فهل أصبحت قطر مختصة بشؤون التمرد الشيعي في الدول العربية؟

٢ – الرهانات العربية داخل لبنان تسير في الاتجاه الخاطئ، فلا يصلح أن تكون التوجهات ذات منحى طائفي كليةً، ثم تصر الأطراف العربية على معالجتها في اتجاه معاكس. ولا يعني ذلك المساعدة في تسعير الصراع الطائفي،

ولكن مصالح الدول العربية ترتبط تحديداً بالطائفة السنية؛ فما الجهود المبذولة لتقوية الطائفة وجمع كلمتها؟ كانت المساعدات العربية بعد حرب ٢٠٠٦م توزع على جميع اللبنانيين، بينما كانت مساعدات إيران توزع على الشيعة وحلفائهم؛ فهل يتوقع العرب من الشيعي المتلقّي لمساعداتهم أن يتبنى مصالحهم؟ حصيلة الأمر أن الشيعة تلقوا دعماً عربياً وإيرانياً مشتركاً.

٣ - إن جلوس حزب الله للحوار في الدوحة جاء على خلفية ما يعتبره انتصاراً ساحقاً على الأغلبية والحكومة، فهو بمفهوم قادة الحزب اجتماع لتحصيل المكاسب وليس للحوار، فهو يعلم تماماً أنه ستقدم إليه تنازلات جديدة على الصعيد السياسي، ولن يبقى للأغلبية إلا التمسك بقشة وهمية، ولا سيما أن الانتخابات النيابية القادمة تحل في عام ٢٠٠٩م، وهو ما يعني أن الحكومة الحالية تلفظ أنفاسها الأخيرة.

٤ - للمرء أن يسأل: مَنِ الجهةُ القادرة على نزع سلاح حزب الله أو حتى ممارسة الضغط عليه؟

الجواب بسيط: سورية وإيران.

إذن الجلسات المنعقدة في الدوحة تجمع أطرافاً تمتلك قدرة على الضغط على جانب الأغلبية، بينما تعجز تماماً عن ممارسة أي ضغط على حزب الله وحلفائه. ولا تغني تصريحات التأييد العلنية للحوار التي يصدرها المسؤولون السوريون عن حقيقة أن الإدارة الحقيقية لهذا الحوار سوف تكون من دمشق وطهران. وكان المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله الموالي لسورية؛ قد صرح بأن (تعريب) الأزمة اللبنانية سوف يزيد وطأتها.

٥ - لن تعود حكومة السنيورة إلى ما كانت عليه قبل الأحداث؛ لأن التوازنات السياسية هكذا تسير؛ ولأن العرب يُؤْثِرون تهدئة الأوضاع وإن كان ذلك لصالح حزب الله، على إثارة صراع سوف ينتهي أيضاً بانتصار حزب الله..؛ هكذا يفكر العربُ.





يا أهل السنة في لبنان خذوا حذركم!

عبد العزيز بن ناصر الجليل

اقتضت حكمة الله البالغة أن دينه الحق لا ينتشر ولا يظهر إلا بجهد عباده المؤمنين ومدافعتهم للباطل، وبذلهم وتضحياتهم بدمائهم؛ متسلحين في ذلك بالصبر واليقين، مستعينين بالله العزيز الرحيم في صراعهم مع الباطل وأهله. ولو شاء الله لأظهر دينه من دون هذه الآلام والمعاناة والابتلاءات، ولكنها حكمة أحلم الحاكمين. قال - سبحانه -: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، فلو شاء الله - عز وجل - لمحق الكافرين والمنافقين في لمحة بصر، ولكنها حكمة الابتلاء والتمحيص ليحيا من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينه. وكما جاء في الحديث القدسي: «وإنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»(١).

وإن سنة الابتلاء والتمحيص التي اقتضتها حكمة الله - عز وجل - تعم الناس جميعاً مسلمهم وكافرهم، وهي سنة مطّردة لا تختلف ولا يحابي الله - عز وجل - فيها أحداً، ولكن عاقبتها خير وتمحيص وصلاح لأوليائه الموحدين، وشر ودمار ومحق لأعدائه من الكافرين والمنافقين. قال الله - عز وجل -: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقال - سبحانه -: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وإن ما يجري من أحداث مؤلمة في ديار المسلمين وبخاصة على أهل السنة في العراق وأفغانستان وفلسطين، وآخرها ما يجري لأهل السنة في لبنان على أيدي الرافضة؛ إنما هو للابتلاء والتمحيص، وفرز الخبيث وفضحه وظهور أمره للناس، وظهور الطيب التقي الذي يستحق أن ينصره الله عز وجل. وكم من أناس سقطوا وسيسقطون في هذه الابتلاءات! وقليل هم الذين يثبّتهم الله ويخرجون من هذه الابتلاءات طيبين ممحَّصين، وهؤلاء هم الذين ينزل عليهم نصر الله ويمكّن لهم في الأرض.

وتضامناً مع إخواننا السنَّة في لبنان وما يواجهونه من عدوان وحقد دفين، وشعوراً بواجب النصح لهم؛ أكتب هذه الوصايا والتحذيرات؛ علَّ الله - عز وجل - أن ينفعهم بها، وأن يخرجوا - بإذن الله تعالى - من محنتهم هذه ممحَّصين طيبين منصورين.

• الوصية الأولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾:

ما أحوج المسلمين بعامة، ومن تصيبه المحن منهم بخاصة؛ إلى تدبُّر هذه السنَّة الإلهية العظيمة؛ لأن في تدبرها طريقاً إلى النجاة ودفعاً للبلاء. والموفَّق من عباد الله - عز وجل - فرداً كان أو طائفة؛ هو الذي يردُّه البلاء إلى ربه - سبحانه - ويجعله يحاسب نفسه ويراجع أحواله، ويبدأ التغيير من الداخل قبل أن يُلقي سببَ المصيبة والبلاء على الأعداء؛ فلعله أُتي من داخل نفسه، وبسبب ذنوبه ومعاصيه وهو لا يشعر. قال الله - عز وجل -: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]. وقال عن أصحاب محمد ﷺ بعدما أصابهم من القرح في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ [آل عمران: ١٦٥].

---

(١) مسلم، ٢٨٦٥.

فالواجب عند حلول المحن والمصائب محاسبة النفوس وإرجاعها إلـى الله - عز وجل - وتفقُّدها من الذنوب الخاصة والعامة؛ فهذا أول أبواب النجاة من المحن، وأهم أبواب المخارج من الفتن.

والله - عز وجل - يعلّمنا فـي هـذه السُّنة أنه لا يغير مـا بقوم من المصائب ولا يرفع عنهـم البلايا حتى يغيِّروا ما بأنفسـهم، ويتخلصوا من المعاصي والذنوب التي تبعدهم عن اللـه - عز وجل - وتفتح عليهم أبواب الشـرور والمحن. وقد بين اللـه - عز وجل - في كتابه الكريم أن أعداء المسـلمين من الكفار والمنافقين لا يفتؤون يكيدون للمسـلمين، ويسعون جُهْدَهم ومكرهم في إلحاق الأذى بالمسـلمين، ولكن إذا تحلى المسـلمون بالصبر والتقوى (التي هـي فعل ما أمر الله - عز وجل - وترك ما نهى عنه)؛ فإن كيد الأعداء لا يضر المسلمين، بل يحبطه الله عز وجل. قال - سبحانه -: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فاللهَ اللهَ يا أهل السنة في لبنان! خذوا حِذْركم؛ فلا تُؤْتَوْا من قِبَل أنفسـكم، وعودوا إلى بارئكـم وتوبوا إليه، واحفظوه يحفظكم وانصروه ينصركم.

وأَخُـصُّ بذلـك الدعـاة والمصلحين؛ فهـذا يومكم في اسـتنهاض الهمم ودعوة إخوانكم من أهل السـنة إلى التوبة النصوح والرجوع إلى الله عز وجل، وتوظيف الحدث في تغيير الأحوال إلى مـا يرضي الله عز وجـل، والتضرع بين يـديه - سبحانه - في إصلاح الأحوال وكشف الكربة.

• الوصية الثانية: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾:

إن مـن رحمة الله - عز وجـل - ولُطفه أن يقدِّر أحداثاً ظاهرُهـا المكاره والآلام، ولكن فـي أعطافها الخير والرحمة لأوليائه. ومن ذلك ما يجري الآن في لبنان من أحداث وعدوان على أهل السـنة، يتولى كِبْرَه حزب الرافضة الصفوي، الذي يسـمونه زوراً وبهاتاناً: حزب الله. ولقد كشفت هذه الأحداث أموراً ستكون عاقبتها خيراً - إن شاء الله تعالى - لأهل السنة فـي لبنان وفي خارجها؛ لم تكـن لِتُعـرف لولا أن الله - عـز وجل - قدَّر هذه الأحداث. ومن هذه الأمور ما يلي:

١ - معرفة أهل السـنة واقعَهم وحقيقةَ أحوالهم، وإيقاظ النائم منهم، ومحاسـبة أنفسـهم في تقصيـرهم مـع ربهـم - سبحانه - أو مع بعضهم، وفي تفريطهم في الأخذ بأسباب المواجهة لأعدائهم المتربصين بهم. وفي هذا خير إذا أدى بهم ذلك إلى اليقظة وقوة العزيمـة، والتضـرع إلى اللـه - عز وجـل - والأخذ بأسـباب الحيطة والمواجهة مـع أعداء الله وأعداء أوليائه.

٢ - انكشـاف حقيقة الحزب الرافضي في لبنان وتعريته التامة لكل من له أدنى بصيرة وعقل من أهل السـنة في لبنان وفي خارجها؛ حيث كشَّر عن أنيابه وأهدافه المبيّتة في بسط الدين الرافضي في لبنان، والقضاء على أهل السـنة هناك، وارتباطه بالمخطط الإيراني في المنطقة. كما انكشـفت تقيَّته التي كان يكيد بها السُّذَّج من أهل السنة من أن سلاحه وقتاله إنما هو لمقاومة اليهود والمعتدين على أمن لبنان، وأنه لن يكون في صدر أي لبناني، والدم اللبناني حرام!

والآن ها هو، سـلاح المقاومة، يحصد أجساد اللبنانيين، وليس كل اللبنانيين؛ وإنما أهل السنة منهم! وفي هذه المعرفة والفضح خيرٌ لمن كان أعشـى البصر قبل ذلك؛ لأن من يعرف الرافضة وحقيقة معتقداتهـم وأصولهم لا يحتاج في البراءة منهم ومنابذتهم إلى مثل هـذه الأحداث حتى يعرفهم. وهذا ما ذكرته منذ سـنتين أيام الفتنـة بهذا الحزب الرافضي يوم كان فـي حرب مع اليهود، وذلك في المقالة التي نُشـرت في مواقع كثيرة بعنوان (احذروا فتنة حسـن نصر الله وشيعته)؛ بيَّنت فيها عقيدة القوم وأهدافهم الطائفية. ومن بقي من أهل السـنة على تعاطفه وانخداعه بهذا الحزب المشؤوم قبل هذه الأحداث؛ فأحسـب - إن كان عنده أدنى فهم لعقيدة التوحيد وأدنـى عقل وبصيرة - فإنه لن يتردد بعد عدوان هذا الحزب على أهل السـنة وتدمير مؤسساتهم في لبنان؛ في أن ينفض يده منهم، ويأخذ حذره وبراءته منهم. وفي هذا خير - إن شاء الله تعالى - لم يكن ليتحقق لولا تقدير الله لهذه الأحداث.

٣ - تعرية حـال الحكومة المهترئة فـي لبنان وإصغائها للإمـلاءات الأمريكية، وأنهـا حكومة مـن ورق، وبيـان أن الحكـومـة التـي لا تتعلق بهوية الأمة المسـلمة وعقيدتها وشـريعتها؛ فإنها مخذولة خائنة تحركها المصالح والكراسي. ومثل هذه الحكومات الجوفاء سـرعان ما تتهاوى وتذل عند أدنى هزة تهدد دنياها ومصالحها الشـخصية، ولا يشفع لها

ما تبذله من عمران للبلاد وتحسين للمعيشة. كما بيّنت هذه الأحداث عداوة جيش الحكومة وأكثر أركانها لأهل السنة الصادقين؛ ذلك أن المراقب للاعتداءات التي تمت على مؤسسات الحكومة وتيار المستقبل وتدمير مراكزه الإعلامية والسياسية؛ لتصيبه الدهشة وهو يرى ذلك الحياد أو الاستسلام من جيش الحكومة أمام هذه الاعتداءات؛ حيث لم يحرك ساكناً! ويطرح سؤالاً كبيراً يفرض نفسه؛ ألا وهو: أين تلك العنتريات والشجاعة والحراك السريع الذي بذله الجيش على أفراد فتح الإسلام مع عوائلهم في مخيم نهر البارد؟ حيث أبادوا الأخضر واليابس، وطال الدمار كل أهل السنة في المخيم ممن هم من فتح الإسلام وغيرهم.. أهكذا الشجاعة والحميّة من أهل السنة على بعضهم؟ أم أنه كما قال القائل: أسد عليّ وفي الحروب نعامةٌ؟

ومن يدري..؟ فلعل ما يصيب الحكومة الآن ومؤسساتها والموالين لها هو عقوبة من الله - عز وجل - على ما فعلوه بأهل السنة في مخيم نهر البارد.. والله سريع العقاب!

• الوصية الثالثة: (خذوا حذركم):

لقد حذر الله - عز وجل - عباده المؤمنين في القرآن من كيد الكافرين والمنافقين، وجاء في أكثر من آية الأمرُ بأخذ الحذر من الأعداء؛ فقال - سبحانه - عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

وامتثالاً لأمر الله - عز وجل - فإن على أهل السنة في لبنان وغيرها أن يحذروا من مشروعات أعدائهم التالية:

١ - خذوا حذركم من المشروع الرافضي الصفوي:

لم يعد خافياً ما تخطط له دولة التشيع والرفض (إيران) من بسط نفوذها ونشر معتقداتها في المنطقة، إما بشكل مباشر، أو عن طريق عملائها وأوليائها في بلدان أهل السنة؛ كما هو الحاصل في حكومة العراق الرافضية الأمريكية، أو في لبنان عن طريق الابن البار لدولة الرفض حسن نصر الله وحزبه المغبون. والمراقب لما تقوم به إيران في المنطقة وأحزابها المنتشرة يشاهد ذلك مصحوباً بالسرعة والجرأة، ولا أدل على ذلك مما يحصل الآن من الرافضة في العراق ضد أهل السنة، وفي شمال اليمن على أيدي الحوثيين الموالين لها، أو ما يدور في لبنان على أيدي حزب الرفض هناك.

والواجب على أهل السنة في كل مكان، وبخاصة من يواجهون مثل هذه التحركات، الحذرَ الشديد والمواجهة الصريحة لهذه المخططات، وفضحها للسذج من المسلمين السنة ليأخذوا حذرهم ولا تنطلي عليهم تَقِيَّة الرافضة وخداعهم. وإن من السذاجة النظرَ إلى أحداث لبنان الأخيرة على أنها مؤقتة، وأن الرافضة سينسحبون من بيروت ويكفوا عدوانهم إذا استجابت الحكومة لمطالبهم التي يدلّسون على الناس أنها سبب هذه الأحداث. وها هي الحكومة قد انصاعت لمطالبهم وأرجعت مدير المطار الرافضي إلى منصبه؛ فهل يا ترى سيكفُّ حزب الرفض عن مشروعه التوسعي والتضييق على أهل السنة؟

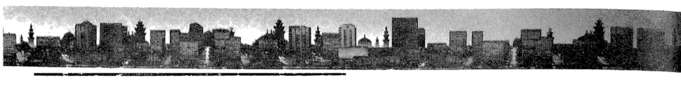
الجواب: لا، حتى لو انسحب وكَمَنَ وقتاً من الزمن وهدأ فيه؛ فإنه يخطط لهجمة أوسع وأشنع على أهل السنة عندما يرى الوقت مناسباً، وعندما يرى أن سياسة الخداع والتقية قد فشلت في تحقيق أهدافه.

فيا أهل السنة حذوا حذركم! فإن المعركة مع المشروع الإيرانيِ لم تنتهِ، بل إنها الآن تبدأ.

٢ - خذوا حذركم من المشروع الأمريكي اليهودي:

إن أخذ الحذر من المشروع الإيراني لا يعني الاستنامة والغفلة عن المشروع الأمريكي في المنطقة، ولا يعني الانحياز إلى تيار المستقبل وحكومة السنيورة ذات التوجه العلماني الأمريكي، ولو كانوا محسوبين على أهل السنة، بل يجب الحذر من المشروع الأمريكي الذي يحاول فرض نفسه في المنطقة، ولولا فضل الله - عز وجل - برفع راية الجهاد في العراق لتم له ما أراد في كل دول المنطقة، ولكن الله - عز وجل - أفشل مشروعه على أيدي المجاهدين الأبطال، جزاهم الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

وإنّ فشلَه في العراق لا يعني فشله في مناطق أخرى؛ فقد ينجح في بعض الأماكن إن لم يكن أهلها من المسلمين على حذر ويقظة ومواجهة له. ولقائل يقول: إن أمريكا لم تتدخل في لبنان بشكل مباشر كما هو الحال في العراق! وهذا صحيح، لكن عملاءها ينوبون عنها، وهذا متمثل في الحكومة والتيارات العلمانية؛ فالحذرَ الحذرَ من أمريكا وعملائها.





وقد يقول قائل آخر: إن الحكومة أهون علينا من الروافض! وهــذا أيضاً صحيح عند المقارنة، ولكنهم كلهم أعداء للسـنَّة الصادقـين، ثم إنه لا يبعد أن يكون هناك تنسـيق وصفقات خفية بـين أصحاب المشـروع الإيراني والمشـروع الأمريكي اليهودي يقدِّم فيه كل طرف تنازلات للطرف الآخر، والضحية في ذلك هم أهل السـنة. فالحذرَ الحذرَ من هذه التواطؤات الخطيرة! ولا يغرنا ذلك العداء المعلن بين المشروعين، بينما هما متفاهمان في الباطن على تقاسـم الكعكة. والمحرك لأمريكا هو مصالحها وليس لها صديق ثابت؛ وإلا فكيف نفسـر ذلك الموقف الأمريكي اليهودي الهـادئ إزاء أحداث لبنان وتركهم لعدوهم المزعوم يصـول ويجول؟ ولا يبعد أن أمريكا بموقفها الهادئ إزاء أحداث لبنان أنه لا يسوؤها ما حدث، ولربما كانت هناك صفقة مقايضة بين المشروع الإيراني والمشروع الأمريكي تغض فيــه أمريكا الطرف عن أحداث لبنـان مقابل تنازلات تقدمها إيران في مشروعها التوسعي في المنطقة.

وما سوى المشروع الرافضي الصفوي والمشروع الأمريكي اليهـودي في لبنان؛ إنما هي أحـزاب: بعضها يدور في فلك المشروع الرافضي؛ كالأحزاب الموالية لسورية وبعض الأحزاب الباطنية كالدروز، وبعضها يدور في المشروع الأمريكي الغربي؛ كالأحـزاب النصرانيـة المارونية وغيرها، وكلهـم حرْبٌ على الإسلام والمسلمين، والكفرُ ملة واحدة.

• الوصية الرابعة: أجمعوا أمركم وائتوا صفاً:

يا أهل السنة في لبنان وغيرها من بلدان المسلمين! كفى بنا نومـاً وغفلة عمَّا يراد بنا! ولْنعتبر ولنتعظ بما يجري لإخواننا السُّـنة في العراق على أيدي الشـيعة الرافضة، ولْنعتبر بما جرى لأهل السنة على أيدي النُّصيرين الباطنيين في سورية.

مــاذا ننتظر..؟ أننتظر حتى يجرّونا كالخراف للذبح؟! يا أهل السنة في لبنان! إن لم تجمعوا أمرّكم الآن، وتوحدوا صفوفكم، وتعدوا ما اسـتطعتم من قوة للدفاع عن دينكم وأعراضكم..! فمتى تجتمعون؟ ومتى تستعدون؟

إنــه لا مُنقذ لكـم بعد الله - عز وجـل - إلا اجتماعكم وتناسـي خلافاتكـم، وأن تجمعوا أمركم علـى منازلة العدو الصائل والدفاع عن السنة وأهلها. ووالله لا تنفعكم هيئة الأمم والشرعية الدولية بشـيء؛ فهي من ألدِّ أعدائكم الكفرة، ولن تنفعكم جامعة الدول العربية بشـيء؛ لأن الشوك لا يُجنى منه العنب، كيف وأكثرهم ذنب للغرب أو الشرق؟!

إنه لن ينفعكم إلا الله - عز وجل - والاسـتعانة به وحده، ثم الأخذ بالأسباب التي أمر بها - سبحانه - في مدافعة العدو الكافر عن الدين والنفس والعرض. وإنه قد آن الأوان لتعرفوا قدر المجاهدين السـنَّة في بلادكم؛ فهم الملجأ بعد الله - عز وجل - لكم، وهم الذين سـيرفعون رؤوسكم وسيُذِلون عدوكم بإذنه - سـبحانه - كما كان ذلك منهم فـي بلاد الرافدين؛ حيث كانوا صخرة وسداً منيعاً أمام هجمات أهل الرفض على مدن أهل السـنة. ولولا الله - عز وجل - ثم هؤلاء المجاهدون الأبطال؛ لكان أهل السنة في العراق في عالم النسيان، ولقيل: إنه كان في يوم من الأيام سُنّة في بغداد. فاعرفوا للمجاهدين عندكم حقهم، والتفوا حولهم وسـاندوهم تفلحوا وتعزوا، إن شاء الله تعالى.

إذن فـلا خيار لكـم - يا أهل السـنة - وأنتم تنأون عن المشـروع الإيرانـي والمشـروع الأمريكـي إلا أن يكون لكم مشـروعكم الجهادي المتماسك أسوةً بالمشروع الجهادي الذي قام به إخوانكم السُّـنة في العراق وفصائله الجهادية، الذين أحبط الله بهم مشروعات الأعداء وأفشلها ولله الحمد.

والحذرَ الحذرَ من أن يجرَّكم أحد المشـروعَين الكافرَين إلى صفِّه لمقاتلة المشروع الآخر! فإنما هي رايات عِمِّية وفتنة جاهلية؛ فاحذروها، واسـتقلوا برايتكم النظيفة التي تجاهد في سبيل الله - عز وجل - ونصر الله وتأييده.

أسأل الله - عز وجل - أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يجنبنا شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.



الوثنية السياسية..

خبرة العَلْمانية التركية

د. كمال حبيب(*)

في تركيا الجديدة استطاع حزب (العدالة والتنمية) أن ينتزع نصراً كبيراً على العَلْمانية المستبدَّة بإقرار البرلمان التركي تعديلَ الدستور بما يعطي للطالبات المحجبات الحق في الدخول إلى الجامعات بالحجاب، وجاء هذا النصر بعد القراءة الأولى للتعديل الدستوري الذي وافقت عليه الأغلبية بـ ٤٠١ صوت مقابل ١١٠ أصوات لم توافق عليه، وفي القراءة الثانية تحققت الأغلبية بـ ٤٠٣ أصوات مقابل ١٠٧ أصوات، وهو ما يعني أن التعديل تمت الموافقة عليه بشكل نهائي. وكان حزب (العدالة والتنمية) عمل على إدخال تعديلات في الدستور التركي أهمها على الإطلاق: حق الفتيات المحجبات في الالتحاق بالجامعة.

والمعلوم أن الجامعات في تركيا أحد أهم معاقل العَلْمانية التركية؛ فهناك مؤسسات في النظام التركي هي عنوان العَلْمانية مثل: الجيش والجامعات والإدارات البيروقراطية المدنية، والمحكمة الدستورية العليا. وفي شهر ديسمبر الماضي جرى تعيين (يوسف ضيا أوزكان) رئيساً لما يطلق عليه (YAK) بالتركية أي: (مجلس الجامعات التركية)، وأن الذي يعيِّن رئيس مجلس الجامعات التركية هو (رئيس الجمهورية).

ويشجع الرئيس الجديد للجامعة حرية التعبير في الجامعة بما في ذلك حق الطالبات المتدينات اللواتي يرتدين الحجاب في دخول الجامعة؛ لأن حرمانهن لأسباب متصلة بسلوكهن الديني هو نوع من التمييز الذي يجب أن تترفع عنه الجامعات التركية التي يجب أن تكون ساحة لإعلان الأفكار وتداولها بما في ذلك حق الباحثين والأساتذة في التعبير.

ومن خلال متابعتنا للصحف التركية فإن هناك عدداً من عمداء الكليات العَلْمانيين انتفضوا ضد التعديل الدستوري الجديد الذي يدعمه حزب (العدالة والتنمية) والحركة القومية التركية، وهو ما يضمن لهما ثلثي المقاعد التي تتيح لهما تعديل الدستور. وعلى الجانب الآخر من الصورة فإن أكثر من ٣٠٠ من أساتذة الجامعة وعمدائها أصدروا بياناً أعلنوا فيه إدانتهم لمنع الفتيات المحجبات من الدخول إلى الجامعات، أي: أن غالبية أساتذة الجامعات التركية هم مع حق المحجبات في إكمال تعليمهن.

ولكي نتخيَّل معاً (وحشية الدولة التركية) التي أسَّسها (أتاتورك)؛ فإن رئيس الأركان التركي دخل بنفسه على الخط وأعلن أنه ضد التعديلات الدستورية التي تمنح بنات

(*) متخصص في شؤون تركيا.

تركيا المحجبات الحق في استمرار تعليمهن في الجامعة. ومن المعلوم أن حكماً للمحكمة الدستورية العليا - وهي إحدى قلاع العَلْمانية التركية - هي التي أصدرت حكماً بمنع الفتيات المحجبات من دخول الجامعة، كان ذلك في الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي، ومنذ ذلك الوقت والحجاب هو إحدى المعضلات الكبرى في تركيا حيث ترفض الطالبات الجامعيات أن يخلعن الحجاب من أجل دخول الجامعة، واضطر معظمهن إلى عدم إكمال التعليم الجامعي تمسكاً بالحجاب أو إلى الذهاب إلى بلدان مجاورة لتركيا للتعلُّم فيها مثل: سورية ومصر، أو إلى بلدان بعيدة عنها مثل: ماليزيا وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

ثم أعلن العَلْمانيون عن مظاهرات في ١٧ مدينة تركية ضد مشروع التعديلات الدستورية بدعوى أن فتح الباب لدخول المحجبات الجامعة سوف يؤدي إلى المزيد من المطالب الأخرى التي تقود في النهاية إلى تغيير الطابع العَلْماني للدولة التي أسسها (أتاتورك).

بالطبع يمكن للمؤيدين للحجاب وهم بالملايين - فثلثا نساء تركيا مع حق الفتيات الجامعيات في ارتداء الحجاب، وما يقرب من نصف نساء تركيا محجبات - أن يخرجوا في مظاهرات مضادة تأييداً للحجاب، وهو ما يعني جرَّ البلاد إلى نوع من الاستقطاب السياسي الذي يهدد وحدة المجتمع التركي وأمنه، ومن ثم فالمشهد الذي نراه هو نوع فقط من إثبات الوجود العَلْماني وليس تعبيراً عن عافية حقيقية، إنها مرارة الروح العَلْمانية التي تشعر أن الرياح والعصر والزمان ليس في صالحها، وأن زمان تركيا استدار كهيئته يوم أن كانت مسلمة في ظل الخلافة العثمانية.

العَلْمانية والوثنية السياسية:

العَلْمانية التركية كما أرسى تقاليدها (أتاتورك) هي عَلْمانية فاشية ضد الإنسان والتاريخ والثقافة والحضارة والطبيعة ذاتها، وهذه العَلْمانية تهاوت تحت مطارق التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها البلاد والتي قادت في النهاية إلى هزيمتها أمام (الحزب الديموقراطي) الذي قاده (عدنان مندريس) بعد إعلان التعددية الحزبية في تركيا عام ١٩٤٦م، ثم جاء (تورجوت أوزال) في الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي ليعلن أن الجمهورية الأولى التي بناها (أتاتورك) قد جاوزها الزمن، وكان هو أول رئيس وزراء ثم رئيس جمهورية يجهر بأداء الصلاة ثم يذهب إلى بيت الله الحرام ليحج، وهو من فتح الباب واسعاً أمام طبقة رجال الأعمال المسلمين في تركيا ليكونوا جزءاً من المجتمع وليزاحموا؛ لتأكيد الوجود الاقتصادي الإسلامي في تركيا. لقد تجرأ (أوزال) على نقد (أتاتورك)، وهو أول من تجرأ على (إقالة رئيس للأركان)، وكان يعدّ نفسه المؤسس الحقيقي لما أطلق عليه (الجمهورية الثانية).

وحين ضاقت السبل بالعَلْمانيين في أزمة الحجاب



اتجهوا فوراً إلى ضريح (أتاتورك) في أنقرة وهم يشكون له ما يحدث؛ هكذا تحدثت بعض التقارير. ومن هنا فالوثنية والشرك ليسا فقط في دعاء الأولياء والصالحين كما يفعل العوام، وإنما هما أيضاً في الاعتقاد السياسي أن (أتاتورك) هو الملاذ والغوث حين المدلهمات، والذهاب إلى قبره لطلب العون السياسي والاجتماعي منه.

فالعَلْمانية هي أيديولوجية تُفقِد الإنسان قدرته على التفكير الصحيح؛ لأنها تفرض عليه أيديولوجية تتوحش لتصبح ديناً يطلقون عليه في العلوم الاجتماعية (الدين

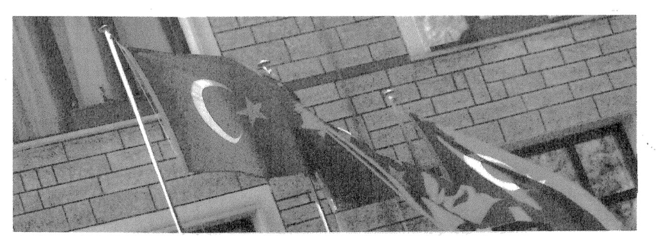
السياسي)، وهذا الدين السياسي يحاول أن يحتل مكان الدين الإلهي فيفشل، ومن هنا نلحظ محنة العَلْمانية التي هي بالضرورة أيديولوجية شمولية فاشية يجري فرضها استناداً للسلطة والقوة كما حدث مع النازية والشيوعية، ولدينا أيضاً مصطلح (الفرعونية السياسية) حيث الفرعون يعتقد أنه يتحول من الصفة الإنسانية البشرية إلى صفة جديدة يتلاقى فيها الناسوت واللاهوت، وهذا معنى يمكن أن نطلق عليه (الحلول السياسي) حيث يتجاوز الفرعون المستبد قدره ويزعم أنه إله كما في قوله - تعالى -: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وفي قوله - تعالى - أيضاً: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ومن هنا فالعَلْمانية ذات طبيعة حلولية تنعدم فيها الحدود والمسافات والصفات والحدود، ومن هنا فهي تقود بالضرورة إلى نظام يختزل الإنسان وحريته في التفكير والاختيار، وتنتج في التحليل الأخير نظاماً يفرض سطوته وجبروته واستبداده على الإنسان حتى لو اتخذ طابعاً تعددياً ديموقراطياً، فالعَلْمانية لا تقود فقط إلى الوثنية السياسية وإنما أيضاً إلى التألُّه السياسي.

أما التوحيد حيث توجد الحدود وتعرف الصفات والمسافات وتحدد؛ فإن الألوهية تكون لله، والإنسان هو عبد لله، والكون والطبيعة هما مجال الفعل الإنساني، وهناك دائماً (الوحي) - القرآن والسنة الصحيحة - الذي يحدد للإنسان مصادر الإيمان، ومن ثم لا يمكن أن تتلاشى المسافات بين الله والإنسان ولا يمكن في الحالة التوحيدية أن يخرج إنسان ليقول: (أنا الله، أو: ما في الجبة إلا الله) كما يقول الحلوليون من الصوفية؛ بمعنى: أن المسافات والحدود بين الله والإنسان انهارت لديهم، ونظروا إلى أنفسهم بمنظار استكبار وغرور، حتى لو كان ذلك في صيغة وَجْدٍ وذوبان وعرفان صوفي كما يزعمون. كما لا يمكن أن يظهر في النسق الإسلامي ديكتاتورٌ فرعون يقول: (أنا ربكم الأعلى). أو يقول: (ما علمت لكم من إلهٍ غيري)، فهو هنا بالضرورة عَلْماني أيضاً بمعنى انهيار الحدود والمسافات وسقوط ثنائية الله - الإنسان، وثنائية الإنسان - الطبيعة.

الوثنية السياسية هي تضخيم مكانة إنسان ميت في إدراك إنسان حي تجعله يعتقد أن بإمكانه أن يضرَّ وينفع، وأنه يُلْجأ إليه في وقت الأزمات والمشكلات. وهكذا تلجأ الأيديولوجيات السياسية والشمولية لتجعل من هذا الميت الذي لا يضر ولا ينفع وثناً.

لقد كان مشهد العَلْمانيين في تركيا وهم يلجؤون إلى قبر (أتاتورك) تعبيراً عن العودة إلى حالة البدائية الوثنية وما قبل الحضارة التي يفتقد الإنسان فيها إلى الرشد ويتحرر من نزعات الغواية والضعف أمام الشيطان والأيديولجيات والصيغ الوثنية التي تجعل من الإنسان عبداً لغير الله.

والإسلام هو الحضارة، فهو الذي أعطى للإنسان حريته وكرامته، والتوحيد هو تحرير الإنسان من العبودية إلا لربِّه عبر المسؤولية والفاعلية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].



مستقبل العَلْمانية التركية:

العَلْمانيـــة التركية إلى زوال ومســـتقبلها إلى أفول بإذن الله؛ ذلك لأنهـــا - كالعَلْمانية الغربية - لا مســـتقبل لها. لقد كان التصور الغربي يقول: إن المزيد من العلمنة ســـوف يؤدي إلى المزيد من التحديث والتقـــدُّم والديموقراطية والإنســـانية والعقلانية، كما أنه ســـيؤدي إلى تراجع الدين، ولكن المزيد من العلمنـــة لم يؤدِّ إلى ذلك، فالعَلْمانية هي التي قادت إلى الحـــروب التي راح ضحيتها الملايين مثـــل: (الحرب العالمية الأولى والثانيـــة) وحروب (بوش) الأخيرة وإن اتخذت غطاءً دينياً لكنها في روحها ذات طابع عَلْماني حيث إنه يقول: إنه يريد أن يصبغ العالم كله بصبغة أمريكية وغربية. والعقلانية هي التي قادت إلى الاســـتعمار وما قيـــل وقتها عن (عبء الرجل الأبيض)، وهي التي قادت إلى احتلال العراق والحرب الدائـــرة هناك، وهـــي التي قادت إلى احتلال أفغانســـتان والحرب الدائرة هناك، فهي ترى الإنســـان مادة استعمالية يمكن توظيفها فقط من أجـــل المقاصد العَلْمانية والتي هي في الحقيقة مصالح للأقوياء في مواجهة المستضعَفين وَفْق المنطق الدارويني الغربي.

ودعنا نسمع شـــهادة لأحد أبرز علماء الاجتماع الديني في الغرب وهو (رودني ستارك) حيث يقول: (لا بد من إعلان نهاية إيمان علـــم الاجتماع بنظرية العلمنة والإقرار بأنها لم تكن سوى محصلة لأفكار وتوجهات محبَّبة؛ فبعد ثلاثة قرون مـــن إخفاق نبوءاته حريٌّ بمبـــدأ العلمنة أن يُلقَى في مقبرة النظريات الفاشلة).

تصوَّر كثيرون في العالم الإسلامي أن التحديث يشترط استبعاد الدين والتمسك بالعلمنة، بينما أثبتت التطورات خطأ هذه الرؤية؛ فمن الممكن أن يكون الإنسان والنظم السياسية حديثة وفي الوقت نفســـه تستند إلى أسس أخلاقية ودينية، والآن وبعد ما يزيد عن ثمانين عاماً من العَلْمانية في تركيا؛ فإن نهضة البلاد والتحولات التي تعيشها يقع في القلب منها الإســـلاميون وهم ينتقلون من الهامـــش إلى القلب ويمثلون قاعدة تتســـع كل يوم حتى أصبحت تعبِّر عن التيار الرئيسي



"العَلْمانية هي التي قادت إلى الحروب التي راح ضحيتها الملايين"

في المجتمـــع التركي، ومن ثم فإن عجلة التاريخ تدور باتجاه استعادة الإسلاميين للفضاء الذي سلبته منهم بالقوة وغشم السلطة (الدولة الأتاتوركية).

وهـــذه هي المعركة الدائرة اليـــوم بين قوى تتراجع وهي القوى العَلْمانية وقوى تصعد في هدوء وهي القوى الإسلامية، والحجاب هو أحد عناوين المعركة التي نشهد بداياتها.

يشعر العَلْمانيون بالخوف والعصبية لأن العَلْمانية ليست مجرد أيديولوجية ولكنها تعبير عن مصالح وامتيازات، ومن ثَـــم فالذين يخرجون إلى المظاهرات اليوم يخرجون من أجل مصالحهم وامتيازاتهم التي منحتهم العَلْمانية إياها.

ولم تنجح مظاهرات العَلْمانيين ولا تهديدات العسكر في التأثير على البرلمان التركـــي الذي أقرَّ للطالبات المحجبات الحق في دخول الجامعة بإضافة تعديلين إلى الدستور؛ ينص الأول على: معاملة مؤسسات الدولة للمواطنين الأتراك على قدم المساواة، وينص الثاني على: المساواة في الحصول على حق التعليـــم وهو ما يعني من الناحيـــة العملية إلغاء حظر الحجاب في الجامعات التركيـــة، والحق في الحصول على التعليم الجامعي.

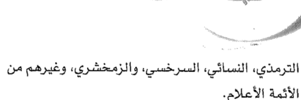
إن المشـــهد التركي العام ينبئ عـــن أن العَلْمانية تتراجع وينكشـــف الوجه الاســـتبدادي لدعاتها، بينما يتسع القبول العام للتوجه الإســـلامي الذي يتقدم وينتقل من الهامش إلى الصدارة. ومســـألة الحجاب في الواقع هي واحدة فقط من مظاهر التحول الاجتماعي والسياسي في تركيا والذي يؤكد أن مصيـــر العَلْمانية إلى زوال بينما مســـتقبل تركيا هو في العودة إلى دينها وتراثها وحضارتها وثقافتها وتاريخها، إنها العودة إلى الإسلام؛ لكي تعود الحقوق إلى أصحابها ويسترد المسلمون الأرض التي اغتصبها منهم العَلْمانيون.



مسلمو روسيا

بين التغلغل الشيعي والغــــياب السني

محمد عادل(*)
abo_abdo209@hotmail.com



الإسلام والمسلمون في روسيا:

للإســـلام في روسيا تاريخ طويل يعود لأكثر من ١٤٠٠ سنة، فقد اعتُنِق الدين الإسلامي في منطقة حوض الفولغا رســمياً قبل قرن من إعلان الأرثوذكســية ديناً لروسيا. والإسلام الآن هو الثاني في البلاد من ناحية عدد معتنقيه بعد الدين النصراني الأرثوذكسي.

وقد وصل الإســلام بــلاد ما وراء القوقاز الشــرقي «أذربيجان» وآسيا الوســطى في فترة مبكرة؛ إذ إن الفتح الإســلامي شــمل أذربيجان عام ١٨ هـ (٦٣٩م)، وتوغل المســلمون في داغســتان في عامي ٢٢ و ٢٣ هـ (٦٤٢، ٦٤٣م). وتمثّــل المرحلة ما بــين (٨٧ -٩٠ هـ) واحدة من أهم مراحل الفتوحات التي استطاع الإسلام أن يثبّت فيها أقدامه في تلك المنطقـــة، وكانت اليد الطولى فيها للقائد العظيم (قتيبة ابن مسلم الباهلي).

وتأثر مســلمو روســيا بالنهضة العلمية التي نشــأت وازدهرت في منطقة تركســتان المجــاورة، والتي أخرجت العديد من عظماء العالم الإسلامي، أمثال: الإمام البخاري، الترمذي، النسائي، السرخسي، والزمخشري، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

ولعب التصوف لاحقاً دوراً كبيراً في انتشـــار الإسلام، وذلــك بســبب انفتاحه وتســامحه مع عادات الشــعوب والأمم.

ويمثل المســلمون في روسيا قوة ســكانية متصاعدة، حوالــي ٢٠ مليون نســمة، أي ما يمثّــل حوالي ١٥٪ من إجمالي سكان الاتحاد الروســي (تختلف تقديرات نسبة عدد مســلمي روســيا، حيث تصل بعضها إلى ٢٥ مليون نســمة)، ويتركز وجودهم في منطقتين مهمتين بالنســبة لروسيا، وهما: منطقة القوقاز الشمالي الحدودية، ومنطقة الفولغا والأورال في قلب روسيا، ويوجد مسلمون بالإضافة إلى ذلك في موسكو وبطرسبورغ وسيبيريا.

والمســلمون في روســيا أغلبيتهم من أهل السنة من أتباع المذهبين الحنفي والشــافعي، ويشــكل أتباع المذهب الحنفي الأغلبية في منطقة حوض الفولغا وأعماق روسيا وســيبيريا، بينما يســود المذهب الشــافعي في القوقاز (باســتثناء أذربيجان). ويعتنق المذهب الشيعي الجعفري بصورة أساسية الأذربيجانيون (حوالي مليوني شخص).

(*) صحفي وباحث له اهتمام خاص بشؤون روسيا وآسيا الوسطى.



وتعرّض المسلمون في تلك المنطقة منذ القرن السادس عشر وإلى الآن لعمليات احتلال واضطهاد مستمرة استهدفت هويتهم ودينهم، حتى أصبح الإسلام في نظر غالبية مسلمي روسيا مجموعة محدودة من العادات التي يداخلها الكثير من الانحرافات.

وشكّلت الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في روسيا - لموقعها الاستراتيجي وثرواتها المتنوعة - أهمية كبرى للاتحاد السوفييتي قبل انهياره، سواء ما كان منها داخل منطقة الفولغا والأورال، أو ما كان منها في منطقة القوقاز[1].

• الحالة الإسلامية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي:

على الرغم مما عاناه المسلمون في تلك المنطقة منذ القرن السادس عشر - خلال الحقبة القيصرية والشيوعية - من عمليات اضطهاد وإبادة مستمرة استهدفت هويتهم، حتى ضعف أثر الإسلام في نفوس مسلمي روسيا؛ غير أن روسيا شهدت في العقدين الأخيرين ملامح أولية لنهضة إسلامية نشطة؛ حيث جرى تشييد العديد من المساجد، كما يتزايد عدد المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج كل عام، ويجري إنشاء محلات تجارية ومطاعم وعيادات استشارية نسائية وأداء طريقة الدفن حسب الشريعة الإسلامية في بعض المناطق الروسية.

كما بدأ النشاط الإسلامي السياسي من خلال حركات إسلامية مع ظهور حزب النهضة الإسلامية (يونيو ١٩٩١م)، والذي تشكّل في مؤتمر للإسلاميين في أستراخان في جنوب روسيا، وقد جعل مهمته الأساسية إرجاع المسلمين إلى حضن الإسلام.

ويظهر الحس الديني بوضوح وتبرز ملامح الصعود الإسلامي لدى مسلمي شمال القوقاز المسلمة، خاصة في الشيشان وداغستان وأنغوشيا التي تقع على أطراف روسيا بالقرب من آسيا الوسطى التي تموج بحركات إسلامية صاعدة - والقريبة من أفغانستان - والتي تعمل على إعادة الهوية الإسلامية لشعوب تلك المنطقة، بخلاف منطقة الفولغا والأورال التي يضعف في غالبية جمهورياتها الإسلامية الملامح الدينية، وترتبط في غالبها بالنشاط الرسمي للدولة لوقوعها في القلب الروسي بعيداً عن التأثير الإسلامي المجاور.

ويوجد في روسيا ما يقارب ٤٠ إدارة دينية للمسلمين، وأكثرها نفوذاً الإدارة الدينية لمسلمي الشطر الأوروبي من روسيا.

وتتبع هذه الإدارات في مجملها الخط الرسمي الروسي في توجهاته، وتقوم الدولة بالإشراف عليها ومتابعة أنشطتها ورسم توجهاتها أمنياً.

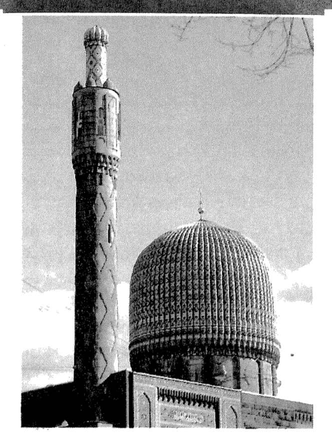
وعلى الرغم من أن كثيراً من تلك الشواهد - على الصعود الديني لمسلمي روسيا والعودة للهوية الإسلامية - تمثّل في غالبها توجهات رسمية تختلط فيها السياسة بالدين وبالمصالح القومية، كما أن بعضها يبدو سطحياً وضعيفاً مقارنة بحجم التحديات التي يواجهها مسلمو روسيا؛ غير أنها تمثل البداية للعودة الحقيقية للهوية الإسلامية المفقودة التي شوهتها عقود القهر القيصرية والشيوعية.

• التغلغل الشيعي في المنطقة:

منذ قيام الدولة الصفوية (٩٠٦ هـ - ١٥٠٠م) لم تتوقف محاولات نشر المذهب الشيعي في شرق الأناضول وجنوب القوقاز غرباً، وفي خراسان وممالك ما وراء النهر شرقاً، وهو الأمر الذي جعل الدولة الصفوية تخوض حروباً متصلة في الشرق مع خانات آسيا الوسطى، وفي الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين.

ومنذ أن ضم الشاه إسماعيل الصفوي العراق ١٥٠٨م إلى حكمه وتلامست حدود الدولتين: الصفوية والعثمانية؛ بدا الصراع بين الطرفين، وكانت أراضي العراق ميداناً لهذا الصراع الذي استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، والذي حاول أثناءها شاهات فارس الاستعانة بملوك الفرنجة ضد العثمانيين.

(١) مسلمو روسيا ومشاريع الاستقلال، دراسة للكاتب منشورة في المركز العربي للدراسات الإنسانية بالقاهرة.



واستمرت معارك الشاه إسماعيل الصفوي في مناطق مـا وراء النهر، ودخل في حرب ضد الدولة العثمانية عام ١٥١٤م في عهد السلطان العثماني سليم الأول.

وفـي هذا الإطار، استمر التحالف بـين العثمانيين والأوزبك السُّـنة في مواجهة الخطر الفارسـي الشيعي المتحالف مع الروس، حيث رأينا خلال القرن السابع عشر الميلادي علاقات وطيدة ومشاركة سياسية وعسكرية واسعة بين الدولة العثمانية وممالك وسـط آسيا الإسلامية؛ كان لها أعظم الأثر في إلحاق ضربات متتالية أضعفت الحكم الشيعي في فارس وإن كان هذا الضعف لصالح الروس.

وتبـرز علاقات إيران بالاتحاد السـوفييتي منذ عهد روسـيا القيصرية عندما بدأ الغزو الروسي لمنطقة وسط آسـيا الإسـلامية ولامسـت الحدود الروسـية الحدود الإيرانية، وكان العدو المشـترك للطرفين الدولة العثمانية، ومـن ثَم تبادل الجانبان السـفارات التي كانت تحمل روح المودة بين الطرفين والرغبة في التعاون المشـترك وحسن الجـوار، وكان القياصـرة يحبذون اسـتمرار الخصومة العثمانية الإيرانية.

وعندمـا نجحت الثورة البلشـفية في روسـيا وعمل الاتحاد السـوفييتي على إحكام قبضته على وسط آسيا؛ بدأت العلاقات بين الطرفين تسـير نحو التأزم؛ بسـبب أطماع الاتحاد السوفييتي في الوصول بنفوذه إلى منطقة الخليج العربي عبر إيران[1].

وبعد سـقوط الاتحاد السوفييتي شهدت الجمهوريات الإسلامية في روسيا الاتحادية حالة من الشد والجذب بين جهات مختلفة تتنافس لاسـتقطاب المسلمين إليها، ما بين الإدارات الدينية الرسـمية لمسلمي روسيا التابعة لإشراف وسـيطرة الحكومة الروسية، وبعض الطرق الصوفية التي كانت تنشط وسط مسلمي الاتحاد السوفييتي قبل انهياره محاولةً الحفاظ على بعض من بقايا شـعائر الإسلام في العصر السوفييتي البائد، وبين بعض الجماعات التي بدأت تنشـط في أعقاب سقوط الاتحاد السوفييتي في محاولة لإحياء الهوية الإسلامية المفقودة.

ووسـط كل ذلك؛ لم تغفل إيران عن استغلال فرصة السـيولة التي تمر بها المنطقة وحالـة الفراغ والتيه التي عانى منها مسلمو روسيا، وأن تستثمر ذلك كله لصالح مد النفوذ الشيعي والتغلغل وسط مسلمي روسيا بشتى الطرق، مستغلة الغياب السني المؤثر عن تلك المنطقة الهامة.

وسـارعت إيـران، مسـتغلة مواردهـا الاقتصادية وانطلاقـاً من الجوار الجغرافـي والصلات التاريخية مع الجمهوريات الإسلامية في آسـيا الوسطى، لتكوين «كتلة إقليمية تكون هي فيهـا بمثابة القلب والمركز، وتضم هذه الكتلة الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز بالإضافة إلى منطقة الخليج، وبهذا تلعب إيران دوراً هاماً كمركز للتوازن بين آسيا الوسطى والقوقاز وأفغانستان من جهة، والعالم العربي من جهة أخرى»[2].

(١) تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (بتصرف)، د. رأفت غنيمي الشيخ، محمـد رفعت عبد العزيز، د. ناجي هدهود.

(٢) نبيل عبد الفتاح: العرب من النظام العربي إلى النظام الشرق أوسطي تحت التشكيل، السياسة الدولية، العدد ١١١.

كما استغلت إيران العلاقات الاقتصادية الواسعة التي تربطها بروسيا، فضلاً عن نفوذها القوي على الكثير من الشيعة الأذريين في موسكو ونفوذها في الجوار الأذربيجاني ذي الغالبية الشيعية لنشر التشيع وسط مسلمي روسيا، مستخدمة طرقاً متنوعة؛ من أهمها:

- التحرك لنشر التشيع من خلال الجمعيات الصفوية المنتشرة في موسكو، والتي تحمل أسماء مختلفة، مثل: أهل البيت، فاطمة الزهراء... وغيرهما، بجانب إقامة المعارض والمؤتمرات والمحطات الإذاعية التي تخدم الصفوية.

- التأثير على من أسلموا حديثاً وإغراؤهم بالمال والمِنَح الدراسية التي تقوم إيران بتمويلها.

- نشر العديد من دعاة الشيعة في مساجد ومناطق أهل السنة لدعوتهم إلى التشيع، ونشر بدعهم وعقائدهم الفاسدة، مستغلين جهل الكثيرين من المسلمين بدينهم.

- التعاون مع الكنيسة الروسية كلٌّ لخدمة مصالحه الخاصة على حساب المسلمين السنة في روسيا، حيث أُسست لجنة للحوار بين الكنيسة الروسية وإيران منذ ثمانية أعوام. وكان من مظاهر هذا التعاون أنه في مؤتمر لممثلي الديانات العالمية في موسكو في ٢٠٠٦م؛ وضعت الكنيسة الروسية ممثلاً عن الصفويين من أذربيجان، ومن يطلقون عليه آية الله من إيران بجوار أكبر قساوسة روسيا.

- التحريض ضد العرب السنة واتهامهم بأنهم مصدر الإرهاب، وأنهم يدعمون المجاهدين الشيشان في حربهم ضد الحكومة الروسية، واستغلال ذلك للظهور بمظهر الاعتدال.

- التعاون الاقتصادي مع بعض الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية مثل داغستان، مستغلة قربها من أذربيجان ذات الغالبية الشيعية، فضلاً عن اشتراكهما في بحر قزوين ذي الثروة النفطية الكبيرة[1].

(١) ياسر البعلبكي، الخطر الصفوي الشعوبي على مسلمي روسيا (بتصرف)، مجلة الفرقان.

وعلى الرغم من أن التحركات الإيرانية لنشر التشيع وسط مسلمي روسيا لم تمثل ظاهرةً بعدُ، والمسلمون ينشغلون عنها بقضايا أكثر أهمية تتعلق باستعادة هويتهم وحصولهم على حقوقهم السياسية والدينية وغيرها؛ غير أن الغفلة عن المد الشيعي في تلك المنطقة، خاصة في ظل ضعف الهوية الإسلامية لدى غالبية مسلمي روسيا وفي ظل المشروع الشيعي التوسعي؛ ستمثل خطورة كبيرة على المدى البعيد على مسلمي روسيا ودول العالم الإسلامي التي يمثل لها المسلمون في روسيا بُعداً حضارياً وثقلاً سياسياً وأهمية إستراتيجية كبيرة.

• الدور الإسلامي المطلوب تجاه مسلمي روسيا:

على الرغم من تمتع العديد من الدول العربية والإسلامية وخاصة منطقة الخليج العربي بقدرات مادية وعلاقات قوية تربطها بروسيا تؤهلها للعب دور هام في تلك المنطقة؛ غير أن الواقع يكشف عن طبيعة الضعف الذي يميز العلاقة بين الجانبين في ظل غياب مشروع عربي إسلامي تجاه مسلمي روسيا من شأنه المساعدة على تخطي مسلمي تلك المنطقة للتحديات الكبيرة التي يواجهونها من جهات مختلفة (شيوعية - صهيونية - تنصيرية - شيعية) تصب جميعها في وقف محاولات عودتهم إلى دينهم، والحيلولة دون إمكانية ارتباط قوي لمسلمي روسيا بدول العالم الإسلامي كجزء هام لا ينفصل عن التاريخ والجغرافيا الإسلامية.

ولإنهاء حالة العزلة التي يعيشها العالم الإسلامي بعيداً عن إخوانهم من الشعوب المسلمة بروسيا الاتحادية؛ لا بد من التحرك على عدة مستويات، انطلاقاً من رابطة الأخوَّة التي تجمع جميع مسلمي العالم، واستناداً إلى التاريخ الإسلامي العريق في تلك المنطقة.

• أهم محاور التحرك لدعم مسلمي روسيا:

- يجب أن تتعدى المساعدات والجهود المبذولة لمسلمي الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية داخل روسيا حدودَ المساعدات الدينية المحدودة؛ كالاكتفاء بتوفير المصاحف

ورحلات الحج، إلى تقديم كل أنواع الدعم الديني والثقافي (منح دراسية، مراكز ثقافية، مؤسسات وهيئات خيرية، مدارس إسلامية..)، ومن الأهمية بمكان تنسيق جهود المساعدة وتجاوزها للعفوية والفردية.

– أن يشارك الأزهر والمؤسسات الدعوية الإسلامية بدور فعّال في التواصل مع مسلمي روسيا اعتماداً على مكانته في قلوبهم. ويمكن لتلك المؤسسات المساهمة في المشروع النهضوي لتلك الشعوب عن طريق:

أ – إدخالِ لغات تلك الشعوب الإسلامية في مناهج الأزهر وغيره من المؤسسات العلمية الإسلامية؛ لكي تخرِّج دعاة يجيدون لغات تلك الشعوب تجاوزاً لمشكلة اللغة.

ب – فتحِ مراكز ومعاهد لتدريس اللغة العربية والتعاليم الصحيحة للدين الإسلامي.

ج – تشجيعِ التعاون العلمي والثقافي بين الجامعات العربية والإسلامية وجامعات تلك المناطق، وإمدادها بالعناصر والمناهج الشرعية المناسبة.

د – إنشاءِ مراكز دراسات متخصصة لإحياء التراث الإسلامي في تلك المناطق.

هـ – مدِّهم بالكتب والأشرطة والأفلام التسجيلية والوثائقية التي تساعد تلك الشعوب على العودة إلى هويتهم الإسلامية.

و – مساعدتِهم على تحقيق الشرعية الدينية في مجالات الطعام والملبس وغيرها.

– من الأساليب الفعالة لاجتذاب مسلمي تلك المنطقة أن تكون الدراسات الثقافية المقدمة إليهم في إطار مقارن بين رؤية الإسلام، ورؤية المادية الماركسية، والوضعية الغربية؛ وذلك لإبراز مزايا الإسلام. يرى الدكتور محمد عمارة أن هناك قضية تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في اجتذاب شعوب هذه البلاد إلى الإسلام؛ وهو أن تكون الدعوة وما يُقدَّم من دراسات إسلامية إليهم تستشهد بتراثهم الإسلامي والحضاري[1].

– على الصعيد الاقتصادي، فإن لروسيا مصالح مشتركة مع الكثير من الدول الإسلامية، فيمكن استثمار ذلك لخدمة قضايا مسلمي روسيا، وخاصة قضية الشيشان، فضلاً عما يمكن أن تساهم به الدول الإسلامية ذات الإمكانيات المادية الكبيرة من دعم للمستوى الاقتصادي لتلك الجمهوريات.

ـ الاهتمام بالإعلام الموجه لتلك المنطقة لنشر الروابط التاريخية وإحياء التراث الإسلامي، وتوفير الدعم المادي والكوادر لتنشيط دور الإعلام الإسلامي وتحسين صورة المسلمين المشوهة بفعل الدعاية اليهودية النافذة في الإعلام الروسي.

– تنشيط التحركات الدبلوماسية بين الدول الإسلامية وروسيا لخدمة قضايا مسلمي المنطقة، مع الاستفادة في ذلك من العلاقات التاريخية القوية بين روسيا وعدد من الدول العربية المؤثرة.

• **خاتمة:**

إن الارتباط العقدي والتاريخي العميق لمسلمي روسيا بالعالم الإسلامي يُحتِّم إعادة النظر في طبيعة العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الطرفين، خاصة في ظل الواقع الجديد الذي يعيشه مسلمو روسيا، وفي ظل الأهمية الإستراتيجية الكبيرة التي يمثلها مسلمو روسيا للعالم الإسلامي بما يتمتعون به من ثقل سكاني كبير يُتوقَّع نموُّه بسرعة، ولا يمكن إغفاله في دولة بحجم روسيا وفي مكانتها الدولية الرفيعة بوصفها دولة وعضواً دائماً في مجلس الأمن، وقوة إقليمية كبيرة تتمتع بموارد اقتصادية وثقل سياسي يمكن الاستفادة منه في دعم قضايا العالم الإسلامي؛ إذا ما تحرَّك المسلمون لدعم وتفعيل الدور السياسي والاقتصادي والثقافي لمسلمي روسيا.

(١) بعض هذه التوصيات منشورة ضمن بحوث المؤتمر العالمي «المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز: الماضي، الحاضر، المستقبل» (بتصرف)، لمجموعة من العلماء والمفكرين ونشرته مجلة الأزهر ١٤١٤هـ.



الآثار الاجتماعية لخمس سنوات من احتلال العراق

خمس سنوات مظلمة قاسية مضت من عمر احتلال العراق، ودخل العراقيون العام السادس والحال في البلد من سيئ الى أسوأ: انهيار في كل شيء، وتخبط في مفردات حياة بائسة، فلا أمن ولا خدمات، والاحصائيات مرعبة ومخيفة تلك التي أضحت عنوانا لكل الأنباء القادمة من العراق: مليون قتيل ونيف، ومليون أرملة، وأكثر من خمسة ملايين يتيم، وأكثر من سبعة ملايين مهجّر داخل البلاد وخارجها، قطاع صحي على حافة الانهيار إن لم يكن بلغه، وعملية تربوية وتعليمية أشبه بالعدم؛ أساسها التزوير والغش، وطفولة معذبة، وعشرات الآلاف من المعتقلين في سجون الاحتلال والحكومة، وضغوط اجتماعية ونفسية حولت الانسان العراقي الى كتلة مشتعلة من المعاناة والعذابات التي لها أول وليس لها آخر. تلك هي حصيلة خمس سنوات مضت من عمر الاحتلال، والكارثة أن لا ضوء في نهاية النفق، كما يقول الفلاسفة.

أعده: عبد المجيد خضير (*)

• الأمن الضائع:

أول الخسائر التي تكبدها العراقيون وأفدحها منذ بدء الاحتلال - وما يزالون - هي الأمن؛ فكل الحديث الذي تتناقله وسائل الإعلام عن تحسن أمني في البلد لا يعد أكثر من كونه مزايدات لا وجود لها على أرض الواقع؛ فوتيرة العنف التي انخفضت كميّاً تصاعدت نوعيّاً، وبات المجرمون الذين يرتدون لباس الميليشيات الطائفية أكثر حنكة وأكثر حرفية في استهداف الأبرياء قتلاً وتهجيراً وخطفاً، حتى أصبحوا رديف المحتل في إلحاق الأذى بالعراقيين الذين تحولوا إلى أطلال بشرية، ولعل الإحصائيات التي أوردتها مؤخراً إحدى المنظمات الدولية - وهي منظمة بريطانية - التي كشفت فيها عن أن السنوات الخمس المنصرمة من عمر الاحتلال حصدت

(*) مدير تحرير وكالة حق الإخبارية.

أرواح ما لا يقل عن مليون عراقي؛ ليست سوى صورة من صور المأساة التي حلت بالعراق والعراقيين، ويرافق هذا العدد طبعاً رقم آخر مرادف له، هو عدد الجرحى والمصابين من جراء أعمال العنف، وفيهم الكثير ممن أصيبوا بعاهات دائمة حوّلتهم من أعضاء منتجين إلى عالة على عوائلهم ومجتمعهم وهم بالآلاف. والأمن المفقود لم تتوقف نتائجه عند حدود حصد الأرواح، بل امتدت لتشمل كل شيء، حتى إن العراقي لا يأمن على نفسه لا في الشارع ولا في المنزل ولا في مكان العمل، وكثير من العراقيين قُتِلوا أو اختُطفوا من منازلهم ومن أماكن عملهم ومن الشارع وأمام أنظار القوات الحكومية التي تقول الإحصائيات الرسمية: إن عددها الضخم جعل من العراق البلدَ الأعلى في نسبة عناصر الشرطة إلى المواطنين في العالم؛ إذ تقول الإحصائيات: إن لكل (٢٧) مواطناً عنصرَ شرطة، بينما المتعارف عليه دولياً أن لكل (٢٠٠) مواطن رجلَ شرطة. وكل ذلك يعني أن عسكرة المجتمع في العراق تعد سابقة هي الأخطر عالمياً، ومع ذلك فأمن المواطن في مهب الريح، وهو ما زال بانتظار أن يحدث تغيير نحو الأفضل، ولكن من دون جدوى.

• الصحة أيضاً ضائعة:

كل المعطيات - كما يقول تقرير نشرته وكالة حق على شبكة الإنترنت وهي وكالة معنية بالشأن العراقي -: إن القطاع الصحي في البلد على حافة الانهيار الشامل، وهو صورة مؤلمة لواقع مأساوي يعيشه العراقيون، وإن النهج الطائفي الذي سيِّرت به الحكومة مركب هذا القطاع الحيوي المهم لم يغطِّ على الوضع المتدهور الذي أضحى عليه، وهو وضع دفع منظمة الصحة العالمية في آخر تقرير لها عن الوضع الصحي في العراق إلى التحذير من أن أحوال هذا القطاع المهم أصبح أقرب إلى الكارثة.

ووفقاً لتقرير المنظمة؛ فإن أعمال العنف والسيارات المفخخة تقتل يومياً نحو (١٠٠) شخص، ولكنَّ هناك أرقاماً أخرى تكشف عن باقي تفاصيل المشهد العراقي: ٧٠ ٪ من العراقيين يفتقرون إلى مياه الشرب، و٨٠ ٪ منهم يفتقرون إلى مرافق صحية في منازلهم. ونتيجةً لهذه الظروف؛ فإن الإسهال، وباقي الالتهابات الجرثومية؛ تشكل الآن ثلثي أسباب الوفيات لدى الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات، بينما يعاني ٢٠ ٪ من سوء التغذية بنحو دائم، مما يجعل أطفال العراق عرضة لمخاطر التعويق الجسدي والعقلي.



يقول الدكتور (ليس روبرتس) وهو مختص بمتابعة أبحاث متعلقة بالصحة العامة في العراق ونشرها: إن ما نراه اليوم هو حصيلة للعنف الذي أدى في النهاية إلى هذا الانهيار الاجتماعي؛ في إشارة إلى الاحتلال والتداعيات التي ترتبت عليه، وهو يعتقد أن بعض الإحصائيات الحديثة تقلِّل من شأن المأساة الإنسانية التي يعيشها العراقيون، وأن الرقم الذي ذُكِر عن سقوط ١٠٠ قتيل يومياً في العراق جراء أعمال العنف؛ ليس دقيقاً، وأن الأرقام أكبر من ذلك بكثير. ولكن الأمر لا يتوقف عند ما ذكره هذا الباحث الدولي، بل يمتد إلى أمر آخر يوضح الوضع البائس الذي أضحى عليه القطاع الصحي في البلد، وهو أن الأرقام المعلَنة من الحكومة العراقية والمدعّمة من الاحتلال؛ تؤكد وفاة ٧٠ ٪ من الجرحى المصابين من جراء أعمال العنف، والذين يُنقَلون إلى المستشفيات؛ بسبب افتقار هذه المستشفيات إلى التجهيزات الطبية والبشرية الكافية.

وما ذكرناه آنفاً عن القطاع الصحي والانهيار الذي يعاني منه؛ رافقه فشل ذريع لوزارة الصحة في النهوض

بالمهـــام الموكلة إليها، وهو ما أهّلهـــا لأن تكون - وبجدارة الوزارة - الأكثر فشـــلاً خلال العـــام الماضي بين وزارات الحكومة التي تسابقت في الفشـــل، وهو ما ذكره المفتش العـــام للـــوزارة، وزاد عليـــه: إن الفســـاد الإداري والمالي والأخلاقي فيها بلغ مســـتويات خطيرة، وبلغ حجم المبالغ المسروقة والمختلســـة فيها ملايين الدولارات، وأن ظاهرة تهريـــب الأدويـــة واســـتيراد الأدوية المنتهيـــة الصلاحية وبخاصة مـــن إيران، باتت أمراً طبيعيـــاً في عراق العهد الجديد الذي جاء به الاحتلال. والكارثة الأخرى التي حلت بهـــذا القطاع تمثلت في هرب أكثـــر من ٧٥ ٪ من الملكات الطبيـــة والصيادلة والعاملين في التمريض من العمل منذ بـــدء الاحتلال وحتى الآن، كما أكـــدت ذلك منظمة دولية تعنى بالشؤون الصحية تدعى (ميداكت)؛ التي ذكرت أيضاً أنـــه ليس في العراق الآن ســـوى ٩٠٠٠ طبيب، أي بمعدل ستة أطباء لكل عشرة آلاف شخص عراقي بالمقارنة مع ٢٣ طبيباً لكل عشرة آلاف شخص في بريطانيا؛ متهمةً وزارة دفاع الاحتلال الأمريكي (البنتاغون) التي أدارت شـــؤون العراق بعد الغزو مباشـــرة؛ بتجاهل الممارســـات الدولية المتعـــارَف عليها دولياً فـــي إدارة القطاع الصحي، وهو ما أدى إلى هذا الانهيار الشامل فيه.

ومن المآســـي الأخرى التي تعرض لها القطاع الصحي في ظل الاحتلال؛ هي عمليات الاغتيال الواســـعة النطاق، وعمليـــات الخطـــف والتهديد التي تعـــرض لهـــا آلاف الأطبـــاء العراقيـــين، وبخاصة أصحـــاب الاختصاصات النادرة، من قِبَل مجاميع مســـلحة من الميليشيات الطائفية والعصابات الإجرامية. وتشـــير الإحصائيات المتوافرة عن أعـــداد الأطباء الذين تعرضوا للقتـــل أنهم بلغوا أكثر من ٢٠٠ طبيب، بينهـــم اختصاصات نادرة، وكفاءات أكاديمية وعلمية مهمة، والحال ينسحب أيضاً على الكوادر الصحية الأخرى.

• **أرامل وأيتام بالملايين:**

تشـــير إحصائيات وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي إلـــى أن عدد الأطفـــال الأيتام في العـــراق بلغ نحو أربعة ملايين ونصف المليون طفل، بينهم ٥٠٠ ألف طفل مشـــرّد في الشـــوارع، بينما تضم دُور الدولـــة للأيتام ٤٥٩ يتيماً فقط، بحسب مســـؤولة قسم دُور الدولة للإيواء في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

وتكشـــف الإحصائيات أيضـــاً أن كل خمس عائلات عراقية لديها طفل معاق لا يستطيع مواصلة الدراسة بعد الابتدائية؛ بسبب عدم توافر الظروف النفسية له، وأنه في ظل استمرار الأوضاع المأساوية للأطفال في العراق، ممثّلة بســـوء الرعاية الصحية والفقر وأعمال العنف؛ فإن الجيل الجديد سيكون جيلاً متمرداً وعنيفاً.

(نادرة عايـــف): عضوة في لجنة المـــرأة والطفل في البرلمان عن جبهة (التوافق العراقية)؛ تنظر لمستقبل الطفل العراقي نظرة (يشـــوبها التشاؤم)؛ بســـبب آثار الاحتلال والعنف المسلح المترتب عليه، وهي تقول: إنني أحمل نظرة تشاؤمية لمستقبل الأسرة العراقية نتيجةً للأوضاع المتفاوتة التي يعيشها أطفال العراق؛ بســـبب الاحتلال، والتهجير، والعنف، والفقر، والتفكك الأســـري. وقالت: إن من نتائج الاحتـــلال والعنف الذي جاء به أن عـــدد الأطفال الأيتام والمشـــردين وصل إلى نحو أربعـــة ملايين ونصف المليون طفل. إضافة إلى وجود (٨٠٠) طفل في ســـجون الاحتلال والحكومة، يرافق ذلك أوضاع معاشـــية قاســـية وصعبة لهؤلاء الأرامـــل والأيتام، مع إهمال حكومي واضح زاد من معاناة هذه الشـــريحة المهمة من المجتمع، التي هي بأمسّ الحاجة إلى الرعاية والاهتمام، وسط مجتمع أصابته حالة من الانهيار نتيجةَ الضغوط النفسية والعصبية التي سببها الاحتلال، حيث شاعت جرائم سرقة المال العام، وارتفعت نِسب الطلاق بنحو ٢٠٠ ٪ في المدة من عام ٢٠٠٣م وحتى ٢٠٠٧م، ووصار المجتمع العراقي أمام ظواهر شاذة مثل: بيع الأطفال، والاتجار بالفتيات. وقد ذكرت صحيفة ســـويدية أنها رصدت وســـط بغداد بالصوت والصورة سوقاً كبيرةً لبيع الأطفـــال الرضّع والمراهقين، وقالت: إنها شـــاهدت طفلـــة عراقية في الرابعة من عمرها تدعى (زهراء) وهي تباع بمبلـــغ ٥٠٠ دولار، وتسترســـل الصحيفة لتقول: إن

أطفال العراق يباعون في سوق النخاسة ونساءهم بغايا بالإكراه، وأرقام مخيفة من عدد القتلى اليومي، وأحزاب تنهب ما فوق الأرض وما تحتها وتقدم لشعب العراق رصاصة الموت تحت رغيف الديمقراطية؛ جوع، وباء، سوء تغذية، تلوث بيئي، فوضى سياسية؛ يقتل الإنسان بقيمة قسيمة ملء الهاتف النقال.

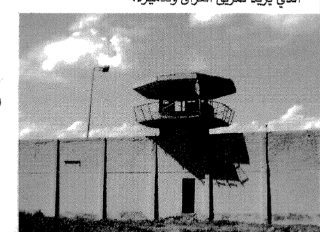
• **معتقلون بالآلاف:**

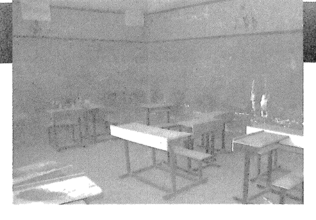
الحلقة الأخرى في سلسلة المعاناة العراقية التي بدأت مع قدوم الاحتلال الذي دخل عامه السادس؛ هي الزج بآلاف المعتقلين في سجون الاحتلال والحكومات التي تعاقبت على تولي زمام الأمور في البلاد تحت ظله، وبأسلوب كشف استهدافاً احتلالياً واضحاً للمقاومين لمشروعه في العراق؛ وهم أهل السنة الذين رفعوا السلاح في وجهه منذ اللحظة الأولى، واستهدافاً طائفياً من الحكومة مدفوعاً من أطراف خارجية، والنتيجة كانت الزجّ بآلاف الأبرياء من أبناء أهل السنة في السجون والمعتقلات، حتى إن الإحصائيات المتداولة عن الأعداد الحقيقية لهؤلاء وصلت إلى ٤٠٠ ألف سجين ومحتجز بين رجل وامرأة وطفل، موزعين على ٣٦ سجناً منتشرة في جميع محافظات العراق، عدا السجون الخاصة بجيش الاحتلال ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وتقول المحامية سحر الياسري، الناشطة في اتحاد الأسرى والسجناء العراقيين: إن ما يجري في هذه السجون من انتهاكات ووسائل تعذيب تجعل من سجن (أبو غريب) - سيئ الذكر - هو الأرحم من بين تلك السجون. موضحةً أن هناك ما يقرب من ٦٥٠٠ حَدَثٍ في السجون الحكومية وسجون الاحتلال، إلى جانب عشرة آلاف امرأة، والغالبية العظمى من هؤلاء السجناء لم يحقَّق معهم، ولم توجه إليهم اتهامات واضحة، وبعضهم لم يُعرَض على القضاء منذ اعتقالهم، وآخرون مضت عليهم سنوات وهم محتجزون من دون وصف حقيقي لوضعهم القانوني.

وهي تقول أيضاً: إن هناك ما يقارب الألفي سجين ممن يطلق عليهم (السجناء الاشباح) الذين اختفوا من غير أن يعرف مصيرهم، وأن ظاهرة الاختفاء القسري باتت شائعة في العراق؛ بسبب تعدد الجهات التي تمارس التغييب والخطف والقتل والقمع والسجن، وكل هذه المعلومات تؤكد حقيقة أن معظم الجثث المجهولة الهوية التي اشتهرت بها شوارع بغداد ومطامر نفاياتها؛ تعود في معظمها إلى سجناء ومعتقلين تجري تصفيتهم على أيدي الميليشيات الطائفية المتغلغلة في القوات الحكومية بنحو مرعب، والضحايا بالطبع هم أهل السنة، وهذا الأمر ليس نحن من نقوله، بل هو أمر تداولته المنظمات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة، ولعلنا نتذكر البرنامج الذي بثته القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني مطلع العام الماضي بشأن هذا الموضوع والضجة الكبيرة التي أثارها، مثلما نتذكر السيل الجارف من المعلومات والأنباء التي تتحدث عن الأوضاع الصحية السيئة للمعتقلين، حيث انتشرت أمراض الجرب، وسوء التغذية، وغيرها من الأمراض الأخرى؛ بسبب غياب الرعاية الصحية اللازمة لهؤلاء المعتقلين.

والحقيقة المرّة؛ أنه حتى ما أطلق عليه اسم (قانون العفو العام) الذي أقرّ مؤخراً من قِبَل البرلمان والحكومة؛ لم يضع حداً لمعاناة آلاف المعتقلين؛ فهو في ظاهره قانون وفي باطنه صفقة سياسية مشبوهة لبعض الأطراف المتنفذة في الساحة السياسية العراقية. ويبدو أن هذا الجرح الغائر سيبقى نازفاً إلى أن يأذن الله - سبحانه - بزوال الاحتلال ومن سار في ركب مشروعه الذي يريد تمزيق العراق وتدميره.





• **خدمات مفقودة:**

ومن بين مصائب العراقيين التي لا تحصى ولا تعد في زمن الاحتلال؛ هي انعدام الخدمات وفي مقدمتها انهيار منظومة الطاقة الكهربائية؛ إذ لا يحظى المواطن بأكثر من ساعة واحدة يومياً من الطاقة الكهربائية، وقد لا يراها في أحيان أخرى لأيام متواصلة. والحال ينطبق على الماء الصالح للشرب، والذي تؤكد الإحصائيات الدولية أن أكثر من ٧٠ ٪ من العراقيين لا يتوفر لهم الماء الصالح للشرب، بينما صارت الكثير من شوارع بغداد ومعظم مراكز مدن العراق أماكن لتجمُّع المياه الثقيلة؛ بسبب عدم توفر شبكات تصريف المياه الثقيلة ومعها النفايات والأزبال التي صارت اليوم معلَماً من معالم الحياة الكارثية التي جلبها الاحتلال للعراقيين.

• **التعليم أشبه بالعدم:**

أما الحديث عن التعليم في العراق منذ بدء الاحتلال وحتى يومنا الحاضر؛ فهو ذو شجون، وفيه من الحقائق ما لا عين رأت ولا أذن سمعت؛ فقد تراجع التعليم في جميع المستويات الدراسية، وأضحت المدارس والجامعات والمعاهد مكاناً لنشر الأفكار الهدامة، وصارت أماكن الدراسة مبعثَ قلق لعوائل التلاميذ والطلبة لأسباب عديدة، منها: خطورة الذهاب إليها بعد أن أصبحت هدفاً لأعمال التفجير والهجمات المسلحة، وقبل ذلك كله شيوع المفاهيم الطائفية في المدارس والجامعات التي أسست لها ذلك عملياتُ التغيير الواسعة النطاق للمناهج الدراسية بأسلوب مشبوه فيه إساءة متعمدة لتاريخ العراق ورموز الأمة العربية والإسلامية. ثم إن انخفاض المستوى العلمي جاء على خلفية انهيار العلاقة بين الطالب ومعلِّمه، وانتشار ظاهرة الغش في الاختبارات بأسلوب غريب قلّما عرفت له الإنسانية مثيلاً من قبل؛ إذ كانت الميليشيات طرفاً بارزاً في شيوع هذه الظاهرة الخطيرة من خلال إجبارها المدرسين في مراكز الاختبارات على حل الأسئلة وتقديمها إلى الطلبة، وأحياناً تسريب الأسئلة وبيعها بمبالغ بخسة! وشواهد هذا الأمر كثيرة جداً، منها ما حدث خلال العام الدراسي الماضي عندما اضطرت وزارة التربية إلى تأجيل امتحانات المرحلة النهائية للصفوف المنهية بعد اكتشاف عملية تسريب أسئلة الاختبارات وبيعها للطلبة قبل دخولهم قاعات الامتحان.

وعندما نتحدث عن الوضع المأساوي للتعليم لا نستطيع تجاوز عمليات القتل والخطف والتصفية الجسدية للمئات من الأساتذة، التي بلغت في آخر إحصائية أكثر من ٦٠٠ أستاذ جامعي، في إطار مسلسل منظَّم لاستهداف العقول العراقية العلمية، بينما بلغ عدد من هُجِّروا منهم أكثر من ١٧٠٠٠ أستاذ. وقد نالت عمليات الاغتيال أيضاً الكثير من المدرسين في مدارس المراحل الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، وحتى الطلبة؛ مما دفع الآلاف منهم إلى ترك مقاعد الدراسة والهجرة إلى خارج العراق حيث الضياع والغربة والحرمان. والأبنية المدرسية هي الأخرى كانت صورة من صور الحال البائسة التي وصل إليها التعليم، حيث يعاني العراق من نقص شديد فيها.

وعلى حين يدخل الاحتلال عامه السادس؛ لا يزال الكثير من تلاميذ العراق يتلقّون تعليمهم في مدارس من القصب والبردي، ويفترشون الأرض بسبب عدم وجود المقاعد الدراسية. وحاجة العراق للأبنية المدرسية باعتراف وزارة التربية تبلغ آلاف الأبنية، والطامة الكبرى أن وزارة التربية لم تصرف من الميزانية المخصصة لها العام الماضي أكثر من ٣ ٪ فقط!

إن كل الذي ذكرناه عن حال العراق منذ بدء الاحتلال وحتى يومنا الحاضر؛ ليس سوى غيض من فيض، فالجرح العراقي ما يزال ينزف بغزارة، بينما يملأ جلّادوه الدنيا ضجيجاً عن الأنموذج الرائع للديمقراطية التي جاء بها الاحتلال!



ثورات النخب

د. يوسف بن صالح الصقير(*)

من عجائب هذا الزمان انتشار ظاهرة ثورات النُّخَب، ونقصد بها: أن تقوم حركات مسلحة ترفع شعارات التحرير، ورفع الظلم، والعدل، والمساواة، يقودها نُخَب تتحرك وفق توجيهات الداعمين والممولين والمنظِّرين وخططهم. ولن نجد مثالاً أفضل من مثال الاضطراب الحاصل في السودان، الذي يدفع لحالة من التشرذم أو الفوضى «الخلاقة»، التي تمهِّد لمرحلة الاحتلال المباشر أو غير المباشر، وذلك عن طريق سلسلة من الاتفاقيات التي أفرزت - وتفرز - كيانات معادية للمركز، مستقلة اسمياً وتابعة فعلياً، للجهات المموِّلة التي لا تخرج عن جهات ثلاث: أولها: العالم الغربي بدوله الكبيرة، وثانيها: الكنيسة وهو واجهة مكملة للأولى، والثالثة: هي دولة اليهود التي بذلت جهوداً كبيرة لسنوات طويلة لتكوين حزام إفريقي معادٍ للعرب.

وكانت البداية أيام الاستعمار الإنجليزي عندما منع التواصل بين جنوب السودان الذي يغلب عليه الوثنيون وبقية السودان المسلم، وعملت الكنيسة بكل جد من أجل تكوين نواة نصرانية تولّت قيادة الجنوبيين، والحديث باسمهم بحيث اقتصر التعامل على هذه الفئة، وهمّش كل جنوبي لا يعلن تبعيته للنصرانية. ويكفي لهذا اسم جوزيف وجون وكاربينو وفيليب.

وتوالت أعمال التمرُّد في الجنوب، المعتمدة على دعم مباشر من القوى الخارجية التي أمَّنت لهذه الحركات التدريب والتسليح. وأكثر من ذلك القواعد الخلفية الآمنة في دول الجوار، التي تشمل: أريتريا، وأثيوبيا، وكينيا، وأوغندا، مما أشعل المنطقة؛ حيث قام السودان بالرد عن طريق دعم حركات تمرد وانقلابات أدَّت إلى سقوط النظام في أثيوبيا وانفصال أريتريا، ودخلت منطقة البحيرات في دوامة من الصراعات الدامية. وكان من اللافت للنظر أن الجنوبيين يفرون من الحرب إلى الشمال! إنها مفارقة تدل على أن التمرد قضية نخبة وليست قضية شعب مضطهد.

ومع بداية حكم البشير المتحالف مع جماعة الترابي؛ اتخذ الصراع منحى جديداً بالاعتماد على متطوعين إسلاميين من مختلف أنحاء السودان، ونجح الأسلوب الجديد في الحدِّ من التمرد وحصره في منطقة ضيقة على حدود أوغندا، وسرعان ما وصل داعية السلام الرئيس الأمريكي (كارتر) المعروف بنشاطه الديني، وكان تدخله عاملاً أساسياً في التقاط التمرد لأنفاسه، والحصول على مزيد من الدعم والتمدُّد من جديد، وبخاصة بعد الخلاف المشهور بين البشير والترابي الذي أسهم في تحوُّل شيخ المجاهدين في الجنوب والوزير في الحكومة المحلية في دارفور؛ الشيخ الطبيب خليل إبراهيم إلى داعية إلى الحرب ضد حكومة السودان، بدعوى تهميش منطقته، وعدم حصولها على نصيب مناسب من المناصب القيادية، وطالب أيضاً بتدوير منصب الرئاسة بين الأقاليم.

إنها مطالب لمعارضة سياسية إصلاحية، ولكنها لا تبرر الحرب الدموية التي تخوضها الحركات المسلحة في دارفور، فلم نسمع أن أحداً من ويلز أو أسكتلندا قد تولى رئاسة وزراء بريطانيا، ولكنها أعذار لإشعال الوضع، ومن ثمَّ تكون مشكلة لاجئين من دارفور، يكونون وقوداً لحرب أخذتهم على حين غرة؛ فإعلان التمرد تمَّ في باريس، وانطلق من تشاد، ولذا انطلقت المعارضة التشادية من الحدود السودانية إلى العاصمة نجامينا، وحاصرت الرئيس (إدريس ديبي) في قصره؛ مما أسهم في قيام ابن قبيلته وقريبه خليل ابراهيم بتكرار المشهد، ولكن في أم درمان.

إنها دائرة مغلقة من الأفعال وردود الأفعال التي تفتح المجال للتدخلات الأجنبية في المنطقة. ولذا؛ لا نستغرب أن الذين يحاصرون غزة يتباكون على المأساة الإنسانية في دارفور، ويتسابقون لحماية المدنيين بإرسال قوات أُممية - إفريقية مشتركة لدارفور، وقوات أوروبية إلى تشاد لحماية النظام من أية محاولة لإسقاطه.

إنها خطة لفصل دارفور والاستيلاء على ثرواتها النفطية والمعدنية. أما الشعب المطحون؛ فله أن يحلم بالسلام والديمقراطية والرفاهية، كما حلم به شعبا أفغانستان والعراق، ولنتذكر أن أول الشعوب الذين ثاروا بسبب غلاء المواد الغذائية الحالي هم شعب هاييتي الجائع، الذي ينعم بالإدارة الدولية بعد إسقاط الدكتاتورية.

والمؤسف أن الذي يقاتل إخوانه في الدين بدعوى العدل والمساواة؛ يقدِّم بلاده إلى الأعداء على طبق من نحاس ويورانيوم وبحر من بترول! ومن المؤسف أن النُّخَب الحالية بين مستحوذ على السلطة والمال، وبين ساعٍ إلى الاستحواذ عليها! وفي الحالين الضحية واحدة؛ إنهم مجموع الأمة..

أيتها النُّخب! رفقاً بنا، وصارحونا: ماذا تريدون؟

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.



أحمــد فهمــي
afahmee@albayan_magazine.com

مرصد الأخبار

هل لبنان هي المقابل؟

قال وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس في كلمة ألقاها في الأكاديمية الأمريكية للدبلوماسية: «علينا أن نجد وسيلة لإيجاد مقابل نقدمه إلى الإيرانيين قبل أن نجلس ونتحدث إليهم»، وأضاف: «إذا كان لا بد من المناقشة؛ فينبغي أن يكون لديهم شيء أيضاً، لا يمكننا أن نناقشهم وأن نكون الجهة التي تطلب منهم في شكل كامل من دون أن يشعروا بأنهم يحتاجون إلى شيء منا».

ودعا جيتس إلى البحث عن سبل خارج الحكومة؛ «لإفساح المجال أمام مزيد من التبادل وأمام المزيد من الأشخاص الذين يسافرون بين البلدين»، وأضاف جيتس: «في الواقع هناك عدد كبير من الإيرانيين الذين يزورون الولايات المتحدة، وعلينا أن نزيد العدد الذي يقوم برحلة معاكسة، ولا أقصد الإيرانيين، بل الأمريكيين».

[الشرق الأوسط ١٦/٥/٢٠٠٨م]

بلد (الجبن) والجرأة على الإسلام

هاجمت الكاتبة الدانماركية (هيلا ميريتا بريكس) تنظيم الإخوان المسلمين بشدة في ثنايا كتاب جديد، واصفة إياه بـ «أخطر تنظيم إسلامي». واستندت الكاتبة في دعواها إلى أن الجماعة تضم أصحاب الرؤية التاريخية في إقامة الخلافة والشريعة في أي مكان يوجدون فيه.

واسم الكتاب «ضد الظلام»، وتحرض فيه الكاتبة على جماعة الإخوان بالقول: إن قوتها تتعاظم في أوروبا، في ظل النظرة السيئة لتنظيم القاعدة الذي يعتبره أغلبية العالم تنظيماً إرهابياً.

وتحذر الكاتبة من الخطر الذي يشكله التنظيم - بزعمها - على المجتمع الدنماركي بأفكاره ومبادئه، وتصفهم بـ «الإسلاميين الرجعيين»، وتقول: إن مجابهة تلك التنظيمات الإسلامية المتشددة لا تكون بالصدام المباشر معهم، ولكن بمساعدة المسلمين الديمقراطيين الذين يرغبون في العيش تحت مبادئ الغرب وقيمه مع الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم بوصفها قضية شخصية. وأشارت إلى ضرورة الحذر من التنظيمات الإسلامية التي تريد - برأيها - أن تجعل أوروبا قارة إسلامية بوصفه حلماً قديماً يرجع لعدة قرون.

[بتصرف عن العربية ٢٨//٢٠٠٨م]

فضائيات:

● استضاف برنامج «حوار مفتوح» على قناة الجزيرة يوم ١٧/٥/٢٠٠٨م الشيخ علي الأمين المفتي الشيعي لمدينة صور في لبنان، الذي عزله المجلس الشيعي الأعلى مؤخراً لموقفه المعارض لحركة أمل وحزب الله. وقال الأمين: إن حزب الله لا يريد دولة فاعلة في لبنان، وإنه يتبنى نهجاً طائفياً، وإنه لا يملك إذا طلبت منه إيران شيئاً إلا أن يقول: (سمعاً وطاعة). وقال إن أمل وحزب الله لا يمثلان الطائفة الشيعية حصرياً، وإن مشروعهما السياسي لا يمكن القول إنه مشروع شيعة لبنان، وأكد أن المقاومة قبل عام ٢٠٠٠م كانت هجومية، ولكنها بعد ذلك أصبحت دفاعية؛ حيث يمضي وقت طويل دون أي عمليات، ولذلك يجب على الحزب أن ينسق مع الدولة في ذلك.

● بث فضائية بي بي سي البريطانية الناطقة بالعربية تقريراً عن تقرير أصدرته منظمة هيومان رايتس ووتش عن أوضاع المرأة في السعودية، وامتلأ التقريران بتجاوزات ومعلومات غير دقيقة كانت المشاهد التي يعرضها التقرير نفسُه تكذّبها، حيث تحدث عن التضييق على تحركات المرأة واقتصارها على أيام محددة وأماكن محددة مخصصة للنساء مع عدم التنقل إلا برفقة رجل، وغير ذلك، في الوقت نفسه الذي كانت المشاهد تعرض نساء يتجولن وحدهن دون التزام بالحجاب الشرعي في أسواق مختلطة. وأبرز التقرير أيضاً معلومات قيمة تثبت عكس ما يهدف إليه، وتوحي بالمكانة التي تحتلها المرأة في السعودية، إذ كشف أن النساء في المملكة يمثلن ٥٥٪ من خريجي الجامعات، ويمتلكن ٤٠٪ من الثروات الخاصة وآلاف من المؤسسات التجارية. [٢١/٤/٢٠٠٨م]

● نقلت (الجزيرة مباشر) مؤتمراً صحفياً عقده وليد جنبلاط في مقره بجبل لبنان هاجم فيه حزب الله بضراوة، واتهمه بالسيطرة التامة على جهاز أمن المطار بكل تشعباته، وقال إنه من خلال تأمل خريطة شبكة اتصالات حزب الله يمكن معرفة حدود دولته التي يريد تكوينها، وقال: إن الشبكة تمتد لتربط بيروت بالجنوب مع البقاع الغربي وبعلبك، وهناك خطوط تمتد إلى سورية، وقال إنه يوجد مسؤول أمني اسمه (وفيق صفر) تابع لحزب الله هو الذي يحدد تحركات الجيش وقوات الأمن، واتهم جنبلاط سورية بأنها تستميت لإرضاء إسرائيل، واتهم أجهزة الأمن السورية بأنها من اغتالت عماد مغنية نتيجة خلافات بينهما، وقال: إن وزير الخارجية السوري وليد المعلم قال إن التحقيق بشأن الاغتيال سيتم في خلال ثلاثة أيام، ثم انقضت أربعون يوماً دون أن يتم الإعلان عن شيء. [٣/٥/٢٠٠٨م]

● في برنامج بانوراما على قناة العربية، طُرحت قضية حزب الله بعنوان: «دولة داخل الدولة» وجاء في الحلقة أن حزب الله اعترض بقوة على الحكومة عندما أرادت وضع كاميرات مراقبة في بيروت لمواجهة سلسلة الاغتيالات، في حين سمح لنفسه بوضع كاميرات مراقبة تابعة له في المطار ورفض طلبَ الحكومة أن يرفعها. [٥/٥/٢٠٠٨م]

● نسبت قناة المنار إلى الشيخ علي بلحاج نائب رئيس جبهة الإنقاذ الجزائرية الإسلامية، قوله إنه يوجد مشروعان: الأول: مشروع مقاومة يرفع مقومات الأمة مثل إيران وحزب الله، والثاني: مشروع العمالة والخيانة الذي يمارسه أتباع الولايات المتحدة في المنطقة. [١٦/٥/٢٠٠٨م]

خبر وتعليق

الخبر: كشف الصحفي البريطاني روبرت فيسك في الإندبندنت في مقال كتبه من قرية في جنوب لبنان، أن ٣٠٠ لبناني (شيعي) من الجنوب يتجهون إلى طهران عن طريق العاصمة اللبنانية بيروت كل شهر من أجل التدرب على استخدام الأسلحة النارية بالذخيرة الحية والصواريخ، وأن حوالي ٤٥٠٠ من أعضاء حزب الله قد تدربوا لمدة ٣ أشهر في إيران منذ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٦م استعداداً للحرب القادمة مع إسرائيل.

[بي بي سي ٨/٤/٢٠٠٨م]

التعليق: هناك عدة حقائق تتجمع بين أيدينا:

أولها: أن حزب الله لا يزال يتخذ من المقاومة ستاراً وواجهة لتمرير مخططاته التوسعية لاختراق البنية الطائفية والسكانية وخلخلتها في لبنان.

وثانيها: أن مستويات الريبة تصل إلى حدها الأقصى من توفر المعلومات الغزيرة عن الدعم العسكري الذي تقدمه إيران لأتباعها في دول المنطقة بدءاً بالعراق ثم لبنان ودول أخرى في الخليج، وفي مقابل ذلك نرى صمتاً وقبولاً على مستوى الدول الغربية التي تؤيد حصار الفلسطينيين في غزة ومنع الدواء قبل السلاح عنهم، بينما تنتقل الأسلحة والمدربين والمتدربين من إيران وإليها عبر الحدود دون أي منغصات.

وثالثها: أن إيران لا تضيع وقتها، وأنها تمضي قُدماً في تحقيق نتائج ملموسة على الأرض من خلال تغيير موازين القوى في عدة دول يحتل فيها الشيعة نسبة لافتة، وذلك في مقابل تلعثم عربي غير مفهوم ما بين عمليات استخباراتية محدودة الأثر والتأثير، وبين جهود سياسية متخبطة بين اعتبار إيران عدواً مؤكداً أم صديقاً محتملاً.

هذا التلعثم ينعكس ضرراً وتدهوراً في أوضاع السُّنَّة في تلك الدول بما يحولها إلى قنابل موقوتة تنتظر انفجاراً وشيكاً.



أرقام تحكي العالم

● أظهرت دراسة حكومية أمريكية أن ٢٠٪ من الأشخاص الذين انتحروا خلال عام ٢٠٠٥م في الولايات المتحدة هم من العناصر السابقين والحاليين في القوات المسلحة، وجاء في الدراسة التي نشرها موقع (بلومبرغ كوم) أن حوالي ١٨٢١ عسكرياً سابقاً أو حالياً قد انتحروا في ١٦ ولاية أمريكية خلال عام ٢٠٠٥م، نصفهم كانوا مصابين بعوارض الانهيار العصبي، وثلثهم ترك رسائل توضح أسباب الانتحار.

[عكاظ ١٥/٤/٢٠٠٨م]

● بعد عملية حقل الموت التي نفذتها القسَّام ونتج عنها مقتل ٣ جنود صهاينة، قالت صحيفة «معاريف» إنّ العملية رفعت عدد صرعى قوات الاحتلال في القتال بقطاع غزة إلى ثمانية في غضون ثلاثة أشهر ونصف الشهر منذ بداية سنة ٢٠٠٨م. وقال محلل عسكري في الصحيفة: إنّ صرعى جيش الاحتلال – وفقاً لهذه النسبة – قد يصلون إلى ٢٥ جندياً حتى نهاية عام ٢٠٠٨م، مقارنة بـ ٣ جنود فقط خلال العام الماضي كله.

[المركز الفلسطيني للإعلام ١٩/٤/٢٠٠٨م]

● تشير التقديرات الأولية لزوار مولد الحسين – رضي الله عنه – في مصر لهذا العام إلى بلوغهم ٣ ملايين زائر بعضهم من خارج مصر، وكانت تقديرات العام الماضي ٢,٥ مليون زائر، ويشار إلى أن عدد الطرق الصوفية في مصر يبلغ ٧٦ طريقة، ويقدر أتباعها بحوالي ١٦ مليون شخص.

[الأسبوع القاهرية ٣/٥/٢٠٠٨م]

● أكدت دراسة نشرتها صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أن السجون الأوروبية تكتظ بالسجناء المسلمين وبخاصة من ذوي الأصول العربية، وقالت إن ما بين ٦٠-٧٠٪ من السجناء في فرنسا مسلمون، بينما تبلغ نسبة المسلمين هناك ١٢٪ فقط، وفي بريطانيا تبلغ نسبة السجناء المسلمين ١١٪، وفي هولندا بلغت النسبة ٢٦٪، وأرجعت الدراسة أسباب هذه الظاهرة إلى أمور، من بينها: الانقسامات العرقية المنتشرة، وتطبيق سياسات اجتماعية أدت إلى عزل المسلمين في مناطق فقيرة حيث تنتشر البطالة.

[الأسبوع القاهرية ٣/٥/٢٠٠٨م]

علامة تعجب

عنوان

في مؤتمر صحفي عقد في رام الله بشأن المبادرة اليمنية للتقريب بين فتح وحماس وبثته فضائية الجزيرة مباشر؛ انتقد عزام الأحمد القيادي في حركة فتح لجوءَ حماس إلى الخطاب الديني الذي يجتاح العالم، وقال: «باتذكر أمي – الله يرحمها – بأيام الامتحانات تقول لي: قوم صلي منشان تنجح.. وإحنا دايماً في الأزمات الناس بتتجه يا للصلاة يا للحشيش يا للسكر.. معلش نحكي بصراحة».

[١٨/٤/٢٠٠٨م]

شعرة مقتدى و«شامبو» الحكومة

قال صلاح العبيدي المسؤول في التيار الصدري، تعليقاً على الاشتباكات بين جيش المهدي والقوات الحكومية بإشراف رئيس الوزراء نوري المالكي، وذلك في أعقاب تجديد مقتدى الصدر لقرار تجميد جيشه ستة أشهر إضافية: إن «السيد مقتدى الصدر مجرد رفع شعرة واحدة.. شعرة واحدة من التجميد.. هذه الشعرة فقط هي للدفاع عن النفس أمام الخطر الحقيقي.. هي التي جعلت أزمة البصرة تحدث، ولكن إذا رفع التجميد؛ فالله أعلم ما الذي يحدث!». ويحمل تصريح العبيدي تهديداً ضمنياً للحكومة بقيام مقتدى بإسقاط شعرات أخرى لجيش المهدي.

الشرف ليس «رفيعاً» في إيطاليا

أصدرت محكمة استئناف عليا في إيطاليا حكماً يقضي بالسماح للمرأة المتزوجة أن تكذب حتى خلال التحقيقات أو أمام المحكمة في حالة خيانتها لزوجها، وبررت المحكمة الحكم بأنه يهدف إلى الحفاظ على شرف الزوجات الخائنات. وجاء هذا الحكم بعد نظر المحكمة لقضية سيدة عمرها ٤٨ عاماً أدلت بشهادة كاذبة للشرطة بخصوص إعارتها هاتفها المحمول لعشيقها. [بي بي سي ٨/٣/٢٠٠٨م]

إشكالية المس عند حزب الله

يبدو قادة حزب الله كأنهم يمسكون قلماً وهمياً يصلون به بين كل ما ينتقده عليهم مخالفوهم وبين المقاومة، فكلما تعرضوا لنقد في أمر ما، يعتبرون على الفور أنه من المقاومة «المقدسة»؛ فشبكة الاتصالات صرح نعيم قاسم نائب الأمين العام للحزب أن المسّ بها مس بالمقاومة، وكاميرات المراقبة والتجسس على مطار بيروت من المقاومة. وقال حسن نصر الله: إن المس بأحد مقاتلي الحزب يعتبر مسّاً به شخصياً، ومن ثم مسّاً بالمقاومة، غالب الظن أن الحزب يعاني مسّاً من نوع آخر، إنه: (مس الشيطان).

س و ج

س: هل توجد خلفيات تجسسية أو أمنية لموقع «فيس بوك» الشهير؟

خلال سـنوات من إطلاقه رسـمياً في ٢٠٠٤/٢/٤، تحوّل موقع فيس بوك Facebook إلى واحدٍ من أشهر المواقع العالمية، وانتقلت شعبيته إلى الدول العربية، ويقدر عدد المشتركين فيه بحوالي ستين مليوناً حول العالم، وقد تقدم الموقع خلال العام ٢٠٠٧ من المرتبة سـتين إلى المرتبة السابعة عالمياً، ويُعد مسـتخدمو النت المصريون ثم الأردنيون ثم الإماراتيون الأكثرَ استخداماً له بين مستخدمي النت العرب، وذكرت صيحفة الرياض أن هناك ٢٠٠ ألف سعودي يستخدمون الموقع، وأكثر بقليل من ربع المشتركين في الموقع هم من الأمريكيين، وهناك عشـرات الآلاف من المجموعات التي تجمع المشـتركين في الموقع في مختلف المجالات بما فيها الإباحية والجنس.

وقد ثارت بشأن الموقع مجموعة من الملاحظات والانتقادات تربطه بشبكات أمنية تنتهي عند CIA والبنتاجون، وينقل أمريكيون عاديون تجارب تعرضوا لها مع الموقع أدت إلى اعتقالات ومتابعات وفصل من الجامعات؛ بسـبب معلومات حصلت عليها الشـرطة المحلية وإدارات الجامعات عنهم من فيس بوك.

مؤسس موقع فيس بوك كان طالباً في جامعة هارفرد عام ٢٠٠٤، واسمه مارك زُكربرغ، وهو يهودي من نيويورك، أسس الموقع في البداية شبكة تعارف لطلاب الجامعة، وتدريجياً بدأ فتح الشبكة على نطاق عالمي.

وفي نهاية عام ٢٠٠٤ حصل (زُكربرغ) على نصف مليون دولار من المسـتثمر (بيتر تيل) من رموز المحافظين الجدد. وفي أيار/ مايو ٢٠٠٥ حصل الموقع على ١٢,٨ مليون دولار من شـركة أكسـل Accel Partners، ويرتبط مدير شركة أكسل جيمس براير بأشخاص وشركات أخرى أنشأتها السي آي إيه من أجل اختراق مجال تكنولوجيا المعلومات، كما تربطه صلات أخرى برئيسة وكالة مشاريع الأبحاث المتقدمة التابعة للبنتاجون (د. أنيتا جونز)، وكانت نيويورك تايمز قد كشفت عام ٢٠٠٢م أن الوكالة تتبنى مشروعاً لجمع أكبر قدر من المعلومات عن كل إنسان أيّاً كان، ووضع تلك المعلومات في مكان مركزي واحد ليُتوصل إليها ولتستخدم بسرعة عند الضرورة من قبل الإدارة الأمريكية. وتضم هذه المعلومات كل شيء يمكن الوصول إليه عن الشخص، من استخدامه للإنترنت، إلى فواتير هاتفه وكهربائه ومائه، إلى سـجلاته الطبية والمدرسـية والأكاديمية، إلى سـجلات ضريبة دخله وحساباته المصرفية وقروضه وبطاقات ائتمانه، إلى مشترياته عبر النت وبطاقات سفره.. إلخ. وتذكر بعض مواقع الإنترنت أن موقع (الفيس بوك) أحد التقنيات التي اتبعتها الوكالة لتنفيذ هذا المشروع.

وقد فرضت حكومة أونتاريو المحلية في كندا، في أيار/ مايو ٢٠٠٧، حجباً رسمياً شاملاً لفيس بوك من خلال أي جهاز حاسوب حكومي تابع لها. ويشـار أيضاً إلى أن وزارات في أسـتراليا فرضت الحجب على فيس بوك أيضاً، وكانت جامعة نيو مكسيكو في الولايات المتحدة قد فرضت حجباً مماثلاً.

ونشـرت «لوس انجلوس تايمز» الأمريكية تقريراً عن اسـتخدام إسـرائيل للفيس بوك مصدراً لجمع المزيد من المعلومات عن الشـارع المصري بشكل خاص والعربي بشكل عام، وقد استعانت المجلة في تقريرها برأي خبراء في هذا الشأن منهم جيرالد نيرو المتخصص في علم النفس بجامعة «بروفانس» الفرنسية، الذي قال إن هذه الشبكة كُشِف عنها بالتحديد في مايو/أيار ٢٠٠١، وهي عبارة عن مجموعة يديرها مختصون نفسيون «إسرائيليون»، مجنَّدون لاستقطاب شباب العالم الثالث، وإن ضباط المخابرات يهتمون حتى بالحوارات ذات الطابع الجنسي لكشف نقاط ضعفٍ من الصعب اكتشافها في الحوارات العادية الأخرى، وبذلك يسهل تجنيد العملاء انطلاقاً من تلك الحوارات الخاصة جداً.

وتجدر الإشـارة إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسـبق بنيامين نتنياهو كان يقوم شخصياً بالاستماع إلى المحادثات التي يجريها الشباب العربي عبر غرف الدردشة من خلال برنامج «بال توك»، وقال: إنه يعلم من خلال تلك المحادثات ما يفكر فيه الشارع العربي.

[مقال د. إبراهيم علوش، موقع عمر خالد، محيط ٢٠٠٨/٤/٢٣م؛ موقع صحيفة الرياض ٢٠٠٨/٤/١٩م]

أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

تصريحات:

- «إن الأرض التي منحها الرب لليهود ليست الأرض الحالية التي تقوم عليها الآن «إسرائيل»، بل هي الأرض الممتدة من الفرات في العراق إلى النيل في مصر، هذه هي «أرض إسرائيل» الحقيقية التي منحها خالق هذا الكون لآبائنا إلى أبد الآبدين».

[البروفيسور هليل فيس، معاريف ٢٩/٤/٢٠٠٨م]

- «على الرغم من عدم اعتراف الرئيس الإيراني أحمدي نجاد بوجود «دولة إسرائيل»، وإطلاقه دعوات متكررة لإبادتها، إلا أن الواقع شيء آخر؛ فحُراسه الذين يحيطون به يحملون في أيديهم رشاشات من نوع (عوزي) الإسرائيلية الصنع للدفاع عنه، فخلال الاحتفال بيوم الجيش الإيراني الذي عقد في طهران مؤخراً كان من الممكن مشاهدة أفراد القوات الخاصة الإيرانية وهم يحملون في أيديهم رشاشات العوزي التي حصلت عليها طهران إبان عهد الشاه السابق خلال السبعينيات من القرن الماضي، والتي ظلت في حوزة قوات النخبة الإيرانية، كما أن إيران تمتلك سلاحاً «إسرائيلي» الصنع، من بينه مدافع من إنتاج شركة «سولتام»، وهي المدافع التي قامت طهران بنقل بعض منها إلى منظمة حزب الله اللبنانية واستخدمتها بالفعل في ضرب أهداف «إسرائيلية».

[ميكي سيجال - موقع أوميديا الصهيوني ٢٢/٤/٢٠٠٨م]

«إن تفجيرات الحادي عشر من ٢٠٠١م، التي فُجِّر خلالها مبنيا التجارة العالمي وضُرِب مبنى وزارة الدفاع الأمريكية في العاصمة واشنطن؛ كانت في مصلحة الدولة العبرية. نحن في إسرائيل ننعم ونتلذذ بشيء واحد حصل؛ وهو العملية التفجيرية في نيويورك وفي واشنطن! بالإضافة إلى الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وتابع قائلاً: «إن تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر غيّرت بشكل كبير للغاية الرأي العام في أمريكا، وبات لصالحنا ١٠٠ ٪»، على حد تعبيره.

[زعيم حزب الليكود، النائب بنيامين نتنياهو - معاريف ١٨/٤/٢٠٠٨م]

أخبار:

● كشفت وثيقة سرية للمخابرات الألمانية عن أن الفلسطيني (عاطف بسيسو) أحد منظمي الهجوم على الوفد الرياضي الصهيوني في دورة الألعاب الأولمبية بميونخ عام ١٩٧٢م؛ كان مخبراً سرياً لصالح المخابرات الألمانية حتى موعد اغتياله على يد الموساد، وكان معتاداً على الالتقاء مع (كلاوس جرونفيلد) رئيس قسم الأنشطة الأجنبية في ألمانيا، ويسلمه معلومات سرية عن الفصائل الفلسطينية في ألمانيا وبخاصة منظمة أبي نضال. وعقب اغتياله؛ نشر التنظيم بياناً إعلامياً أكد فيه أن بسيسو كان خائناً، وأنه أبلغ معلومات سرية لأجهزة المخابرات الغربية؛ وهو الأمر الذي دفع جهاز المخابرات الألماني إلى عدم الكشف عن صلته ببسيسو.

[صحيفة معاريف الإسرائيلية ٢٠/٤/٢٠٠٨م]

● نشر اليمين الصهيوني في مجلة (أرض إسرائيل لنا) شكلاً جديداً للعلم الإسرائيلي رسمه «أهارون شابو»، بمناسبة الاحتفال بالذكرى الستين لقيام الكيان. ويظهر في العلم الجديد نجمة داود وهي محطمة من قبل عناصر حماس، كما صوِّرت في مستوطنة نافية داقاليم خلال إخلائها بعد الانسحاب من قطاع غزة، وذلك بدلاً من نجمة داود المعهودة التي كانت تزين العلم.

[هآرتس ١/٥/٢٠٠٨م]

● بلغ عدد سكان الكيان الصهيوني حوالي سبعة ملايين ومئتين واثنين وثمانين ألف نسمة، أي ما يشكل تسعة أضعاف عدد السكان لدى قيام «إسرائيل»، ويُستدل من معطيات دائرة الإحصاء المركزية أن حوالي ٧٠ ٪ من السكان اليهود هم من مواليد «إسرائيل» مقارنة مع ٣٥ ٪ فقط قبل ستين عاماً.

[الإذاعة الإسرائيلية ٧/٥/٢٠٠٨م]



أنيس منصور والإســـلام

من خلال مقالات له

محمد خير رمضان يوسف

الأســـتاذ أنيس منصور: كاتب موسوعي من مصر، يكتب مقالات يومية في الصحف منذ عقود من الزمن، أبرزها «الأهرام»، ويتصف بسعة المعرفة، و (الدردشة) الجميلة، والتطرق إلى النواحي العلمية، والمشـــكلات الاجتماعية، والأحوال السياسية، واللغة، والأدب.

ولا يتعالـــى على قرّائه، بل يدنـــو منهم ويحدّثهم بأسهل أسلوب في أعقد المسائل.

ويركز كثيـــراً على «البحث العلمي» و «التعليم الجامعي» و «تربية الموهوبـــين»، ويرى في ذلك الطريـــق الوحيد إلى التقدم، ويشـــير بـــين فينة وأخرى إلى أن كثيـــراً من الدول تقدَّمت أو أحرزت تقدُّماً ما عدا مصر!

ولـــه أكثر من (١٠٠) كتاب، كثير منها مقالات له جمعت في كتب.

وقُدِّمت فيه رسائل جامعية عديدة، حتى من قِبَل اليهود، من ذلك دراســـة لمؤلفاته من قِبَل «ســـيجال جورجي» باحثة يهوديـــة من الكيـــان اليهودي، حصلت بها علـــى الدكتوراه، ورســـالة دكتوراه أخرى في دراسة أفكاره الأدبية والفلسفية والسياســـية، حصل عليها رفعت فودة مـــن مصر... وغير ذلك.

ومع كتابات إســـلامية عديدة له؛ لـم أقـف علـى رسـالة أو مؤلَّف بحثَ موقفه من الإسلام! ربما لعدم اطلاعي عليه، أو أنه حقّاً لم يُكتب فيه من خلال هذا الموضوع.

وقد تابعـــت مقالاته اليوميـــة التي يكتبهـــا في عمود «مواقـــف» بجريدة الأهرام مدة (٦) شـــهور، منذ أوائل عام ١٤٢٧هـ حتـــى أواخر جمادى الآخرة، لأتبـــيَّن بعض معالم فكره الديني، من خلال موقفه من العقيدة وغيرها، وجوانب إسلامية مطروحة في الساحة.

قبل النقد:

وقبل البدء في الموضوع، أذكّر أن هذه ليست دراسة متكاملة لموقفه الإسلامي، فهي لا تستند إلى شيء مما ورد في كتبه، ولا مقالاته السابقة أو التالية في هذه الجريدة وغيرها، وإنما تُعنى بما كتبه خلال ستة شهور فقط.

كما أنها لا تتطرق إلى مواقفه الإيجابية، فالهدف معرفة أخطائه، ورد بعض شبهاته ومواقفه السلبية.

وإلا فإن الرجل فيه عاطفة إسلامية، ويدافع عن المسلمين ضد الهجمة الصليبية الأمريكية كما ذكر في أكثر من مقال، كما بيَّن تضامنه مع المسلمين في استنكارهم وتظاهرهم ضد الرسوم الساخرة بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهو من المترددين على الحرمين الشريفين لأداء العمرة والزيارة...

لكن أعماله ومواقفه الإيجابية لا تبرر السكوت عن أخطائه ومواقفه؛ فله أصدقاء من اليهود على مستوى عالٍ، بل إن شفاعته ترتجى لديهم، وقد ذكر أنه التقى بالمجرم أرييل شارون عدة مرات مع بطرس غالي وغيره[1]. وكان من التلامذة المخلصين لأنور السادات في مبادرة استسلامه، فهو لا يفتأ في كل مناسبة يذكّر الفلسطينيين بأن يستسلموا كما استسلمت مصر!

ولعله يُتبين من خلال مقالاته أن عقيدته غير منضبطة بقواعد إسلامية حدَّدها العلماء، وبخاصة من خلال مبدأ «الموالاة والمعاداة» التي تعد من العقيدة.

بل إن له فلسفات وتحليلات تقرِّبنا من القول بأن إيمانه مثل إيمان الفلاسفة.

ثم إن له أسلوباً في خلط الجد بالهزل قد لا يُعرف من ذلك موقفه الحقيقي من بعض القضايا الحساسة، وهو بذلك يسجل هدفه بأنه قال ما يريد. وهو نفسه يذكر في أكثر من مقال أنه لا يعرف ماذا تريد الصحافة وما الذي لا تريده... فيقال له ما قال فيها.

تضايُقه وضجره من الدعاة والفتاوى:

يبدو هذا واضحاً من خلال قوله: «ما الذي حدث في مصر أخيراً؟ هل ارتد المصريون عن الإسلام؟ هل كفروا؟ هل أغلقوا أبواب المساجد؟ هل هدموا المآذن؟ وهل صرحوا بأنهم لا يريدون عمرة ولا حجّاً؟ هل يطالب المصريون بدين جديد؟ ماذا جرى للناس؟ لا شيء من ذلك قد حدث، إذن لماذا يظهر المشايخ وأدعياء الفقه والشريعة والتفسير في كل القنوات والبرامج؟ وكلهم في غم محمومون يصرخون.. والناس أيضاً، فهم يسألون في كل صغيرة وكبيرة خوفاً من جهنم.. خوفاً من الخروج على الدين وعلى المذاهب»[2].

ويعلل تضجره من ذلك - في العدد نفسه - بأنه لا شيء حدث يزلزل الإيمان واليقين، وأن المصريين هم أكثر الشعوب الإسلامية تمسكاً بالدين، وأن هذا الإعلام والدعوة للدين تظاهر بالتمسك بالدين والمعرفة، وأن ذلك «يؤكد جهلهم وسخافة تفكيرهم»! وأن «المشكلة أصبحت هكذا: أناس سخفاء يريدون أن يسألوا عن كل شيء سخيف، ومحجبات لا يعرفن كيف يكتبن أسماءهن يفترشن الأرض للإفتاء في كل شيء. والمعنى: جهلاء يشجعن جاهلات على أن يسألن الجهلاء في أمور سخيفة. فلا هذا دين، ولا هذا تمسك بالدين، وإنما استعراض لأشكال وألوان من الجهل!».

ويؤكد نفوره من الإعلام الإسلامي أكثر عندما تتكاتف الجهود لانتشال المجتمع من أوحاله وأمراضه الخلقية، وما تعرَّض له من تشويه لدينه وعقيدته ومواقفه، فلا يرضى بذلك، ويخشى أن يتسلم هذا الأمر الإسلاميون، فيقول: «إذا كانت لا تزال في عينيك دموع؛ فأرجو أن تسكبها على حال المسلمين في الشرق الأوسط! ما هذا الإسلام الذي شوهناه وأفسدناه؟ ما هذه الخرافات التي يعيشها المصريون في الصحف والإذاعة والتلفزيون؟ من هذا العبقري الشرير الذي خرج علينا بالأحاديث المفبركة عن الرسول ﷺ؟ من الذي جعلنا أضحوكة الأمم؟ ماذا حدث حتى نفاجأ بما لا نهاية له من أدعياء الإفتاء على كل قناة وصحيفة؟ هل هي صحوة إسلامية؟ كنا نياماً وصحت ضمائرنا فرحنا نتلمس شواطئ الأمان من هذا الضلال!»[3].

وفي العدد نفسه يُبدي استهزاءه وتهكمه من عودة الفنانات إلى الحق والتوبة من الفسوق والفجور، فيقول: «ولكن وحدك لا تستطيع أن تقاوم طوفان الفتاوى، ليس رجال الدين ولا المفكرون، وإنما المحترفات من الفنانات التائبات... التائبات عن ماذا؟ التائبات عن الفهم وعن العلم والدين. حتى هؤلاء اللاتي لم يكنّ شيئاً في الفن يحاولن أن يكنّ شيئاً في الدين».

(1) الأهرام، ع، (٤٣٥٠٧) ١٨/ ٢/ ١٤٢٦هـ.

(2) ع(٤٣٦٥٣) ١٧/ ٥/ ١٤٢٧هـ.

(3) ع(٤٣٥٥٤) ٦/ ٢/ ١٤٢٧هـ.

كما حمل حملة شعواء على الخطباء من أهل القرى خاصة في عدة مقالات له؛ لأنهم لا يلائمون أفكار العصر، وكذا المشايخ والفقهاء المتحدثون في القنوات، وأن الحل أن «يكفُّوا وأن يكونوا معاصرين لنا وليس لأبي هريرة والبخاري»[1].

وقد تعرَّض أكثر من مرة لأحاديث النبي الكريم ﷺ، وموقفه في هذا قريب جداً من موقف الشيعة الذين لا يثقون ولا يروون إلا للقليل من الصحابة، رضي الله عنهم.

ويبرر موقفه متابعاً قوله في ذلك: «فالمشاكل اليوم أعقد، والكوارث أعظم، والمسلمون أكثر، وكذلك متاعبهم»! وكأن الأحاديث تقف عائقاً أمام ذلك، ولا يعرف أنه «أحد الوحيين» اللذين تقوم عليهما شريعة الإسلام، وأن صلاته - إن كان يصلي - من بيان السنة، وكذلك حجه واعتماره، فهل يريد أن يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء بما يمليه عليه عقله، أم يتبع الحق وينقاد للإيمان كما بيَّنه الرسول ﷺ في السنَّة؟

ولم أشر إلى سخريات أخرى له وتساؤلاته المقذعة في الفضائيات والأسئلة التي تلقى على العلماء ونوعية أجوبتهم، وأنه يجب تغييرها، أو أنها تؤدي إلى التطرف، ولم يقدم البديل ولا يعرفه، وإنما الهدف تقليصها أو منعها، وقارن ذلك بالفاتيكان وغيره وأنه لا يوجد أو لا يُعرف لهم مفتٍ[2]!

ويبدو من هذا أنه لا يريد فقهاء ولا مفتين، وأن كل مسلم يأخذ ما يريد كما يفهمه، ومن لا يريد لا علاقة لأحد به، فيفعل ما يشاء كما يشاء!

إنه كلام خطير جداً لا يتفوَّه به خائف من الله؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، والإسلام بحر، وعلومه الشرعية لا يفهمها إلا من مارس قراءتها وحفظ قواعدها وبقي يتعلمها عشرات السنين حتى يقدر على تعليمها والإفتاء منها... فكيف بالمسلم الغرّ الذي لا يعرف أن يقرأ القرآن، بل قد لا يعرف أن يصلي أو يزكي؟ أنَّى له أن يفهم ويعرف أحكام الشريعة والنوازل الجديدة من فهمه وهو لا يحفظ ولا يعرف شيئاً من دينه؟

وقوله: (إنه ليس في الفاتيكان مفتٍ)؛ غريب في بابه ولا يناسب ثقافته، أليس «البابا» في الفاتيكان، والنصارى يصدرون عن رأيه فيما يناسب دينهم؟ ألا يوجد قسس ورهبان منتشرون في الكنائس يعلمون النصارى دينهم ويصلون بهم ويجيبون عن أسئلتهم؟ هل يقبل النصارى مدينة بلا كنيسة أو كنائس ليس بها علماؤهم؟ ومن جانب آخر: هل يريد الكاتب مساجد بلا علماء ولا فقهاء؟ أم أنه يريدهم على تفصيل ذوقه الخاص لا على طلب المسلمين وحاجتهم؟!

المفاضلة بين المسلمين وغيرهم:

إذا علمنا أن الإسلام هو أصح الأديان، وأنه نسخ الأديان السابقة كلها، ولا يصح اعتناق دين سوى الإسلام؛ فإنه يصح قولنا: إن المسلم هو على الحق دون كل المخالفين له، وأنه أفضل من جميع الناس بعقيدته هذه. يقول الله - سبحانه -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ويقول - سبحانه -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولينظر الكاتب إلى ما ورد في آخر الآية من أن الخيرية متعلقة بالأمر بالخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر والمعاصي، وهذا ما لا يريده الكاتب على ما يبدو.

فالأفضلية لأمة الإسلام بنصِّ الآية الكريمة، لكن الكاتب يذكر بصراحة وبالحرف أنه يجب ألا يكون للفارق الديني شأن في التعامل مع البعض[3] ولا يعني به المعاملات المالية وما إليها، كما يأتي.

لقد ذكر أنه نشأ في جو متسامح دينياً، وأنه لم يعرف الفرق بين مسيحي ويهودي إلا في مرحلة متأخرة، ولا سأل نفسه: ما الفرق بين الجامع والكنيسة والمعبد اليهودي[4].

وكان يفتخر بأنه ما كان يُعرَف أنه مسلم! وأن الكثيرين كانوا يظنونه قبطيًّا! بل ذكر في عدد (٤٣٥٩٩) تاريخ ١٤٢٧/٣/٢٢هـ، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٦م أن صديقه الحميم كمال الملاخ (القبطي) بقي معه (٨) سنوات وهو لا يعرف أنه مسلم، وأنه لم يحاول أن يبين له إسلامه!

أقول: يُفهَم من هذا أنه ما كان يصلي ولا يصوم، فقد ذكر في العدد نفسه قوله «كان الملاخ صديقي، ولم ننفصل لا ليلاً ولا نهاراً، ولا غداء ولا عشاء، عملنا معاً...» فإنه لو كان يصلي لعرف الملاخ أنه مسلم، ولو صام كذلك؛ فإنه كان معه دائماً.

وفي حادث بين الأقباط والمسلمين قال: «ونسينا أن الأقباط هم أصل هذا البلد وهم ليسوا هنوداً حمراً، وإنما

(١) هذا كلامه في ع (٤٣٦١٧٤) ١٠/ ٤/ ١٤٢٧هـ.
(٢) ينظر مثال على ذلك: ع (٤٣٦٢٢)، ١٥/ ٤/ ١٤٢٧هـ.
(٣) الأهرام، ع (٤٣٦٣١) ١٤٢٧/٤/٢٤هـ.
(٤) ع (٤٣٦٠١) ١٤٢٧/٣/٢٤هـ.

هم أناس يجتهدون مثقفون متعلمون جداً ...»(١). قلت: وأهل مصر أليسوا أصحاب البلد الأصليين؟ ألأنهم أسلموا منذ ١٤٠٠ سنة صاروا فرعيين؟

الكاتب ونظام الإسلام:

يبدو أن الكاتب بعيد جداً عن نظام الإسلام وشريعته، أو أنه لا يحبذه بصراحة! ومن المعروف أن «الإخوان المسلمين» يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل منتدياتهم وكتاباتهم، ومنذ تاريخهم الطويل في الجهاد والدعوة. وعندما فازوا بـ ٢٠ ٪ من مقاعد البرلمان عام ١٤٢٦هـ؛ غضب الكاتب غضباً شديداً لم أقرأ له غضبة مثلها، فقد قال ما نصه (ولم يعيِّنهم): «رفضنا حكم الشعب للشعب، وقبلنا حكم التطرف الديني للسياسة والاقتصاد والحياة المدنية».

ووصف الشعب المصري بالجهل؛ لأنه اختار هذه القيادة، وقال في آخر مقاله: «إننا نستحق الموت ما دمنا رفضنا الكرامة حياة وأسلوباً»(٢).

وقال بعد يومين من تاريخه (ع ٤٣٤٦٨): «إن الذي اختاروهم عبيد، وأنه هتك لعرض الديمقراطية، وأنه إكراه سياسي، ودعارة أخلاقية...» إلخ.

والأمر الذي يدعو إلى الاستغراب أنه غيَّر رأيه تماماً في حلقات قادمة! هو وغيره من كتاب مصر، ولعلَّ الذي خفَّف عنهم وبصَّرهم بذلك أحد أصدقائهم المرموقين، وإلا فما كانوا يصرِّحون، فقد صرَّح الروائي المعروف نجيب محفوظ أن الإخوان لهم تاريخ في العمل السياسي، وأنهم سُجنوا وعُذِّبوا وصبروا وثبتوا، وفشل غيرهم، فلماذا نخاف وننزعج؟ إن لهم برامج ومقترحات؛ فلنرَ هذا العنصر أيضاً، ولنعطهم فرصة حتى يقدِّموا لنا ما يخططون له!

وعندما فازت حماس في الانتخابات وتجهزت لتكوين الحكومة قال في أول مقاله:

«مطلوب من حكومة حماس أن تقول (نعم) ثلاث مرات: نعم للاعتراف بإسرائيل! نعم لوقف العنف! ونعم لكل الاتفاقيات الدولية!»(٣).

وأعاد مثل هذا الكلام أكثر من مرة، وأنها إذا لم تفعل ذلك فإنها تقف في مجابهة القوى العالمية...

وفي (٩ صفر ١٤٢٦هـ)؛ خاطب الشعب الفلسطيني - ويعني بهم حماساً، التي رفضت الاعتراف بالكيان اليهودي - مُثْنياً على السادات في الاستسلام - ويسميه السلام - وأنه «الرجل الشجاع بعيد النظر الذي رأى المستقبل وأرسى قواعده» مبيناً أننا لم نحقق شيئاً منذ ٥٠ عاماً، إنما السادات فقط حقق هذا الحلم!

ردود على استهزاءاته ومغالطاته:

إن المتابع لكلمات الأستاذ أنيس منصور يعرف أنه لا يريد الإسلام من مصادره الصحيحة، بل يريد إسلاماً على هواه، يعني الإسلام الذي عرفه بذوقه الخاص وتفكيره العلماني.

ونظرته إلى السنة النبوية وتاريخ الحديث النبوي الشريف سيئ جداً وغير مقبول، ويبدو أنه قرأ كتباً للمستشرقين، أو من في قامتهم، وآمن بها.

ومن كلام الكاتب في ذلك: «إن ألوف الأحاديث قد نُسبت إلى السيدة عائشة، رضي الله عنها. والسيدة عائشة تزوجت الرسول ﷺ في العاشرة من عمرها ومات عنها وهي في الثامنة عشرة. ولقد حفظت القرآن والأحاديث والفقه والشريعة والفتوى في كل العلوم وفي الطب، إن كثيرين من الفقهاء يرون صعوبة شديدة في تصديق كل ذلك!»(٤).

وهذا كلام الخصوم والأعداء من المستشرقين وغيرهم مكرَّراً وقديماً، يعرفه حرّاس العقيدة والذابُّون عن السنَّة النبوية، فإذا كانت أمُّنا عائشة (الذكية الحافظة الأمينة)، أحبُّ النساء إلى الرسول ﷺ، هي التي تكذب، فمن يكون صادقاً؟ أأعداء الإسلام والمشكِّكون والملحدون والباطنيون؟ إن الذي في قلبه مرض - فقط - هو الذي لا يصدِّق ما روي عنها من الأحاديث الصحيحة.

"المتابع لكلمات الأستاذ أنيس منصور يعرف أنه لا يريد الإسلام من مصادره الصحيحة."

ولا علم للكاتب بأصول الحديث ومصطلحه، والجرح والتعديل، ولا يعرف كيف يُقبَل الحديث وكيف يُرَدّ، ولا يعرف تخريجه وتوثيقه، ومن جهل شيئاً عاداه. وقد ردَّ النقّاد المحدِّثون آلاف الأحاديث؛ لأنها موضوعة أو مشهورة ولكنها غير صحيحة أو ضعيفة... وللحديث درجات، وقد استشهد الكاتب بحديث: «عدنا من الجهاد الأصغر إلى

(١) الأهرام ع (٤٣٥٩٧) ٢٠/٣/١٤٢٧هـ.
(٢) الأهرام، ع (٤٣٤٦٦)، ٦/ ١١/ ١٤٢٦هـ.
(٣) الأهرام، ع (٤٣٥٣٨)، ١٩/ ١/ ١٤٢٧هـ.

(٤) الأهرام، ع (٤٣٥١٧) ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٦هـ.

الجهاد الأكبر»[1] وهو لم يصح، فهو ضعيف كما قال مخرِّجه نفسه الحافظ البيهقي في كتابه الزهد. بل ذكر الحافظ ابن حجر أنه مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة في الكنى للنسائي.

ويقول الكاتب مرة أخرى متهكماً بسنة رسول الله ﷺ[2]: «أما نحــن فقد فتحنا باب الفتوى علــى الآخر، فكلٌ واحد أصبح يُفتـــي، إن كان دخول الحمام بالقدم اليمنى، وإن كان إلقاء الطلاق على الزوجة على الإنترنت حراماً أو حلالاً، إلى آخر الأسئلة الفارغة من عقول أكثر فراغاً».

وعندما تحــدث مفتي مصر (علي جمعـــة) عن حرمة التماثيل؛ انزعج كثيراً، فقال في سخرية وهو يناجي أستاذه «سقراط»: «يا أستاذنا! فكيف ترانا بعد أن حرَّمنا البنطلون والتماثيل والدخول بالقدم اليســـرى، وأزلنا شعرتين من بين الحاجبين، واستعذنا بالله عند اللقاء الجنسي حتى لا تتسلل العفاريت، وبعد ذلك حوقلنا وبسملنا وهلَّلنا؟ فيا رب إن كان هذا هو الطوفان فقد غاب عنا نوح، فأي يوم هذا؟»[3].

وفي عدد آخر[4] يوضح موقفه أكثـــر، فيذكر «قـــرفه» و «ضيقه» من برنامج تلفزيوني عن الزواج؛ لأنه اســـتضيف فيـــه «رجل متفقه»، ثم قال: «هل الزواج مشـــكلة دينية؟ هل كـــل ما ينقص الشباب لكي يتزوج هو أن يصلي ركعتين»؟ ثم يقول: «إن مثل هذا انحراف بالموضوع وتضليل...».

وقـــال وهو يتَّقد حقداً وغضباً: أريد أن أتزوج وأن يكون عندي شـــقة ودخل كبير لكي أربـــي أولادي وأضمن بقاءهم وبقائي في مصر، فما الذي يســـتطيعه أبو هريرة والبخاري من أجل الحصول على شـــقة في مســـاكن الشـــباب؟ شيء عجيب أن نســـرف في إذاعة البرامج الدينية ثم نتهم الناس بالتطـــرف ونلقي القبض عليهم بعد ذلك، مع أنهم لم يفعلوا أكثر من تصديق بعض من المتحدثين من المذيعين أيضاً!».

واضح جداً أنه لا يريد الحلول الإســـلامية للمشـــكلات الاجتماعية، وعاد يغمز ويلمز الصحابي الجليـــل أبا هريرة - رضـــي الله عنه - وأميـــر المؤمنين فـــي الحديث الإمامَ البخاري، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله، عز وجل.

والأفظع من هذا أن يقارن الاشـــتغال بالحديث النبوي الشريف بالرسوم المسيئة للرســـول ﷺ، فيقـــول في كـــلام لا يُكتَب ســـوى للتنبيه والبيان: «ثم نشـــكو من لعب العيال الرسامين في الدنمرك! ما هذه الرسومات التافهة السخيفة؟ إن الذي نناقشـــه من أحاديث الرسول ﷺ هي أعظم إهانة له وللإســـلام الحنيف، إن هذه الخرافات والخزعبلات التي نحشـــرها وينحشر فيها المشـــايخ والملالي في كل مكان هي أفدح وأفضح وأبشع ازدراء للإسلام والمسلمين!»[5].

إني أذكِّر الكاتب وأمثاله بأن الله - ســـبحانه وتعالى - بعـــث نبيَّه محمداً ﷺ لبيان دينـــه، فهو أعلم الناس بالقرآن وبدين الله، وإذا وصل كلامه إلينا صحيحاً فينبغي أن يطاع. يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وقرن طاعته بطاعته، فقال - جلَّ من قائل -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. وإن عصيانه عصيان لربِّ العزة، لأنه مبلِّـــغ عنه دينه، والويل لمن خالفـــه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُـولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وهنـــاك آيات أخر وأحاديث في ذلـــك، ولا يحتاج الأمر إلى بيان، فيكفي أنه رسول مرسل برسالة، وأنه مبلِّغها، عليه صلوات ربي وسلامه.

واســـتهزاؤه بالأكل باليمـــين، ودخول الحمـــام بالرجل اليســـرى، وصلاة ركعتين قبل الزواج... ومـــا إلى ذلك من الأحاديث الصحيحة في هذه الأحوال وغيرها؛ لا يُقْدِم عليه مســـلمٌ قويُّ الإيمان، بل إن إيمانه وعمله في خطر. وإن الله يُري ناســـاً عواقب دنيوية ليعتبر بها آخرون، ولا يكون هذا العقاب في كل مرة، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

ومن تلك العبر أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له النبـــي ﷺ: «كل بيمينك!» قال: لا أســـتطيع، قال: «لا اســـتطعتَ!» ما منعه إلا الكِبْـــر؛ فما رفعها إلى فيه. كما في صحيح مســـلم (رقم٢٠٢١)، يعني: شُلَّت يده؛ لأنه عصى رسول الله ﷺ ولم يَنْقَدْ لكلامه؛ أَنَفةً وتكبُّراً.

وأذكِّر الكاتب مرة أخرى بأن عاقبة معصية الرسول ﷺ وخيمة؛ فكيف بمن أنكر سنَّته؟

أمـــا لماذا هذه الســـنن؟ ولماذا لا يكون الأكل بالشـــمال، ودخول الحمام باليمين... إلخ؟ فإن الأمر للمشـــرِّع في ذلك،

(١) ع (٤٣٦٦٤)، ٢٨/ ٥/ ١٤٢٧هـ.
(٢) ع (٤٣٦٤٧)، ١١/ ٥/ ١٤٢٧هـ.
(٣) ع (٤٣٥٨٧)، ١٠/ ٣/ ١٤٢٧هـ.
(٤) ع (٤٣٦١٣)، ٦/ ٤/ ١٤٢٧هـ.

(٥) ع (٤٣٥٥٤)، ٦/ ٢/ ١٤٢٧هـ.



وفـي ذلك حِكَم عرفنا بعضها ولم نعرف بعضها الآخر، إنما المسلم يعمل بها اتّباعاً للأوامر التي نزلت وحياً من السماء.

ومن الحِكَم في ذلك تميُّـز شـخصـية المسـلم، فأينما ذهب والتقى بأخ له يراه موافقاً له في هذه الأعمال. وكـان رسـولُ الله ﷺ يخالف اليهود والنصارى في أشـياء كثيرة ويصرِّح بذلك، وينهى عن التشبُّه بهم في لباسهم وعاداتهم وما إليها؛ فإن التقليد سـبب للتبعيـة، حتى قال اليهود في رسـول الله ﷺ: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»[1].

وأسـأل الكاتب؛ عندما يصلي ويعتمـر ويحج؛ ألا يقوم بحركات معينة؟ ألا يرفع يديه في الصلاة؟ ألا يقرأ سـورة أو آيات بعـد الفاتحة؟ ألا يصلي على النبي - عليه الصلاة والسـلام - في التشـهد الأخير؟ ألا يصلي في المقام بعد الطواف؟

إنـه يفعل هـذا، ولكنه ينكر ما هو مثله في مناسـبات أخرى، فهذا سُـنة وذاك سُـنة، فما ميزانك في قبول هذا وردِّ ذاك؟ هل هو ميـزان الجرح والتعديل وقواعد مصطلح الحديث أم الهوى والذوق الخاص؟

ومن أخطائه الأخـرى قوله: «حرام أن نلعن القدر، فإن القدر هـو الله»[2]. وهو خطأ بيِّن، فـإن القدر هو القضاء الذي يقضي به الله على عباده.

ويبدو أنه أراد حديث «لا تسـبوا الدهـر، فإن الله هو الدهر». صحيح مسـلم (رقم ٢٢٤٦). وهذا أيضاً من جهله الفاحش بالحديث، وتدخُّل له فيما لا يعرفه ولا يعنيه.

وقـد وقفت على كلمات أخرى له فـي أعداد تالية من الأهرام بعد التاريخ المذكور تشـبه ما سـبق أن كتبه، وقد اسـتوقفني من بينها مقال فظيع لا يجرؤ أن يكتبه مسـلم يخشى الله، فقد أسقط فيه أحكاماً أثبتها الله - سبحانه - في القرآن الكريم! وغير ذلك من سخرياته بالدين الحنـيف، ففي جـرأة ولا مبـالاة وتهكم؛ أقحـم نفسـه في أمـور لا يعـرفهـا أو يصـرُّ علـى أن يكون الحُكْمُ فيها له، لا لله ولا لرسـوله ﷺ، ولا لعلمـاء الدين. يقـول في مقـال كتبه في الأهـرام[3]: «لا أدعـي أننـي مفتي القـرية ولا المـدينة ولا الديار، وإنما كلامي بالعقل ردّاً على مثل هذه التساؤلات: هل أدخل بالقدم اليمنى؟ الجواب: ادخل كما تريد!

في الظلام لا أعرف أين القبلة، فكيف أصلي؟ الجواب: في أي اتجاه، فأنت تصلي لله، والله في كل مكان!

سـؤال: إنني أُصاب بمغص بسبب الصيام، فماذا أفعل؟ الجواب: لا تصم!

في الحروب لا يسـتطيع الجنـدي لا أن يصلي ولا أن يصوم، ففي ذلك انشغال عن مهمته، وفي ذلك خطورة عليه وعلى زملائه مـن المقـاتلين»، وردٌّ في الجواب أن المقـاتل لا يصلي!

وفيما كتبه هنا طامّات، ويكفي قوله: إنه يقول هذا بالعقل، يعني ليس استناداً إلى كتاب ولا سنّة. ويقول للمجاهد المسلم لا تصلِّ، وفي القرآن الكريم آية طويلة في كيفية الصلاة في أثناء الحرب، تسـمى صلاة الخوف، وهي الآية (١٠٢) من سورة النساء: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النسـاء: ١٠٢]. هذا والعدو يتربص بهم ويكاد أن يهجم عليهم. أما عند الالتحام فللصلاة أحوال أخرى ذكرها العلماء.

وفي آخر هـذا المقال ما يُنْبِئ عـن حنقه وغيظه على الشباب الملتزم، بدل فرحه بهم، فيقول في خبث يُبطنه، فضَّ الله فاه: «ثم رائد فضاء ماليزي يسأل كيف يصلي في سفينة الفضاء، وكيف يصوم وهو مكلف بمهام خطيرة؟

أنـا أقول له: لا تصلِّ ولا تصم، فالدين قد أعطاك هذه الرخصة، وإذا كان يريد أن يتجه إلى القبلة فلم يجدها ففي أي اتجاه، واقفاً أو جالسـاً أو نائماً، أو لا داعي لأن يصلي، فالدين يُسـر. ونحن قد أسأنا إلى الدين بأفكارنا السخيفة وتساؤلاتنا الغبية».

هذا ما قاله في خاتمة مقاله، أعانه الله على خاتمته.

خاتمة:

تبيَّن مما سـبق أن الكاتـب أنيس منصور ليس على عقيدة صحيحة في كل ما يكتبه عن الإسـلام، وأن ثقافتـه بالحديـث مـعدومـة، ولذلـك يعد الاشـتغـال به من «الجـرائـم»! وتبيَّن أنه لا يريـد سيادة الثقافة الإسلامية ولا الإعـلام الإسـلامي، ولا الحكم بالإسلام، وهو لا يفتأ يكرر دعوة الجميع إلى الاستسـلام للكيان اليهودي من خلال معاهدة السـادات معهم، كما أن له مغالطات وسـخريات بأمور دينية رُدَّ على بعضها في هذا المقال.

(١) صحيح مسلم (رقم ٣٠٢).
(٢) ع (٤٣٦٣٤)، ٢٧/٤/١٤٢٧هـ.
(٣) ع (٤٤١٤٢)، ٧ شوال ١٤٢٨هـ.











محمد الدسوقي تليمة

وحده والشمس اللافحة، وأنصاف بيوت، وأشجار قاتم لونها؛ جلس فتى فلسطيني في الثالثة عشرة من عمره فوق أكمة من آكام غزة، زائغ النظرات شارد الفكر، يستند بظهره إلى عمود كهرباء يرتفع فوقه عَلَم فلسطيني غير خفاق، تتجه إليه عيناه بشرودهما القاتل، يمرُّ بناظريه فيما حوله فيزداد أسى، فلا أثر لوجود حياة! فالمكان وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على الرهبة والخوف والدمار؛ فالبيوت لا تشبه البيوت في شيء، فهي أنصاف بيوت، أو بقايا بيوت، أو أنقاض بيوت. والأشجار النادرة ذهب منها اللون الأخضر ولا أثر فيها لثمر. والمخلوقات.. كل المخلوقات - إنسان أو حيوان أو طير - هجرت المكان؛ وهو نفسه لا يدري كيف جاءت به قدماه إلى هذا المكان؟ فقط.. يذكر أنه جرى سريعاً مثل طلقة مدفع، عندما قذف سيارة صهيونية بحجر كبير حطم زجاجها الأمامي، وأصاب قائدها ومن بجواره إصابات بالغة. ربما يكون الذي استوقفه ذلك العَلَم الذي يرتفع فوق عمود الكهرباء.. هو يعلم أن الصهاينة لا يطيقون رؤيته فوق أي مكان؛ لذلك وقف مستنداً بظهره إلى العمود وشرد.. هل سيواصلون؟ الحجارة هي سلاحهم الوحيد، هل يقدرون؟ العدو يملك أسلحة متطورة لا قِبَلَ لهم بها، ليكن سلاحنا الوحيد هو إيماننا بالقضية، والقضية لنا - ولكثيرين - هي المسجد الأقصى؛ قبلتنا الأولى، وعليه؛ فإن معنا السلاح الأعظم.. نصر الله.. بقي أن ننصر نحن الله، عندها سوف يغدو الحجرُ كأنه مَلَكٌ من السماء، وحينها تصبح الحجارة رؤوساً نووية بإذن الله.

ويزداد الفتى شروداً.. ترجع به الذاكرة إلى الوراء.. يتذكر حديث جده الذي توفي قبل سنوات خمس، عن عمر ناهز خمساً وتسعين عاماً، وكيف كان جده لا يفتأ يحدثه عن تاريخ كفاح الأمة وعن قوتها قبل مجيء اليهود إلى فلسطين، وكيف كان الواحد منهم يذهب إلى أي بلد عربي وإسلامي آخر ليحارب ضد أي استعمار خارجي؟ كيف أن الرجل منهم كان يذهب إلى الحرب وكأنه ذاهب إلى عرس؟! وأن جدته ودَّعت جدّه ذات مرة وهو ذاهب إلى الحرب بالزغاريد!

من عين الفتى سقطت دمعتان حارتان.. أين الأمة الآن؟ أين المجاهدون؟ إن والده استشهد منذ أكثر من عشر سنوات مع مجموعة من الفدائيين إبان قيامهم بمهاجمة دورية للعدو قتلوا فيها أكثر من ثلاثين جندياً وأصابوا الكثير، حتى إنهم كانوا ينادونه: ابن الشهيد، ماذا لو انتظم هذا العمل وقام به الكثيرون، وتنادينا جميعاً: أم الشهيد، أبو الشهيد، أخو الشهيد، أخت الشهيد، ابن الشهيد؟ كلنا في الجنة بإذن الله.

وفي ذروة هذا الشـرود يضرب الفتـى الأرض بقدميه، ويقذف بحجر صغير في يده يلقي به بعيداً، وتمنّى في نفسه ألا تـرد صورة جده إلى مخيلته، فهـي دائماً تحيطه بالحزن والكدر، وتزيد من شـقائه. وأخذ يقلّـب بيديه ما حوله من حجارة.. يمسـكها، ثم يقذف بها بعيداً. وازداد شروده، وظلّ على حالـه تلك حتى بدت في الأفق عربـة حربية صهيونية محمّلة بالجنود، اقتربت منه وهو ما زال شـارد الفكر، وبيده الحجر يقلّبه، ولم يشعر بالعربة إلا عندما اقتربت منه جداً.. يهبط منها عدد من الجنـود المدججين، ومعهم ضابط برتبة نقيب، لم يحـاول الفتى أن يعدو وهـم يقتربون منه، اقترب الضابط منـه وحده وأصدر أوامره لجنـوده أن يقفوا بعيداً عندما تأكد أن الفتى ما زال صغيراً وأعزل من السلاح.

بنظـرات قوية حادة عميقة وشـجاعة توجّه رأس الفتى ناحية الضابط الذي كان قد لفت نظره العَلَم الفلسطيني فوق عمـود الكهرباء، وكأنه قد أبصر الموت، وبدأ الغضب والتجهم يكسو محيّاه، وأخرجت عيناه شرراً، وأفرز جسده عرقاً غزيراً، وفي تحدٍّ غير معقول ولا مقبول سأل الضابطُ الفتى:

- من علّق هذا العَلَم؟!

- «أنا».. ردَّ الفتى بكبرياء شامخ، فكانت هذه الـ (أنا) مثل قذيفة انطلقت إلى جسد ذاك الضابط الصهيوني.

- «أنت؟!» في دهشة وتعجب بل في خوف قالها الضابط للفتى الشامخ.

- «أضايقك هذا العلـم؟» قالها الفتى في ثقة بادية غير آبه، وقد بدا الحجر في يديه الصغيرتين.

- قـال الضابط: أتظنون أنكم بهذه الحجارة قادرون على مواصلة انتفاضتكم؟

- قـال الفتى: إيماننا بالله ثم بالوطن هو أكبر منكم، ومن كل الذين وراءكم.. ليس فقط بهذه الحجارة، بل حتى بحفنة من تراب نلقيها فوق رؤوسكم فتعمون، عندها سوف تتحول الحجارة في أيدينا وسوف يصبح الحجرُ كأنه ملكٌ من السماء.

اندهش الضابط من حديـث الفتى وحِدَّته ونظراته التي تـزداد قوة وعنفاً إلـى درجة أرهبته واسـتولت على فؤاده، ورفع رأسـه ثانية إلى العَلَم الفلسـطيني الذي أخذ يرفرف فوق سـارية العمود، وازداد ضجره، وراح يصيح بأحد جنوده ليمزّق هذا العَلَم: اسـتوقفه الفتى: مهلاً أيها الضابط! أتريد هذا العَلَم؟ وعلى الفور أخرج من جيب سـترته اليمنى عَلَماً، وناوله للضابط.. مدّ الضابط يده اليسـرى وجذب العلَمَ من يد الفتى ورماه أسـفل حذائه ثم داسه، فما كان من الفتى إلا أن أخرج من جيبه الأيسـر عَلَماً آخـر وناوله للضابط الذي اشتاط غيظاً وضربه بعيداً تجاه عربة جنوده، الذين أسرعوا بالمجيء، واقتـرب أحدهم من الفتى وقـال: الزمْ حدَّك أيها العربي الوقح! ورفع خلفيّة سلاحه وهمَّ بضرب الفتى لولا أنه انحنى سريعاً وأمسك بحفنة تراب وقذفها في وجه الجندي.. أغمض الجندي عينيه وصرخ ثم رمى السلاح. حاول زملاؤه الاقتـراب، لـولا أن الضـابط منعهم وأمرهـم أن يذهبوا بعيـداً، واقترب من الفتى منـدهشـاً متعجباً، وتفكّر مليّاً فيما يقـال عنهم – أي: الصهاينة – من أن الانتفاضة قد سـببت انفصاماً في شـخصيتهم إنه نفسـه الآن مبهور بذلك الفتى الصغيـر، وتذكر ما تعرضه تلفزيونات وأفلام العالم من صور للجنود الصهاينة وهم يركضون خلف صبي فلسـطيني صغير ألقى عليهم حجراً ويتسابقون في تصويب بنادقهم نحوه وقتله؛ صورة شـاهدها كثيراً، صورة تحولهم إلى شـعب بلا ضمير فقد إنسـانيته، كم تعجّب عندما شاهد المستوطنين يرقصون فرحاً وهم يزفون أسرة عربية طردت من مسكنها. فجأة وهو في خضمِّ شـروده نظر إلى الفتـى.. ما هذا الذي يخرج من عينيه بحق الإله؟! إنه ليس فتـى عادياً، كأنه صلاح الدين.. هذا الاسم الذي طالما حدثه أبوه عنه. أبوه كان (مارشالاً) في الجيش الأمريكي قبل مجيئه إلى فلسـطين، وبعد استقرارهم كان يحدثه عن أرض الميعاد و (إسرائيل الكبرى!!) في فلسطين، وحكى له عن القائد المسـلم صلاح الدين، الذي قهر جحافل أوروبا وطردهم شر طردة، وقال له: «يا ولدي! إن لم يظهر في المسلمين صلاح الدين مرة أخرى؛ فإن القدس ستظل عاصمة اليهود، لو ظهر..!! أقسم إنه لن تقوم لنا قائمة».

هكذا تذكّر الضابـط، وتداعت إلى خاطره أحاديث أبيه، وصور المهانة الصهيونية بسـبب الانتفاضة، وهو ماكث أمام الفتى كالصنم لا يتحرك، مثل شـخص منوَّم، وكأن مع الفتى عصا سحرية سيطر بها عليه. ثم قال مخاطباً أباه: «يا والدي! لا سعدت في مسـتقرك... فها هو ذا صلاح الدين يعود في (العرب) ومعه ألف صلاح الدين، ولن تقوم بعد اليوم لنا قائمة هنا، وضميرنا يدفن كل يوم، وهذا محور انتصارهم؛ فمن يفقد ضميره يفقد نفسه وبصيرته، إنها يا أبت! فلسفة الانتفاضة، تعلّمناها نحن ولم يتعلمها (العرب والمسلمون)، ومعذرة يا أبت! فأنا لن أسـتطيع أن أقهر التحـدي في عيني هذا الفتى ولن أستطيع أن أقتله».



الإعلان الإسلامي
المفهوم - الأنواع

حسن الأشرف
achraf9@maktoob.com

• **مفهوم الإعلان:**

الإعلان اصطلاحاً: وسيلة غير شخصية لتقديم الأفكار أو السلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة مقابل أجر مدفوع. وهو فن يعتمد على الإغراء، إغراء الأفراد والجماعات المستقبلين سواء منهم الحقيقيون أو المحتملون، كما أن الإعلان عموماً يُعدّ نشاطاً اتصالياً متكامل الأركان، فهو يتكون من رسالة معينة تحمل مضموناً محدداً برموز معينة يصدرها طرف وتستقبلها أطراف أخرى. وتقصد الرسالة الإعلانية تأثيراً معيناً على الفرد المستقبل. وتختلف وسائل الإعلان باختلاف وسائل الاتصال من إذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات ودوريات ووسائل أخرى متنوعة. والإعلان بصفة عامة هو نشاط اقتصادي تأثيري يجمع بين المنتِج والوسيط والجمهور المستهلك. ومخطئ من يعتقد أن الإعلان نشاط سهل أو اعتباطي، إنما هو فن وصناعة مركبة تحتاج قدرات تقنية وعلمية وفنية حتى يكون الإعلان ناجحاً ويؤدي وظائفه التي من أجلها تم إيجاده.

• **رؤية إسلامية للإعلان:**

هل هناك رؤية إسلامية للإعلان؟ وهل هناك إعلان إسلامي بهذا المفهوم العام؟

والجواب إيجابي طبعاً: نعم! هناك رؤية إسلامية تأصيلية للإعلان، ويمكن البدء بأحد النصوص النبوية الشريفة؛ فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه مرَّ ذات يوم على صبرة طعام في سوق المدينة فأدخل يده الكريمة فيها فوجد فيها بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» أجابه: أصابته السماء يا رسول الله! فقال له رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس! من غشَّنا فليس منا».

ومن خلال هذا الحديث الشريف يتبين لنا كيف ينظر الإسلام إلى الإعلان، فالرجل البائع كان يعلن عن سلعته بطريقة غير سليمة فيها تمويه وزيف وخداع. والرسول - عليه الصلاة والسلام - لما وجد البلل أسفل السلعة والجافة فوق أنكر على البائع طريقته في الإعلان عن سلعته بحيث أمره أن يجعل المبلل فوق الطعام حتى يطَّلع عليه الناس كلهم ولا ينخدعوا بالمظهر البراق. وهذه هي الطريقة الأصوب في الإعلان عن سلعة ما. بمعنى آخر: يحظر الإسلام الإعلان عن سلعة بسبل ملتوية فيها غش وخداع.. كما أن الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - نهى كل بائع أن يمدح بضاعته أكثر من اللازم بحيث يغدق عليها أوصافاً لا تتوفر عليها في الواقع، وهذا تدليس ينهى عنه الإسلام، بل إن هناك كثيرين ينغمسون في كثرة الحلف والأيْمان قصد بيع بضائعهم، فالرسول ﷺ يقول: «إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ إنه يُنَفِّق ثم يمحق». والواقع الحالي يُظهر لنا مدى المدح الزائد بل غير اللائق وغير الشرعي الذي يرافق الإعلانات

التي نراها اليوم ونشاهدها على شاشات التلفاز وصفحات الجرائد والمجلات وفي المحلات التجارية وغيرها، إعلانات متنوعة تصيب المشاهد بالدوار من فرط كثرتها ومن طرائق إخراجها التي ضاهت تقنيات الإخراج السينمائي وفنيات الإغراء وأشكال الزينة، وهو ما يؤثر سلباً على المتلقي. أما الإعلان في حد ذاته فلم يسبق في علمنا المتواضع أن رسول الله ﷺ حرَّمه هكذا لذاته، بل ما نهى عنه هو أن يكون الإعلان عن السلعة أو البضاعة وإشهارها بالطرق الملتوية والتحايل والتزييف، وغيره.

• الدواعي:

لكن رُبَّ سائل يقول: وما الداعي إلى وجود هذا الإعلان الإسلامي؟

والجواب يكمن في أن هناك مبررات عديدة لصياغة إعلان إسلامي يحترم الفرد والجماعة، فهناك مبررات شرعية وأخرى دعوية واقتصادية أيضاً. لكن قبل عرض هذه المبررات ينبغي أولاً تحديد مفهوم الإعلان الإسلامي.

إن الإعلان الإسلامي هو نشاط اتصالي غير شخصي وإبداع فني مشروع يعتمد على الوضوح في عرض المنتج مع الإفصاح عن طبيعة وشخصية المنتج حتى يستقبلها المتلقي مرتاح البال، فلا يشوش عليه مدح زائد أو إطراء فاضح. والأهم من هذا وذاك في الإعلان، من المنظور الإسلامي، هو أنه لا يدعو إلى حرام.

كتب الأستاذ أحمد عيساوي يقول: «الإعلان الإسلامي نشاط اقتصادي مشروع يتكيّف وفق صيغ الحكم الشرعي للمكلَّفين؛ فهو حرام في مواضع الحرمة وهو حلال في مواضع الحل، وهو واجب في مواضع الوجوب، وهو مكروه في مواضع الكراهة، ومندوب في مواضع الندب. ثم إن الإعلان الإسلامي نشاط اجتماعي وثقافي وتربوي وتعليمي ينسجم مع واقع وثقافة وقيم ومرجعية الجمهور المسلم؛ بحيث لا يجوز بأي حال من الأحوال الإعلان عن أمر يخالف معلوماً من الدين بالضرورة أو شيئاً منهياً عنه أو حتى في دائرة المكروهات..».

إن الدواعي لقيام وجود إعلان إسلامي بحيثياته ومرجعياته الدينية كثيرة يمكن حصرها في المبررات الشرعية التي بإمكانها ضبط عملية الاتصال بين المرسِل والمرسَل إليه من خلال الرسالة الإعلانية والوسيلة الإعلانية أيضاً. وهناك دواع تنموية باعتبار أن هذا الإعلان الإسلامي إذا ما تمت صياغته فسوف يكون لبنة أساسية في بناء صرح الإعلام الإسلامي الذي لم يتكامل بناؤه كلياً إلى اليوم باستثناء قنوات فضائية وبعض الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت التي تساهم بشكل فعال في بناء هرم الإعلام الإسلامي، وتؤدي دورها الرسالي والدعوي بغية حماية الأمة الإسلامية من منزلقات الإعلان الغربي الخطير وتأثيره على الجمهور المسلم، وما قنواتهم التلفزيونية إلا خير دليل على ما يقدمونه من تحلل وتفسخ للقيم والأخلاق.

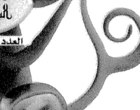
وهناك مبرر هام آخر لوجود الإعلان الإسلامي ألا وهو ضرورة ملء الساحة الإعلامية والإعلانية في الوطن العربي والإسلامي بمادة الإعلان الإسلامي المتكامل صورة وفنية ورسالة وإبداعاً وذوقاً، بحيث يخلِّص الجمهور الإسلامي من مخاطر تبعية الإعلان الغربي والأمريكي، وخير مثال يمكن إيراده في هذا الباب قوله ـ تعالى ـ في سورة الحج: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ..﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨]. إن الأذان بالحج هو في الأصل إعلان عن بداية موسم الحج، ويمكن أن يرافق هذا الإعلان إخبار وإعلام بالمعاملات والإجراءات والفوائد التجارية وتبادل السلع المادية المواكبة لموسم الحج، وهذه من المنافع التي تحدثت عنها الآية الكريمة، ويمكن إضافة الإعلان عن شركات الطيران وأسعارها وخدماتها، وعن البنوك الإسلامية وتعاملاتها المالية، وعن أماكن الإقامة من فنادق وغيرها، وهذه من وظائف الإعلان الإسلامي؛ فمتى يكون لدينا إعلان إسلامي متكامل البناء والتصور؟ سؤال نطرحه على ذوي الاختصاص.

• أنواع الإعلان الإسلامي:

ويحدد أهل الاختصاص أنواع الإعلان الإسلامي فيما يلي:

١ - الإعلان السلعي: وهو الإعلان الذي يهدف بالأساس إلى تعريف الجمهور المسلم وغيره بالسلع المحلية والوطنية الإسلامية، وطرق استخداماتها، وفوائدها، ومزاياها، بقصد إقناعهم بالإقبال عليها واقتنائها، وهو قسمان:

أ - الإعلان السلعي الخاص: وهو الإعلان الخاص بفئة معينة من جمهور المستهلكين تكون محددة الانتشار؛ كجمهور الأطباء، والمهندسين، والفنيين. ويسمى هذا النوع بالإعلان



السلعي الطبقي، أو الإعلان السلعي الخاص.

ب - الإعلان السلعي العام: وهو الإعلان الذي يتوجه إلى فئات كبيرة من المجتمع دون مراعاة لجنسهم، ولمكانتهم، ولمستواهم المالي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي؛ كالإعلان عن السلع الغذائية، والاحتياجات الضرورية؛ كالخدمات العامة للغاز، والمحروقات، والكهرباء، والماء، والهاتف.

٢ - الإعلان الدولي (العالمي): وهو الإعلان الذي يتوجه عبر القنوات الفضائية الكونية مخترقاً الحدود القطرية، معرِّفاً جمهور المستهلكين العالميين بالسلع، أو الخدمات، أو التسهيلات، أو المنشآت الإسلامية.

٣ - الإعلان الوطني: وهو الإعلان الذي يتوجه بالأساس إلى حدود دائرة وطنية واحدة وفي قطر بعينه، بهدف تعريف المواطنين الأصليين والمقيمين معاً بالسلع، أو الخدمات، أو التسهيلات، أو المنشآت. وهو أكثر أنواع الإعلانات ذيوعاً وانتشاراً.

٤ - الإعلان المحلي: وهو الإعلان الذي يتوجه إلى دائرة جغرافية معينة ومحدودة في القطر، وعادة ما يهدف إلى الترويج للسلع المحلية، أو يعرض لمنتجات جهوية محلية، أو يعرِّف بخدمات وتسهيلات معروفة في إطار الحيز الجغرافي الجهوي فقط.

٥ - الإعلان الأولي: وهو الإعلان الذي يهدف بالدرجة الأولى إلى التعريف والترويج معاً للسلع أو الخدمات المحلية والوطنية، بغضِّ النظر عن السلع أو الخدمات المنافسة لها في السوق المحلية. وهدفه الرئيس التعريف والترويج وليس المنافسة.

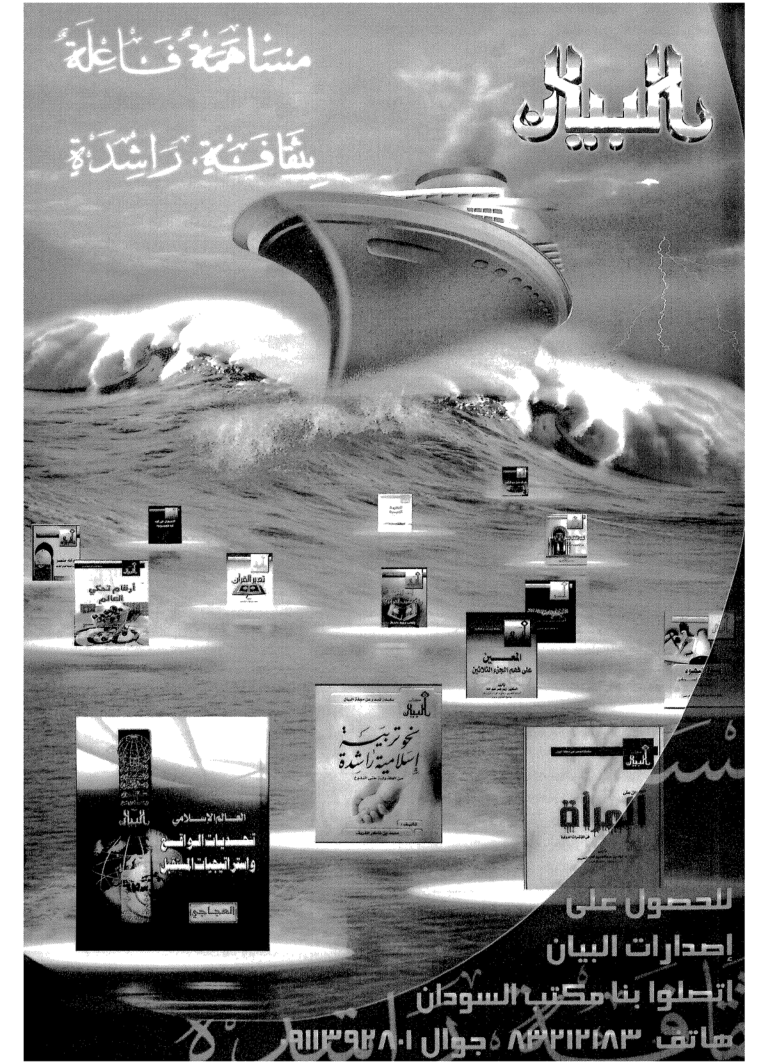
٦ - الإعلان الاختياري: وهو الإعلان الذي يهدف بالأساس إلى إحداث التأثير الفعال في الجمهور المستهلك؛ لتحويل قطاع كبير منهم عن السلع أو الخدمات أو المنشآت الأخرى المعلن عنها، والمنتشرة بكثافة في السوق؛ ويبقى هدفه الرئيس التأثير والتحويل.

٧ - الإعلان التعليمي: على الرغم من أن سائر أنواع الإعلانات تتضمن جوانب تعليمية وتربوية وتثقيفية مهمة عن السلع أو الخدمات أو التسهيلات أو المنشآت؛ فإن الإعلان التعليمي يصمم خصيصاً لتعليم قطاع كبير من الجمهور المستقبِل، وذلك لإفادتهم بطرق الاستخدامات المتنوعة للسلعة، ولتفهيمهم بالنتائج الإيجابية الناتجة عن إقبالهم على السلع أو الخدمات أو التسهيلات التي تقدمها الجهة المعلنة. ويبقى الهدف الرئيس لهذا النوع من الإعلانات هو التعليم وإكساب الخبرات المختلفة للجمهور.

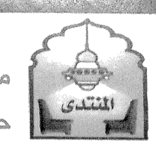
٨ - الإعلان الدعائي (الإعلامي): وهو الإعلان الذي يهدف بالأساس إلى تكوين انطباع طيب وإيجابي لدى جمهور المستهلكين، وذلك بهدف كسب ودّهم وميولهم نحو ما يعلن عنه من سلع أو خدمات أو تسهيلات أو منشآت، ولمحاولة تكوين رأي عام منسجم ومتعاطف يتفق وعقيدة وتصورات وأفكار وقيم المعلن؛ لتصحيح تصور أو فكرة خاطئة، أو محاولة تثبيت أخرى مكانها. وهذا النوع هو أخطر أنواع الإعلانات إطلاقاً؛ لأنه يمزج الإعلان بالدعاية وأنواعها الكثيرة، ولا سيما الدعاية التأثيرية منها، دون مراعاة لمزايا السلع أو الخدمات أو التسهيلات أو المنشآت، ومدى فائدتها وإيجابياتها.

ومع ذلك يمكن للدعاية الإسلامية استثماره وتسخيره على وجهه البنائي الصحيح، فيتوجه أساساً إلى التعريف بمزايا السلع والخدمات والمنتجات الإسلامية، ويعمل على تشجيع الجمهور المسلم خاصة وغير المسلم عامة؛ للإقبال عليها دون غيرها من المنتجات، والسلع المستوردة. وهو بذلك يؤدي أفضل وظيفة إعلامية ودعائية وإعلانية.

٩ - الإعلان التحذيري: ويهدف هذا النوع من الإعلانات بالدرجة الأولى إلى التحذير ولفت الانتباه إلى وجود نوع مزيف أو مغشوش من السلع، أو نوع غير حقيقي يحمل العلامة الفارقة للمؤسسة أو المنشأة، ولكنه مزوَّر وغير صادر عن المؤسسة نفسها؛ وذلك لإيجاد حالة من الانتباه الدائم والحذر تجاه الأنواع المزيفة. وعادة ما يتضمن هذا الإعلان بعداً تعليمياً ودعائياً واضحاً، وذلك بقصد تنبيه الجمهور وتحذيره وكسب ثقته، وتقديم البدائل الإيجابية له. ويمكن لهذا النوع من الإعلانات أن ينتشر ويمتد في الحياة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي بعد مرحلة التغيير الشاملة، عندما تستطيع المؤسسات الإسلامية تغطية كافة احتياجات الفرد والمجتمع المسلم. وهذا بعد قيام النظام الاقتصادي الإسلامي العالمي المنشود، وبعد سيادته المطلقة محلياً، وإقليمياً، وعالمياً، وبعد أن يمتد أيضاً في الواقع العملي المعيشي، وبعد أن يمكّن لتقاليد اقتصادية إسلامية عتيدة، ويؤصل لعلامات تجارية فارقة (ماركات) إسلامية. ويستخدم هذا النوع من الإعلانات - الآن - في بعض المجتمعات الإسلامية عبر مختلف الوسائل الإعلانية والإعلامية والدعائية؛ لتحذير الفرد والمجتمع المسلم من أخطار المخدرات، والتدخين... إلخ من الانحرافات.



البيان
مساهمة فاعلة
ثقافة راشدة
أرقام تحكي العالم
تدبر القرآن
المعين على فهم الجزء الثلاثين
نحو تربية إسلامية راشدة
المرأة
العالم الإسلامي
تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل
العجاجي
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان
هاتف ٨٣٢١٢١٨٣ جوال ٠٩١٢٣٩٢٨٠١



ماذا بعد حفظ القرآن؟!

القرآن منهاج حياة المسلم، وكان خلق نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - القرآن.

ينبغي أن يُعرف حافظ القرآن بطهارة لسانه من الغيبة ومن البذاءة، وبنقاء قلبه، وبسمو خلقه في تعامله مع الناس، وباهتمامه بإخوانه المسلمين. يقول عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه -: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس فرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخلطون، وبخشوعه إذ الناس يختالون. وقال الفضيل: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو؛ تعظيماً لله، تعالى.

وعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً. وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: لقد عشنا برهة من الدهر، وإنَّ أحدَنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فنتعلم حلالَها وحرامها، وزواجرها وأوامرها، وما يجب أن نقف عنده منها. ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمرُه ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل.

إذن؛ فالواجب علينا أن نحرص على تهذيب أخلاقنا كما نحرص على حفظ كتاب الله، عز وجل.

لبنى شرف

المسلمون في السماء!

كلما رفعت بصري نحو السماء وجدت الدعاة والمسلمين العاملين..!

في أي ساعةٍ من نهار، وفي أي قطعة من ليل، وفي أي أرض كنت..

لا تستغربوا هذا الذي أقول، وارفعوا أبصاركم: هل ترون غير المسلمين؟ ثم ارجعوا أبصاركم مرة أخرى.. ماذا ترون؟

الشمس..؟ ما أشبه الشمس بالمسلم! فإن (المسلم يعيش حياة كالشمس، يغرب من جهةٍ ليشرق من جهةٍ أخرى.. فهو دائم الإشراق والحياة لا يغيب)، كما يقول مفكر باكستان وشاعرها العظيم محمد إقبال.

وهل هناك مثال أجلى للمسلم من السحاب؟ يراه الناس مقبلاً فيستبشرون ويهللون، فيهطل عليهم بالخيرات ويجود عليهم بالبركات، يُقبل بالأمل والحياة، وينصرف وقد رسم الابتسامة على كل وجه..

والطيور..؟ نحن الطيور يا صاحبي! نحن المرتفعون عن الدنايا، الطيور منَّا ونحنُ منها، ألم تسمع بطير الأبابيل..؟

والقمر..؟ نحن الأقمار، نحن الضياء إذا رحلت الشمس، بهذا أنشد يوسف القرضاوي في شبابه:

أنا مسلمٌ هل تعرفون المسلما؟
أنا نورُ هذا الكون إن هو أظلما
أنا في الخليقةِ ريٌّ من يشكو الظَّما
وإذا دعا الداعي أنا حامي الحمى

نحن ريٌّ من يشكو الظما، إنها الأمطار التي كنَّا نتحدث عنها.. ألم أقل لكم إن المسلمين في كلِّ السماء؟

والنجوم..؟ ومن أحق منَّا بأن يكون نجماً؟ يقول ربي: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦] ؛ فبمن يهتدي العالم اليوم؟ وبمن يقتدي؟

لا أحب أن أسمع الجواب؛ لأنه سيكون بعيداً جداً ومغايراً تماماً لما يجب أن يكون، والذي يجب أن يكون النجم هو المسلم العامل، والداعية الباذل.

حمزة كاشقري
hmzmz@hotmail.com

الخطأ الفادح

كلٌّ ينادي بالتغيير والإصلاح، ومنهم من ينادي بتطبيق الشريعة الإسلامية لإصلاح الحال.

ينبغي ألا يُنظر إلى تطبيق الشريعة على أنه إحلال قوانين بدل أخرى، فيقوم بعضهم بالتحايل عليها ومعاملتها مواد قوانين مجردة يتلاعب بها المحامون والقانونيون ويفسرونها كما يشاؤون، بل تطبيق الشريعة هو شعور المسلم أنه عبد لله - تعالى - فينقاد لحكمه ويستسلم لشرعه؛ شعورٌ ينبع من قلبه، فلذلك تجده يراقب الله في السر والعلن ويقدس حكم الشرع، فهو تطبيق لحكم الله على عباد الله في أرض الله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وإن كانت هناك تفاصيل في كيفية تطبيق الشريعة (كالتدرج في تطبيقها وغيره)؛ فلا بد من سؤال أهل العلم في ذلك؛ عملاً بقوله - تعالى -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، ولكن الأصل هو تقديم تطبيق الشريعة على أنه استسلام وانقياد لأوامر الله وشرعه حتى يكون الدين كله لله، فيشعر بذلك الحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة، والكبير والصغير على أنه عبد لله، فعليه أن يطبق حكم الله في كل شيء من حياته، ويقدس ما جاءه من الله، تعالى. وإن عجز عن شيء؛ فإنه يسأل الله - تعالى - العون، ويسعى جاهداً في تحصيله عملاً، بقوله - تعالى -: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

خالد بن صالح
ksmksmg@hot mail.com

الرفق بالحيوان.. حضارة إسلامية أم حضارة غربية؟

يظن كثير من الناس أن فكرة الرفق بالحيوان والإحسان إليه والعناية به؛ وُلدت في أحضان المدنية الغربية الحديثة.

والحقيقة التي تغيب عن الأذهان أننا نحن معشر المسلمين نملك رصيداً تراثياً أصيلاً من هذه النزعة الإنسانية.

ومن ذلك ما رواه عبد الرزاق أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر برجل يسحب شاة من رجلها ليذبحها، فضربه عمر بالدرة (عاقبه من أجل إيذاء الحيوان)، وقال له: ويلك! قُدْها إلى الموت قَوْداً جميلاً! أي: خذها برفق ورأفة ومهل.

وهذا عمر بن عبد العزيز يصدر مرسوماً إلى حكام الأقاليم ورؤساء الإدارات في أنحاء الدولة الإسلامية كافة، يُلزمهم بكف الناس ومنعهم من إركاض البهائم واستعجالها في المشي، أو إرهاقها بالإسراع المتلاحق دون الحاجة أو الموجب، ومنعَ صاحبَ الحيوان من تحميله فوق طاقته.

وكذلك أحاديث النبي ﷺ جعلت دخول امرأةٍ النارَ بسبب الإساءة إلى هرة، ودخول تلك البغيّ من بني إسرائيل الجنةَ بسبب الإحسان إلى كلب.

كما كان هناك إلى عصر قريب في بعض المدن الإسلامية مثل: دمشق، وحلب، وحمص؛ أموال توقَفُ من أجل إيواء القطط المريضة والجريحة والمكسورة ومعالجتها ورعايتها، تمر بنفسه بتلك الأماكن مصادفةً أو يأتي بها الناس إليها، فتجد فيها من موظفين خاصين كلَّ رعاية واهتمام وعلاج وتطبيب!

لكن كل هذا الاهتمام والرعاية للحيوان لا يكون أبداً على حساب الإنسان كما هو حاصل في المجتمعات الغربية؛ من صرف المبالغ الباهظة من أجل كفالة قطة أو كلب؛ في حين نرى بالجوار من لا يملك أدنى حاجيات الحياة من البشر، الذين يعيشون على هامش الحياة.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

د. عبد الرحمن صهيب عبد الرحمن العاله

حجاب ولكن!

الحجاب فرض من الله تعالى؛ ولكن ما معنى «حجاب»؟

وهل ما تلبسه بعض المسلمات اليوم يعد حجاباً شرعياً، أم شيئاً آخر؟

ذُكرت في كتب الفقه مواصفات الحجاب الشرعي للنساء، وهي: أن يكون طويلاً واسعاً فضفاضاً، يغطي جميع البدن، لا يصِف ولا يشِفّ، وألا يكون زينة في حد ذاته، وألا يكون ثياب شهرة، وألا يكون فيه تشبه بالكافرات، واختُلِف في تغطية الوجه والكفين. فكل لباس يتصف بهذه المواصفات يعد حجاباً شرعياً، وكل لباس لا يتصف بهذه المواصفات لا يعد حجاباً شرعياً. فاللباس الذي يصف حجم أعضاء المرأة، ويظهر زينتها ومفاتنها، ويزيد المرأة جمالاً وبهاء، ويلفت أنظار الرجال إليها؛ لا يعد حجاباً شرعياً. والمرأة بهذا اللباس لم تُعِن الرجال على أن يغضُّوا من أبصارهم، بل فتنتهم؛ وقد تتعرض هي نفسها بلباسها هذا للأذى والضرر من أهل الريبة والفسوق، يقول - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

يقول الإمام الألوسي: «ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها؛ ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن، وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان، وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون. وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك، ومشيهن به بين الأجانب؛ من قلة الغيرة، وقد عمت البلوى بذلك».

هذا في زمان الإمام الألوسي؛ فماذا تراه يقول عن نساء زماننا؟!

أما من لا ترتدي الحجاب أصلاً من المسلمات؛ فأقول لها: إن هنالك نساء مسلمات يخرجن في مظاهرات واعتصامات، ويرفعن الشعارات؛ لأنهن مُنِعن من ارتداء الحجاب. أما أنت فتختارين التبرج بكامل حريتك.. مفارقة عجيبة! فلتعلمي أيتها المسلمة! أن عزتك وكرامتك لن تكون إلا بحجابك وبطاعتك أمر ربك، ثم ليقل الناس ما يقولون.

فليقولوا عن حجابي ... لا وربي لن أبالي
قد حماني فيه ديني ... وحباني بالجلالِ
زينتي دوماً حيائي ... واحتشامي هو مالي
ألأني أتولى ... عن متاعٍ لزوالٍ؟!
كم لحتُ اللومَ منهم ... في حديثٍ أو سؤالٍ!

فاتقي الله - أختي المسلمة - في حجابك، واتقي الله في لباسك أمام النساء والمحارم، واتقي الله في الرجال من حولك، وأعينيهم على أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ويضبطوا غرائزهم وشهواتهم، ولا تكوني مفتاح باب الفاحشة والرذيلة، ولكن كوني مفتاح باب الطهر والفضيلة، فهذا خير لك في دينك ودنياك، وخير للأمم والمجتمعات.

جعلنا الله ممن يقرأ ويسمع فيعي، ويعلم فيعمل.

لبنى شرف - الأردن





أهل الاجتهاد والنصوص

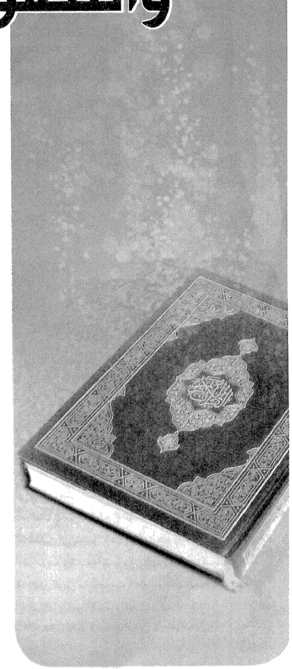
يسري عبد الغني عبد الله(*)
Ayusri_a@hotmail.com

موقف أهل الاجتهاد من النصوص الشرعية:

من الواجب علينا شرعاً اتباع القرآن الكريم والحديث النبوي المطهر وما أجمع عليه أهل الاجتهاد، وتلقّيه بالسمع والطاعة. وصدق الله - تعالى - إذ يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقد ثبتت في السنة الشريفة عصمة هذه الأمة من الخطأ والضلال، كقوله ﷺ: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة»[١]، وقوله ﷺ: «من سره بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة»[٢]، وأيضاً قوله ﷺ: «من فارق الجماعة قيد شبر؛ فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع»[٣]، وغير هذا كثير مما تواتر نقله عن الثقات، وإذا لم يكن متواتراً باللفظ فهو متواتر بالمعنى.

وإذا كانت العادة تفيد استحالة أن يجتمع كل أهل الاجتهاد في عصر من العصور على حكم معين ويجزموا به جزماً قاطعاً، ولا يكون لهم من القرآن الكريم أو السنة



(*) كاتب وباحث في الدراسات العربية والإسلامية.

(١) المستدرك للحاكم، رقم ٣٦١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني.

(٣) الترمذي، رقم ٢٧٩٠.

النبوية الصحيحة مستند قاطع بنوا عليه إجماعهم، كما أنه من المحال أن يكونوا مخطئين في إجماعهم ولا يتنبه واحد منهم إلى الخطأ؛ فما اتفقوا عليه إذاً صوابٌ مستندٌ إلى دليل من الكتاب أو السنة؛ فيكون العمل به واجباً علينا.

نقول: من المشهور المتداول أنه «لا اجتهاد مع النص»، وقد يقصدون بالنص هنا آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة.

وحقيقة الأمر أن المجتهد إذا تلقّى النص القرآني أو النبوي؛ فعليه تجاهه واجبان مهمان:

الواجب الأول: تدقيق النص:

على المجتهد أن يقطع أو يطمئن كل الاطمئنان إلى أن النص صدر عن الشارع فعلاً. فإن كان النص قرآنياً؛ فهو متواتر كله بجميع ألفاظه وحروفه إلا القراءات الشاذة، ويجب الإيمان به والتعبد بتلاوته، والعمل بأحكامه.

وإن كان حديثاً؛ فمنه المتواتر لفظاً ومعنى، وهذا يجب قبوله بلا بحث أو اجتهاد؛ للقطع بصدوره عن النبي محمد ﷺ، كالحديث الذي نعرفه جميعاً: «من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وأما ما كان غير متواتر فيبحث فيه المجتهد؛ فإن اطمأن بغالب الظن إلى صدوره عن الرسول ﷺ، أي أنه حديث صحيح أو حسن؛ فقد وجب عليه وعلى مَنْ بلَغَه الحديث المقبول أن يعمل به. أمَّا إذا كان الحديث ضعيفاً في نظره؛ فلا يجب العمل به، اللهم إلا ما كان حثاً على فضائل الأعمال، وقد رأى بعض العلماء العمل به بجملة من الشروط، وما سواه فلا.

وأما الحديث الموضوع فليس بحديث أصلاً، وتحرُم روايته فضلاً عن العمل به، إلا للتنبيه على أنه حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ.

وعليه؛ فالاجتهاد مطلوب لتوثيق النص النبوي وتدقيقه وتحقيقه، وإظهار صحته أو حُسْنه قبل العمل به.

الواجب الثاني: البحث في دلالة النص ومعناه:

على المجتهد أن يبحث في دلالة النص ومعناه ما لم يكن مردوداً ضعيفاً، وعليه أن يتنبه إلى ما يستفاد منه من أحكام؛ فإن دلالة ألفاظ القرآن الكريم على معانيها قد تكون قطعية؛ كدلالة كل عدد على مدلوله الخاص، كما في قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤].

وقد تكون ظنية؛ كدلالة القُرْء على الحيض أو على الطُّهر في قوله - تعالى -: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فأما المتواتر نقله من النصوص؛ فهو قطعي الثبوت. فإن كان أيضاً قطعي الدلالة على معناه؛ فليس للمجتهد أو لأي مكلَّف إزاءه إلا أن يطيعه ويعمل بما فيه، وهو ما يصدق عليه حقاً قولهم: لا اجتهاد مع النص.

أما بالنسبة للنص الظني الثبوت أو الدلالة؛ فالاجتهاد من خلال تحقيق ثبوته وتحديد معناه؛ مجال يختلف فيه الفقهاء، ويمكن لمن له أهلية النظر والاجتهاد أن يعيد النظر فيه، إلا ما أجمع عليه المجتهدون في عصر سابق، هنا يمتنع إحداث قول جديد يخالف كل ما قالوه.

وأما العمل في إطار ما اتفقوا عليه؛ فهو واجب على كل مكلَّف، واضعين في الحسبان أن الاجتهاد ليس باباً مفتوحاً لكل من هب ودب، ولكن للفقهاء والعلماء الذين درسوا علوم الدين الإسلامي دراسة شاملة مستفيضة، وحصلوا على قسط وافر من العلوم والمعارف، وتدربوا على النقد والتمحيص والاجتهاد، وعرفوا جيداً أصول الدين وقواعده. والدين علم؛ فلا يصح أن يأتي من لا يعرف هذه الأصول وتلك القواعد فيتصدى للإفتاء أو الاجتهاد؛ فإن هذا يثير البلبلة والفتن والقلاقل بين الناس.

الأحكام الفقهية الاجتهادية المختلَف فيها:

غني عن البيان أن التراث الفقهي يتضمن أحكاماً لا محل للخلاف فيها؛ لكونها قطعية من حيث الثبوت والدلالة؛ أو لاتفاق المجتهدين كافة في عصر من العصور عليها.

ويتضمن هذا التراث أيضاً أحكاماً اختلف فيها

(١) رواه البخاري ومسلم.

المجتهدون بحسب ما غلب على ظن كل منهم بشأن ثبوت الدليل المتعلق بها أو معناه، ومن ثم عرّفوا الفقه بأنه «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسَبة من أدلتها التفصيلية».

وهذا النوع الثاني من الأحكام لا يلزم المجتهد ولا يجب عليه العمل به؛ إذ واجبه العمل بما يؤديه إليه اجتهاده. فإن وافق اجتهادُه اجتهادَ غيره؛ عمِل به ولا ضرر ولا ضرار في ذلك، وهو في الحقيقة يعمل باجتهاد نفسه.

وإن كان استنباطه من الدليل، سواء كان نصاً قرآنياً ظني الدلالة، أو كان نصاً ثبوتياً ظني الثبوت أو الدلالة، أو كان دليلاً آخر غير نصّيٍّ كالقياس أو الاستصحاب أو الاستحسان أو المصلحة المرسلة، أو نحوها. نقول: إن استنبط المجتهد من مثل هذا الدليل حكماً مخالفاً لما استفاده أو استنبطه غيره من أهل الاجتهاد؛ وجب عليه العمل بما يؤديه إليه اجتهاده.

أما الجمهور من الناس وأفرادهم من غير أهل الاجتهاد؛ فمن واجبهم العمل برأي أيٍّ من المجتهدين الذين يوثق بعلمهم ودينهم.

أما الخروج عن المذاهب المعتبَرة جميعها إلى قول لم يقل به فقيه مجتهد؛ فهو عمل بالهوى ومخالفة للشرع. وعلينا أن نسأل أهل الذكر المشهود لهم بالعلم والمعرفة والأمانة والاعتدال والصدقية فيما يعنُّ لنا من أمور لا نعلمها، وألا نلجأ إلى الأدعياء الذين لم يدرسوا الدين دراسة علمية منهجية بأصوله وقواعده.

وكما يقول الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات): «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراجُ المكلَّف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبدٌ لله اضطراراً».

والدليل على ذلك عدة أمور:

١ - النص الصريح الدال على أن العباد خُلقوا ليعبدوا الله حق العبادة، وليدخلوا تحت أمره ونهيه عن طواعية تامة وكاملة، كقوله - تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾.

[الذاريات: ٥٦ - ٥٧]

٢ - ما دل على ذم مخالفة هذا القصد وذم مَنْ أعرض عن الله، كما في قوله - تعالى -: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

٣ - ما عُلم بالتجارب والعادات من أن مصالح الناس الدينية والدنيوية لا تحصل مع الاسترسال في اتباع الهوى.

ويمكن أن ننتهي من ذلك إلى قاعدة شرعية كلية هي «أن كل عمل كان المتّبَع فيه الهوى بإطلاق - من غير التفات إلى الأمر أو النهي أو التخير - فهو باطل بإطلاق».

عند الاختيار:

ومن ثم؛ اشترط العلماء عند الاختيار بين هذه البدائل أن يُراعَى في الترجيح بيْنها أمران:

الأمر الأول:

إيثار الرأي الأقوى دليلاً، وتحرِّي مقصد الشرع، وما الأوفق للنصوص الشريفة وأهدافها.

الأمر الثاني:

ما هو أكثر عوناً على تحقيق مصالح المسلمين المشروعة في المكان والزمان المعينين.

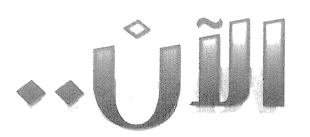
وهنا نحب أن نؤكد أن الشريعة الإسلامية لا تُغْفِل العُرف أو العادة تماماً، ولكنها تقسم العرف إلى قسمين:

أ - عُرْفٍ فاسد يصادم النصوص الشرعية الثابتة ومدلولاتها؛ فهذا ينبغي عدم العمل به، وإلا حكَمنا بالهوى وخالفنا حكم الله - تعالى - وحكم رسوله ﷺ الذي هو الرحمة المهداة، وفي ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.

يقول - تعالى -: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

ب - عُرْفٍ صحيح يشهد له الشرع، أو لا يخالف نصوص الشرع أو مقاصده التي هدفها صالح الناس وخيرهم، وهذا لا بأس بمراعاته، بل إن الشريعة تعتد به، وتبني بعض الأحكام عليه، كما هو معلوم، وقد أفرد له بعض الفقهاء أبواباً خاصة في كتبهم الفقهية، واهتموا به وبدراسته، مثل: ابن عابدين في حاشيته، وغيره من العلماء.




الآنْ..



النكاية في الإسلام

.. تحديات جديدة

جمال سلطان

الظاهرة الملفتة للنظر في السنوات الأخيرة هي تنامي محاولات النَّيْل من الإسلام عبر وسائل إعلام بصورة لا تخفي رغبتها في الاستفزاز والإثارة، وكأنما هناك تخطيط وقصد محدد لإثارة مثل هذه الموجات وتحريكها على مدَد متقاربة.

وعلى الرغم من إبداء حكومات غربية ومنظمات ومؤسسات دولية قلقها من انتشار مساحة العنف والغضب في أنحاء كثيرة من عالم اليوم، على خلفية الصراعات الدينية أو الطائفية أو المنطلقة من رؤى دينية، بما يفرض - نظرياً - التوجه إلى (تبريد) أي سخونة أو مبررات الانفعال في هذا الاتجاه؛ إلا أن الذي يحدث هو عكس هذا التصور ومن تلك الحكومات ذاتها؛ فكأنما هناك توجه إلى المزيد من الإثارة والمزيد من الاستفزاز. والمثير للدهشة أن الكثير من هذه الإثارة وذلك الاستفزاز يأتي من دوائر غربية؛ هي ذاتها التي تشتكي من خطورة تنامي العنف والكراهية الدينية والعنصرية في عالم اليوم!

في مراحل سابقة كانت الظاهرة تنحصر في تبنِّي جهات غربية لشخصيات منتسبة إلى العالم الإسلامي ممن يتعرضون بالطعن أو الإساءة إلى الإسلام ومقدساته أو إلى المسلمين ومجتمعاتهم، وظهرت في هذا الإطار قصة (آيات شيطانية) للكاتب الهندي الأصل سلمان رشدي، وهي التي أثارت موجة واسعة من الغضب حينها، وصدرت فتاوى عنيفة لا يعرف أحد حتى الآن ماذا كان القصد منها والفائدة منها؟ ثم ظهرت بعد ذلك الأديبة البنجالية (تسليمة نسرين)، وأيضاً أثارت ضجة بكتاباتها وهجومها على الإسلام. وظهرت كذلك الأديبة نورما خوري[1] التي ألفت قصة مزيفة فيها إساءات كبيرة للمجتمع المسلم وموقفه من المرأة تحديداً، ثم ظهرت «إيان حرصي» الصومالية الأصل الهولندية الجنسية، التي تعرضت بالسباب للإسلام ومقدساته، وتحدثت بأكاذيب كثيرة عن موقف الإسلام من

(١) أردنية نصرانية، ألّفت قصتها حول ما يعرف بـ (جرائم الشرف) المعروفة في الأردن، وكان هدفها أخذ الجنسية الأردنية؛ فانكشفت حيلتها، وبطلت دعواتها التي كانت تريد بها الإساءة لمجتمعها.

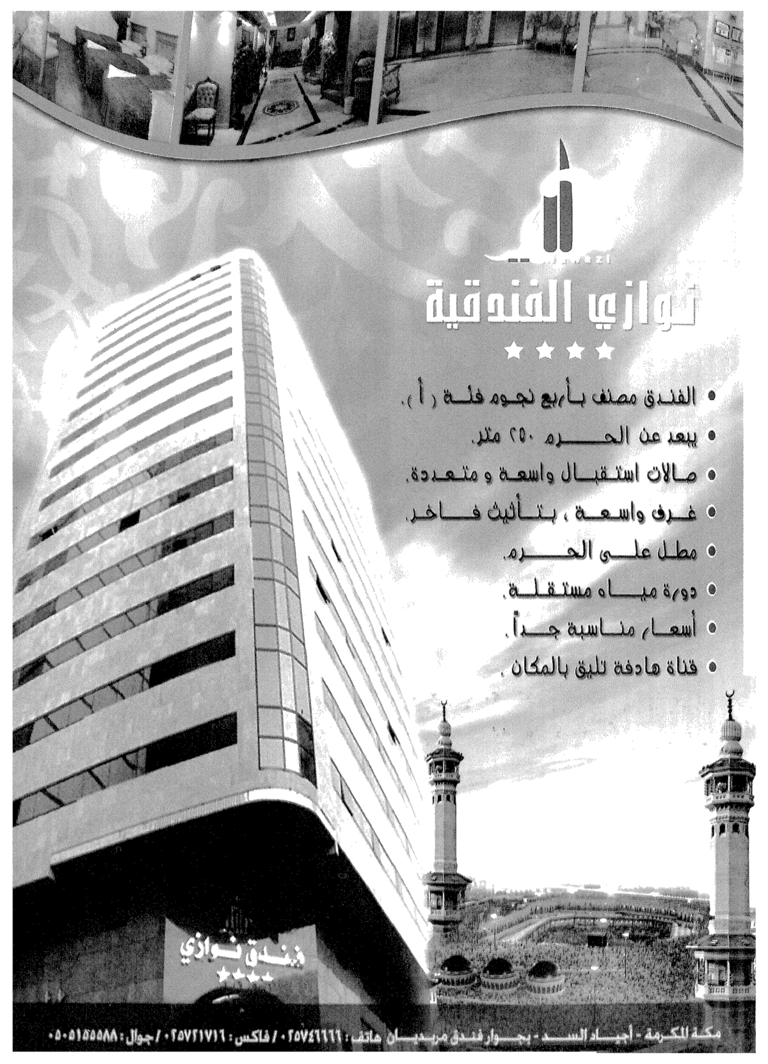
المرأة وعن قصة حياتها هي ذاتها، وهو ما تبين بعد ذلك أنه كذب واختلاق. أيضاً كان هناك الكاتب المصري «نصر حامد أبـــو زيد» الذي وضع مجموعة أبحاث يريد أن يثبت فيها أن القرآن كتاب بشــــري وليس وحياً، كما قدم رؤى مسيئة إلى الحضارة الإسلامية، وثبت علمياً أن رؤاه تلك مجرد أكاذيب وأخطاء علمية فادحة.

ويلاحـــظ أن جميع هذه النماذج قوبلـــت بترحاب كبير واحتفالات صاخبة من مؤسسات علمية وأكاديمية وسياسية وثقافيــــة وإعلامية غربية، في أكثر مـــن عاصمة، كما أنهم جميعاً دُعِموا مادياً وأدبياً من خلال تأسـيس مراكز بحثية لهـــم أو توظيفهم في جامعـــات أوروبية كبيـــرة، أو ترجمة أعمالهم بمقابل مادي ضخم ومبالَــغ فيه، كما أنهم جميعاً يحظون برعاية خاصة من حيث الإقامة والحماية والحضـــور السياســـــي أو الثقافـــي أو الإعلامي، على الرغم من أنهم قبل أن يســـبُّوا الإســـلام أو يتهجموا على مقدســـاته كانوا نكرات، وهو ما يعني أن ســـبب شـــهرتهم الوحيد هو سب الإسـلام، فلم يكونوا قامات فكريـــة أو أدبية كبيرة مثلاً ثم رأت رأياً مختلفاً، وإنما شخصيات مجهولة ومعدومة القيمة تقريبـــاً فكرياً وعلمياً وأدبياً، غير أن ما حدث بعد ذلك مثّل تطوراً خطيراً في منهج الاستفزاز والإثارة؛ لأن التوجه الآن أصبح يتمثل في ابتداع سلوكيات وأفعال وأقوال وممارسات من شـــخصيات غربية مباشـــرة ضد الإســـلام والمسلمين، دون انتظـــار إلى «وافد» من العالم الإســـلامي يقوم بالدور، فأصبحنا نقرأ ونسمع لشـــخصيات سياسية رفيعة تتحدث بصفاقة عن الإســـلام والمســـلمين وعن عقيدة المســـلمين، وأصبحنا نســـمع ونقرأ لشـــخصيات دينية رفيعة، بما في ذلك بابا الفاتيكان نفسه، تتحدث بشكل بالغ الاستفزاز عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته، وأصبحنا نقرأ ونسمع لقيادات شعبية برلمانية هجوماً فجّاً على الإسلام والمسلمين، ودعوات صريحة لـ «تطهير» أوروبا من الإســـلام والمسلمين، ثم أصبحنا نقرأ ونشـــاهد ونسمع كل حين عن أفلام وصور وكاريكاتيرات ومقالات، تهزأ وتجرح في مقدسات المسلمين بصورة شديدة الفجاجة والاستفزاز، على النحو الذي حدث في الرســـوم الدنماركية المسيئة إلى النبي الكريم ﷺ، ويبدو أنها فتحـــت باباً جديداً يجري تطويره بإنتاج أفلام وروايات أشد إسفافاً وفجاجة مما سبق.

نحـــن إذاً أمام موجة جديدة من الغلو الغربي والعدوانية تجاه الإسلام ومقدساته والمسلمين وحرماتهم، وهو ما يمثل تحدياً جديداً يســـتدعي التوقف عنده، والتأمل في خلفياته وتطـــوره، ثم البحث عـــن آليات وخطـــط وبرامج التصدي لمثـــل هذا التحدي الجديـــد؛ لأنه في تصـــوري لم يعد من الملائـــم أن تُترك الأمور للاجتهـــاد الفردي أو اللحظي؛ ولم يعد مناســـباً أن نتصرف بشكل مؤقت وجزئي مع كل واقعة تفاجئنا فنتصرف حيالها بشكل غاضب أو متعجل دون أُطُر أو اســـتراتيجيات رصينة تعرف مسبّقاً كيف تتعامل مع مثل هذه التحديات، ولذلك أعتقـــد أن من الضروري أن يتنادى قطاع من النخبة المســـلمة، من المقيمين في الغرب ومن أهل الخبرة والعلم والفكر المقيمين في العالم الإسلامي، من أجل تكوين مركز أبحاث أو لجنة أو جمعية أو هيئة أو ما شئت من تسمية؛ يكون جهدها الجوهري موقوفاً على رصد الظواهر الغربية المتعلقة بالإسلام، سواء أكان ذلك في الشأن الفكري أو الإعلامـــي أو الثقافي أو الفني أو غيـــره، ووضع تقارير رصينة وجادة عن هذه الظواهر وهي في مهدها، مع تقديم تصـــوّر لما يمكن أن تؤول إليه في المســـتقبل، ومن يقوم على تفعيلها ونحو ذلك؛ مع طرح تصورات أخرى لكيفية مواجهة مثل هذه الظاهرة في أطوارهـــا الحالية والمحتملة، وكيفية احتواء أغراضها، بما يحول دون تشـــكيلها أزمةً في الداخل الإسلامي أو اضطراباً، ودون أن تنجح في تحقيق أغراضها من الإثارة والتهييج على المســـلمين سواء في أوروبا وأمريكا أو في العالم الإسلامي نفسه.

ويمكن تطوير مثل هذه الجهود لاستيعاب أنشطة أخرى، بما في ذلك صناعة جســـور من التواصل والحوار المباشـــر مع أصحاب هـــذه النزعات، ومع المنابر الإعلامية والثقافية والسياســـية الغربيـــة ذاتها لقطع الطريق علـــى المزايدات، وربما النجاح في وقف أعمال مســـيئة وهي في مهدها، ومن الممكـــن - كخطوة أولى في ســـبيل هذا المشـــروع - أن تكوِّن بعض الجمعيات الإسلامية أو المؤسسات الدعوية أو الخيرية إدارات من داخلها أو مراكـــز تتفرغ لمثل هذا الموضوع الهام والحيوي، الذي يتعاظم خطره يوماً بعد يوم.

أتمنـــى أن تحظى الفكـــرة باهتمام النخَب المســـلمة، والجمعيات الخيرية، وبخاصة أن الظواهر الأخيرة كلها تدل على أننا مقبلون على تحديات خطيرة في هذا المجال.



نوازي الفندقية
★★★★
• الفندق مصنف بأربع نجوم فئة (أ).
• يبعد عن الحرم ٢٥٠ متر.
• صالات استقبال واسعة و متعددة.
• غرف واسعة ، بتأثيث فاخر.
• مطل على الحرم.
• دورة مياه مستقلة.
• أسعار مناسبة جداً.
• قناة هادفة تليق بالمكان.
فندق نوازي
مكة المكرمة - أجياد السد - بجوار فندق مريديان هاتف : ٠٢٥٧٤٦٦٦٦ / فاكس : ٠٢٥٧٢١٧١٦ / جوال : ٠٥٠٥١٥٥٥٨٨